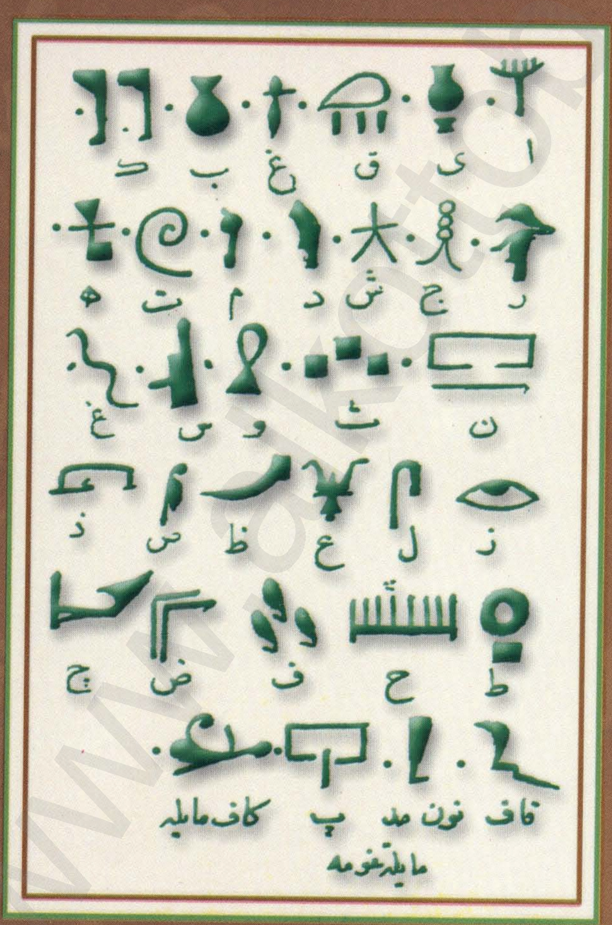
علي فهمي خشيم

العرب والهيروغليفية





العرب والهيروغليفية



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى والعربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية

◆ ◆ ◆

رئيس المركز
على عبد الحميد

مدير المركز
محمود عبد الحميد

◆ ◆ ◆

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف
ميدان الكيت كات - القاهرة
تليفاكس : 3448368 (00202)

http:www.alhdara-alarabia.com

Email: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

علي فهمي خشيم

العرب والهيروغليفية

تحقيق وتقديم لكتاب أحمد بن وحشية
(شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)



الكتـاب : العـرب والهيـروغليفـيـة

الكاتب : د. علي فهمي خشيم

الناشـر : مركز الحضارة العربية

الطبـعـة العـربيـة الأولى: القـاهـرة 2006

رقـم الإيـداع : 2006/2270

التـرقـيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-712-2

الغـلاف

لوحة الغلاف: قلم شيشيم الهرمسي من مخطوط (شوق المستهام). انظر الخاتمة الفريدة

تصميم وجرافيك: ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكترونى

وحدة الحاسوب بالمركز

تنفـيـذ : سـيـد حـرزاوى

الإهداء

إلى ذكرى

أنستاس ماري الكرملي

«خادم لغة العرب».. وعاشقها



قالوا ...

«ربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها... وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي إلي اللغة العربية، وينبغي أن تتأمل وتجعل هذه الأقلام مثالا لها، ويُرجع إليها، إن شاء الله تعالى».

محمد بن إسحاق بن النديم

القرن الهجري الرابع

«كما عجبت من الصور والخطوط المرسومة بها (المسلة التي جيء بها من الأقصر إلى باريس سنة 1831م) واختلاف أذواق البشر في طرق الكتابة، واشتقت إلى كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) لأحلّ به مُعَمَّى الكتابة. وممن الأسف أن هذا الكتاب لم ينشر إلى الآن بين أبناء العربية».

محمد المقداد الورتاني

1941م

«سبق العربُ علماءَ أوروبا في حل رموز الخطوط القديمة وترجمة كتبها إلى العربية، ولا إخال أن أوروبا توصلت إلى حل رموز الآثار والوقوف علي علوم من سبق من الأمم إلا بواسطة كتب العرب وترجمتها إلى لغتهم. فمن ذلك ما رأيته بعيني وطالعت فيه بنفسي، وهو كتاب (شوق المستهام إلى معرفة رموز الأقلام) لأحمد بن وحشية النبطي... وهنيئًا لعلماء أوروبا الذين ترجموا هذا الكتاب إلى لغتهم؛ فقد ترجمه الإنكليز منذ مائة وعشرين سنة، ووقفوا بواسطته على آثار الأمم الماضية... فأعمال المستشرقين ووقوفهم على حل رموز الآثار ما هي إلا نتيجة بحثهم في هذا الكتاب ووقوفهم عليه وإخفائه عنا حتى لا نسبقهم فيه».

محمد رشدي المصري

1338 هجرية



مقدمة

أوروبا والهيروغليفية :

«الهيروغليفية» كلمة يونانية مكونة من مقطعين: hiero (مقدس) + glypho (نقش) أي: الكتابة المقدسة[1] . ذلك لأن اليونان نسبوا إلى هذه النقوش التي كانت على جدران المعابد المصرية الحكمة القديمة، إذ جهلوا قراءتها ولم يعرفوا حقيقتها. وبدءاً من هيرودوت (القرن ٥ ق.م) ومروراً بمؤلفين مشاهير من مثل ديودروس الصقلي وتاسيتوس فإننا لا نجد إلا إشارات عابرة عن معاني بعض الرموز الهيروغليفية قد تصيب وكثيراً ما تخطئ.

ورغم ما يُقال من أن المؤرخ المصري «مانيثو» استقى معلوماته من الكتابات الهيروغليفية، فقد كتب هو ذاته باليونانية وجاء (تاريخه) مزيجًا من الأسطورة والخيال مما يشير إلى عدم معرفته بتلك الكتابة معرفة وثيقة كاملة، وقد أشار كليمنت الإسكندري (٢٠٠م) إلى هذه الكتابة ولعله أحس بأن لرموزها قيمة صوتية في كتابه (Stromaties). لكننا نجد بلوتارخ يتبع ما راج من رأي حول الهيروغليفية وأنها مجرد رموز سرية، فيقرنها في مؤلفه عن (إيزيس وأوزيريس) بالأفكار الفيثاغورية، حتى إذا جاء النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي ظهر المدعو هورابلّو Horapallo وهو

---

(١) نكافئ اليونانية Hiero بالعربية (حور) والدلالة الأصلية فيها البياض ثم الخلوص والنقاء والطهارة فالتقديس، ومن ذلك «الحواريون» أنصار عيسى عليه السلام والمفرد «حواري»، وفي القرآن الكريم «الحور العين» أي البيضاوات الجميلات، وفُسِرت بأنها تعني من في أعينهن حوَر، أي بياض، وهذا غير دقيق، و«الحُوري» لدى العامة: الفتى يموت قبل أن يتزوج، فهو مات طاهراً، وهو أيضًا من «الولدان المخلَّدين» في الجنة، نقي، صافٍ، مقدس. و«حر» في المصرية القديمة: الصقر (العربية: حُرٌّ= صقر) وهو رمز إله الخير خصيم «ست» (إله الشر) ويطلق على الصقر الأبيض خاصة، صار في اليونانية Horus (السين زائدة للعلَمية) وعاد إلينا معربًا: حورس.

أما Glypho فمعناها الأولي: النقش. وتطور المعنى ليفيد: الكتابة، لأنها كانت أصلا نقشًا على الحجر أو ألواح الطين، في مصر والرافدين وأرض كنعان. العربية: جلف، قلف = نحت، نقش.

مواطن مصري من الصعيد - الذي كتب مؤلفًا بالقبطية ولم تبق سوى ترجمته اليونانية بعنوان Heroglyphica وفيه إشارات إلى معاني بعض الرموز الهيروغليفية. قال: إن شكل الوزة يرمز إلى «الابن» لحب هذا الطائر لفراخه، وإن شكل الأرنب لكتابة كلمة «فتح» لأن عيني الأرنب تظلان مفتوحتين.. وهكذا.

في عهد بطليموس فيلادلفوس كان مانيثو السمنودي قد سمي كاهنًا أعظم للمعابد الوثنية في مصر، وقد كتب من نقوش في بلاد السري[٢]، اتبعت - كما يقول - في الكتب المقدسة والحروف المقدسة [التي ابتدعها] «تحت» أول الهرامسة، وتُرجمت بعد الطوفان... بالحروف الهيروغليفية، فلما هيئ العمل في كتب من قِبَل «أغاثودايمون» Agathodaemon[٣] ابن «هرمس الثاني»[٤] ووالد «طاط»[٥] Tat في خزائن معابد مصر أهداها مانيثو إلى الملك بطليموس المذكور، فيلادلفوس الثاني، في مؤلفه (كتاب الشعرى)[٦] بقوله:

«إلى الملك بطليموس فيلادلفوس العظيم، السلام على سيدي بطليموس من مانيثو الكاهن الأكبر وكاتب محارم مصر المقدسة، المولود في سمنود[٧] والقاطن في عين شمس[٨].

إن من واجبي، أيها الملك العلي، أن أتفكر في كل الأمور التي ترغبون مني تأمُّلها. وعليه، وبما أنكم تبحثون في مستقبل العالم، وإطاعةً لأمركم، فسأضع بين أيديكم

---

(٢) في اليونانية Serios = النيل، النهر. العربية: سَرِيّ = مجرى ماء، جدول، نهير. وفي القرآن الكريم ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (مريم: ٢٤). أي جدولا.

(٣) في (تاريخه، ص ١٥) يجعله «مانيثو» ثالث الملوك / الآلهة في الأسرة الأولى في مصر بعد هيفايستوس (پتاح) وهليوس (رع).

(٤) «هرمس الثاني» هو «هرمس تريسيميجتوس» (هرمس المثلث العظمة)، المعلّم.

(٥) انظر الفصل الثاني عشر من الباب الرابع من (شوق المستهام).

(٦) Bublos tes Sotheos (The Book of Sothis) ينسب إلى مانيثو وظلت منه شذرات نشرها «وادل» مع ترجمة إنكليزية.

(٧) Sebennytus. على فرع دمياط من نهر النيل.

(٨) Heliopolis. وطبقًا لهيرودوت (ii, 3,1): «يُقال إن أهلها أكثر المصريين علمًا». وكان مانيثو كاهنًا أعظم فيها.

الكتب المقدسة التي درستها، والتي كتبها «هرمس تريسيميجتوس». والسلام عليكم، مولاي الملك».

هكذا كانت روايته عن ترجمة الكتب التي ألفها «هرمس الثاني»، ثم يخبرنا مانيثو عن خمس قبائل مصرية هي التي شكلت الأسر الثلاثين.

* * *

تفسيرات:

في محاورة (فيلبوس Philebus) قال أفلاطون إن مخترع الكتابة هو (تحوت) المصري (= هرمس، عند اليونان) رب المعرفة والآداب. وفي (محاورة اقراطيلوس) قال: إن الكنعانيين أخذوا الكتابة عن المصريين ونشروها في اليونان.

أما أفلوطين فقد اعتقد أن الكتابة نشأت في مصر بوحي إلهي، ولكن هذه الرموز الهيروغليفية لم تكن لتشرح طبيعة الأشياء فقط بل لتكشف للمنتسبين (المريدين) العلاقة الفعلية ما بين المادة والفكرة، العقل والروح، الحقيقة والفن، بل لتبين «حركة الفكر الإلهي».

في العصر الوسيط أعطيت هذه الرموز الهيروغليفية دلالات دينية: فالحية التي ترقص ذيلها ترمز إلى الخلود، وأبو قردان يرمز للخير، والنحلة للملك.

وفي عصر النهضة (الأوروبية) حلّت الأفلاطونية محل الأرسطية مع كل تصوراتها الروحية، واستعيدت الصلة القوية بين الأفلاطونية والتراث الهرمسي والحكمة المصرية.

في سنة ١٥٠٥ صدر كتاب Hierogylyphica وفيه حُدِّدت الهيروغليفية بأنها لغة موحًى بها، كلية، كونية، لغة أفكار «بعيدة عن أي صوت أو حرف، ولا يفهمها سوى الأتباع». كان المعتقد أنها إشارات / رموز ذات معانٍ إلهية. حتى جاء كيرشر.

ومحاولات:

كانت الفكرة السائدة أن الرموز الهيروغليفية لم تكن كتابة مثل بقية أنواع الكتابة، وإنما هي حكمة سرية مخفية للفلاسفة الكهنة لا يفهمها سوى أتباع حكمة

السحر الصوفي. هذه النظرة أشاعها Horapollon (حر - بعل؟) في كتابه باليونانية Hieroglyphica وهو الكتاب الذي لم يتحده كتاب آخر لعدة قرون. «وهكذا فإن حظراً حقيقياً فرض على الرموز الهيروغليفية حتى في القسم الأول من العصر الحديث، وحتى فاكّ رموزها الأول العظيم، شامبليون، كان غير قادر على التخلص من قبضتها سنوات طويلة، وهذا هو السبب في أن أثناسيوس كيرشر، في القرن ١٧، في كتابه Sphinx Mystagogica سمح لخياله أن ينطلق غير مقيد ويترجم الجملة البسيطة «أوزيريس يقول» بمعنى: «حياة الأشياء، بعد هزيمة تايفون (ست)، ندى الطبيعة، عبر يقظة أنوبيس». (فريدريش Extinct Lanuages ص ١٧).

يقول الأستاذ (غاردنر):

«اجتذبت مثل هذه التفسيرات الخيالية عقل العصر الوسيط (في أوروبا) وحتى بداية القرن التاسع عشر. فقد ساد القول وكأنه عقيدة بأن الكتابة الهيروغليفية المصرية كانت تعبيراً رمزيًا عن مذاهب دينية وفلسفية خفية غامضة. وهذا القول الخاطئ أدى إلى دفع جديد من التأملات المعرفية على يد ذات الشخص الذي يدين له العالم الغربي بتجديد اهتمامه باللغة والأدب القبطيين، وهو اليسوعي Athanasius Kircher، المستشرق الكامل (المثقف) الذي أوكل إليه ترجمة معجم قبطي - عربي جاء به من مصر Pietro della Velle، ويعلّم كتاب كيرشر Prodromus Copties Ae-gyptiacus الذي صدر سنة ١٦٣٠م، سلسلة من الكتب عن اللغة القبطية، وهو موضوع كان كم من المعلومات غير قليل في متناول اليد حينما حصل الباحثون أخيراً على مفتاح فك الرموز الهيروغليفية، وعلى كل حال، لم يكن الوقت آنذاك قد حان وتجاوزت نظريات كيرشر عن محتويات النقوش الهيروغليفية كل حدود الجهل الخيالي؛ فقد عنى درج الفرعون خفرع الذي وجد على مسلة رومانية عند كيرشر: «خيرات الإلهي أوزيريس تنال بالاحتفالات المقدسة وبسلسلة الجن، حتى تنال خيرات النيل». (Egyptian Grammar p. 11-12).

لقد ركز كيرشر دراساته على الرموز الهيروغليفية الأصلية، واقتنع تمامًا أنه وجد سبيلا جديداً وأصيلا لفهمها، وهو انطلق من المُسلَّمة التي سادت أن النصوص الهيروغليفية كانت تحوي فلسفة المصريين التي كانت في صورتها اليونانية مطابقة

لتعاليم يمبليقوس Iemblicus وبروكلوس Proclus والهيكل الهرمسي. كان مقتنعًا أنه عرف محتويات كل النقوش الهيروغليفية، وهو كذلك «عرف» أن هذه النقوش كانت رموزًا تمثل المفهومات الأساسية لهذه الفلسفة، وكانت مشكلته المنهجية إذن في تحديد أية فكرة من (الأفلاطونية الجديدة) كان يمثلها كل رمز هيروغليفي، أما وقد ترسخ هذا عنده بما يرضيه فقد ترجم النصوص طبقًا لمبدأ أسماه Lectco ideulis في نبذ (رسائل) أفلاطونية جديدة لا تحتمل الخطأ.

من الواضح أن منهج كيرشر غير مبرر وأن نتائجه ذات أهمية تاريخية ليس غير، ولكن جهوده تفرض احترامها باعتبارها مأثرة عقلية، وباعتبارها آخر محاولة بطولية للمواءمة بين الأفلاطونية الجديدة «الوثنية» في عصر النهضة مع أرثوذوكسية الإصلاح المضاد(٩). (Iverson, p.75).

وقد سُخِرَ من محاولة كيرشر وادعائه في أثناء حياته، والتُفت إلى مقارنة الرموز الهيروغليفية بالتصاوير المكسيكية والحروف الصينية، ويأتي اسم Werburton الذي ألف كتابه Divine Legation of Moses سنة ١٧٤١ وقال فيه: إن الهيروغليفية ليست كتابة مقدسة ولكنها كتابة عادية لمختلف الأغراض، وأن الكتابة الميسرة (Run-ning hands) أي الهيراطيقية والديموطيقية، مشتقة منها، ولكن هذا لم يؤد إلى حل الهيروغليفية، وتخلى (وربيرتون) عن محاولاته. (Iverson, p. 76).

---

(٩) يذكر الدكتور عكاشة الدالي (Egyptology... p. 58) أن كيرشر استشهد في كتابه الضخم (٢٠٠٠ صفحة) الصادر ما بين عامي ١٦٤٥ - ١٦٥٢م. «بأكثر من أربعين مرجعًا عربيًا عن موضوعات متنوعة كالدين والهياكل والمسلات والمومياءات فضلا عن الكتابات المصرية «ولم أستطع التعرف على الكُتَّاب العرب الذين يُستشهد بهم، ولعل ذلك بسبب صعوبة نقل بعض الأسماء الشرقية (إلى الحروف اللاتينية). وقد تكون بعض المخطوطات اختفت من الوجود، ومن الممكن أن بعضها يمكن التعرف عليه لا يزال في أوروبا، في الفاتيكان مثلا، وعلى كل حال فإن من الواضح أن كتابات جلال الدين (السيوطي) وأبي الرجال وابن وحشية، كونت أساس دراسات كيرشر عن الهيروغليفية». ومن الغريب أن إيڤرسون E. Iverson (في كتابه The Myth of Egypt and its Hieroglyphs الصادر سنة ١٩٩٣م) يتجاهل مصادر كيرشر العربية ولا يذكر إلا كتابًا واحدًا للعالم أبي البركات بن كبر في معجمه القبطي / العربي، وقد اعتمد عليه كيرشر اعتمادًا كبيرًا.

في سنة ١٧٩٩ عثر بعض جنود الحملة الفرنسية على مصر - يعملون في أساس قلعة في مدينة رشيد - على لوح به ثلاثة أنواع من الكتابة: يونانية، ديموطيقية (شعبية)، وهيروغليفية، وهو ما عرف باسم (حجر رشيد)، ومن النص اليوناني فُهِم أنه قرار بتكريم Ptolemy Epiphicenes (بطليموس الحربي) من قِبَل كهنة مصر سنة ١٩٦ ق.م، وقد وجه العلماء اهتمامهم إلى المقارنة بين النصين اليوناني والديموطيقي؛ لأن القسم الهيروغليفي كان غير سليم في جملته، وقد وقع الحجر نفسه في يد الإنكليز، لكن نسخة منه ظلت مع المستشرق الفرنسي الشهير Silvestre de Sacy الذي سلم النسخة - بعد محاولة مجهضة منه لفك رموزها - إلى الدبلوماسي السويدي Akerblad الذي كرس وقته للبحوث الشرقية في باريس، وفي خلال شهرين وعَبْرَ مقارنة النصين اليوناني والديموطيقي نجح في أن يحدد في الثاني أسماء الأشخاص الموجودة في الأول، بالإضافة إلى التعرف على الكلمات التي كُتِبت بصورتها القبطية، من مثل «معابد»، «اليونانيين» مع ضمائر «هو» و«له». وفي سنة ١٨٠٢م نشر رسالته Lettre a Mr. de Sacy وكانت الخطوة الأهم نحو الغاية التي تحققت على يد شامبليون بعد عشرين عامًا (أي سنة ١٨٢٢).

وهناك الإنكليزي Thomas Yung. في سنة ١٨١٤ حصل على نسخة من (حجر رشيد)، ورغم أنه وافق Akerblad في نتائجه فقد لاحظ أن ثمة علامات في النص الديموطيقي لا يمكن أن تكون حروفًا هجائية، كما لاحظ الصلة بين القلمين الديموطيقي والهيروغليفي، وفي سنة ١٨١٦ استطاع (يونغ) أن يعين تطابق نص هيروغليفي وآخر هيراطيقي في بعض مقاطع من «كتاب الأموات» وبعض أسماء الملوك في دُرجها الخاصة بها، كما عين الرمز الهيروغليفي لحرفي الفاء والتاء وحدَّد الأسماء المؤنثة، كل هذا كان ممزوجًا باستنتاجات خاطئة، لكن المنهج كان سيقود حتمًا إلى فك رموز هذه الكتابة. (غاردنر، ص ١٢ - ١٣).

ثم جاء شامبليون:

ولد في ٢٣ ديسمبر ١٧٩٠، François Champollion كان مُهتمًّا منذ صغره بمصر، وحين بلغ الثانية عشرة من عمره كان يتحدث بأصول العبرية والعربية

(غاردنر، ص ١٣) ومنذ ذلك الحين كان غرامه بكل شيء شرقي يزداد، يشجعه شقيقه Jacques Joseph Champollion - Figeac، وقد مرت به ظروف حياتية صعبة ما بين غرينوبل ومدينته «فيجياك» وكان رغم هذا يجمع كل ما يتصل بمصر واللغة القبطية، ويحاول مرة بعد أخرى حل الرموز الهيروغليفية والديموطيقية، ولما ولدت الحقيقة لديه أخيراً بكل حيوية الكشف مكنته سيطرته التامة على المواد التي بين يديه أن يمضي في اكتشافاته بكل سرعة وثقة فاقت ما عند أي من معاصريه.

كتب شامبليون مؤلفًا سنة ١٨١٤ بعنوان L'Egypte sous les Pharaons وأدت به دراسته العميقة إلى الاقتناع بأن الكتابات الثلاث على حجر رشيد عبارة عن تحوير إحداها عن الأخرى، وفي سنة ١٨١٨ طَبَع كتيبه عن النص الهيراطيقي، ولم يجد عُسراً في تحويله إلى الديموطيقية التي كان يعرفها ثم الهيروغليفية، كان على دراية باسم بطليموس في الهيروغليفية والديموطيقية، ثم في نص هيروغليفي آخر عثر على اسم كليوباترا في ما يعرف بـ (بردي Corteli) الذي خمّنه فأصاب، ثم تأكد من ذلك في نص آخر ينسب غاردنر (ص ١٤) إلى Yung معالجته من قبل، ويرى أن هذا ما ساعد شامبليون على فك الرموز الهيروغليفية ولكنه لم يذكر هذه الواقعة قط.

كان Akerblad قد قرأ اسم بطليموس في الديموطيقية، ورغم أن شامبليون كان متشبثًا بنظريته المناقضة من أن الهيروغليفية عبارة عن شكل رمزي، أثبت بمطابقة العلامات الديموطيقية بتلك الهيروغليفية الموجودة في درج بطليموس أن الأخيرة يمكن أن تكون هجائية، فاكتشف حروف P و O (= U و W) و L، وعرف أن T في اسم D= Ptolymy في اسم Cleopathra (Cleopatra =) [العربية في كليهما «ط»] عن طريق الإبدال (أو الجناس). ثم قرأ «م س» (ابن) في اسم «رمسس» مقارنة باسم «تحوتمس» مقابل ما في النص اليوناني genephilia، القبطية mose, misi (يلد). كما قرأ أسماء الإسكندر وبرنيكي وطبريوس وتراجان، مع ألقاب الملك وصفات الحكم.

رأى شامبليون أن لا سبب يؤجل إعلان اكتشافه، وفي ٢٤ سبتمبر ١٨٢٢ نقرأ خطابه الشهير Lettre à Mr Docier relative à l'alphabet des hieroglyphes phonetiques. وفي هذا الخطاب لا يذكر فك رموز اسمي رمسيس وتحتمس مع أسماء أخرى عديدة حيث احتفظ بها إلى سنة ١٨٢٩ في مؤلفه Precis du Système hierogly-

phique. وقام بزيارات إلى مصر وتورينو، ومات سنة ١٨٣٢ (٤ مارس).

مات شامبليون لكنه خُلِّد باعتباره صاحب الفضل في اكتشاف قراءة الهيروغليفية وفتح الأبواب على مصاريعها لمعرفة تاريخ وادي النيل وحضارته، مجتمعًا وثقافة وديانة وفكرًا وعلمًا وأدبًا، وتوالت من بعدُ الدراسات والبحوث والكشوفات الأثرية بالآلاف، مما جعل من تاريخ مصر عالمًا لا حدود له ومجالا واسعًا للعلماء المتخصصين والاهتمام بكل صغيرة وكبيرة في هذا العالم الجديد / القديم.

من المتوقع بالطبع أن من كتب عن محاولات فك رموز الهيروغليفية من الغربيين، وقد سيطروا سيطرة تامة على الأمر بأكمله، أن يسردوا تاريخ تلك المحاولات أو النظرة إلى تلك الرموز، بدءًا من اليونان القدماء حتى بزوغ فجر عصر النهضة الأوروبية إلى القرن التاسع عشر، دون أي ذكر لما قام به العرب لأكثر من ألف سنة كانت أوروبا تغطُّ خلالها في نوم عميق.

كلا.. بل إن المسألة بلغت حدًّا من التجاهل المتعمد أن ما كان قد عُرِف من قبل عن شامبليون وتعلمه اللغة العربية، إلى جانب العبرية والقبطية، لاعتقاده بالصلة بين اللغات الثلاث والمصرية القديمة، بات قاصرًا على ذكر تعلم شامبليون العبرية والقبطية فقط دون الإشارة إلى إلمامه بالعربية في المصادر المتأخرة، حتى نُسِيَت هذه الحقيقة تمامًا ولم تعد تُذكر مطلقًا.

العرب والهيروغليفية:

فهل صحيح أن العرب المسلمين أهملوا الحضارات القديمة ونأوا بجانبهم عن النظر إلى ما ترك الأقدمون من آثار تملأ الأقطار التي فتحوها وصارت من ضمن الممالك العربية الإسلامية وجزءًا لا ينفصل عن (الوطن العربي الكبير)؟ ماذا كان موقف العلماء العرب المسلمين من تلك الكتابات والصور والرسوم التي يرونها أمامهم وهم الذين حفظوها وأبقوها على حالها كما هي ولم يمسوها بأذًى؟ ألم يحاولوا فهم أسرارها وإدراك دلالاتها ومعانيها وما تؤدي إليه؟

أسئلة كثيرة توجه. فهل يعقل أن ألف عام من الزمان تمضي دون نظر من أحد إلى تلك الآثار العظيمة والهياكل الضخمة والمعابد السامقة على امتداد وادي النيل، مثلا،

ودون مجرد إبداء الدهشة الباعثة على التساؤل ومحاولة الفهم، والحضارة العربية الإسلامية في قمة ازدهارها؟ هل يمكن للذين ترجموا تراث من سبقهم من اليونانيين والهنود والفرس ونقلوا إلى العربية المعارف الجمة في الفلسفة والطب والفيزياء والرياضيات والجغرافيا والفلك والكيمياء وغيرها، أن يتغاضوا عما بين أيديهم من تراث؟

لقد ظلت هذه الأسئلة تتردد زمنًا طويلا ولم تلق الإجابة الشافية، غير أنها وجدت أخيراً من يجيب عنها ببحث مؤصَّل واضح ممثل في عالم عربي هو الدكتور عكاشة الدالي في كتابه الصادر حديثًا بعنوان (علم المصريات؛ الألفية المفقودة، مصر القديمة في الكتابات العربية في العصر الوسيط)[10] نشر باللغة الإنكليزية ولعله يرى النور بالعربية قريباً.

وقد عالج الدكتور الدالي جملة من القضايا المتعلقة بموقف العرب المسلمين من التراث المصري القديم على وجه التخصيص، ونظر بكثير من الدقة والمتابعة الصبورة ما كان طيلة ألف سنة من تاريخ علم المصريات منذ الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي إلى الغزو العثماني في القرن السادس عشر. وركّز في دراسته على جهود الكُتّاب المسلمين دفعًا للفِرْية القائلة إن الإسلام هو الذي يلام لقطعه الصلة بين المصريين وتراثهم القديم. وهو لا يبين عن وجود مادة غزيرة من المصادر العربية عن مصر القديمة فحسب، بل إنه يبرز نفع هذه المصادر لعلم المصريات حتى في أيامنا هذه.

وإلى جانب ما سرده المؤلف من مرويات الرحّالين ومن كتب عن تواريخ الأمم والكيميائيين العرب والمسلمين يظهر أيضًا مدى الاهتمام الذي أولوه للكتابات المصرية الهيروغليفية ومحاولاتهم فك رموزها والوصول إلى قراءتها وفهم معانيها، ويمضي ليعرض اهتمام العرب بالتاريخ المصري العتيق وتفسيراتهم للمعابد الفرعونية التي لم تمس، والغرض منها، فضلا عن التصور العربي لنظم الحكم والدولة والدين، وحتى الطب وتحنيط المومياءات في مصر القديمة.

عديدة هي أسماء الكُتّاب العرب المسلمين ذات الصلة بالموضوع، اتخذ الدكتور

(10) Okasha El-Daly; Egyptology; The Missing Millennium - Ancient Egypt in Medieval Arabic Writings, UCL Press, London 2005.

الدالي مؤلفات أصحابها، مطبوعة أو مخطوطة، مراجع له ومصادر لبحثه، منها المشهور المعروف ومنها الأقل شهرة وذيوعًا، مثل ذي النون المصري، وابن عبد الحكم، واليعقوبي، وابن خرداذبة، والرازي، والإصطخري، والمسعودي، والهروي، وياقوت الحموي، وعبداللطيف البغدادي، والشهرستاني، والقزويني، والقلقشندي، والمقريزي، وابن الوردي، والسيوطي. ومثل: أيوب بن مسلمة، وابن أميل، وأبي القاسم العراقي.. وبالطبع: أحمد ابن وحشية، وهو عرض له في جملة مواطن من كتابه وقدم لمحات عن حياته التي لا يعرف عنها الكثير، وعن بعض مؤلفاته، وبخاصة كتابه عن (الفلاحة النبطية) وكتابه (شوق المستهام) غير أن ذاك العرض كان للاستشهاد والاستدلال، كما فعل مع سواه من المراجع والمصادر، ولم يكن شاملا أو متوسعًا فيه بصورة كافية.

منذ البداية:

نشطت حركة الترجمة عن كتب الحضارات السابقة المعاصرة إلى اللغة العربية في العالم العربي والإسلامي، خاصة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، فقد ترجم كثير مما وُجِد في اللغات السريانية والنبطية واليونانية والرومية والفارسية والهندية والأرمنية والعبرية والمغلية، بل تجاوز العرب هذا إلى ترجمة بعض ما كان مكتوبًا باللغات البائدة وفهمه، مما دعاهم إلى دراسة تلك اللغات وتبويب حروفها، إذ كانت بعض الكتابات معمَّاة في مثل الكيمياء والسحر والفلسفة والدين، فضاعف ذلك من حرص العرب على فهم تلك الأمور المعمَّاة، وكان هذا الدافع الأساسي لهم لوضع علم التعمية وحلِّ المعمَّى آنذاك.

هذا ما يقرره محققو ثلاث رسائل في علم التعمية[11]، وإذا كنا لا نملك بين أيدينا اليوم «ترجمة بعض ما كان مكتوبًا باللغات البائدة وفهمه» فإنه يذكر أن ذا النون المصري، ثوبان ابن إبراهيم (ت ٢٤٦هـ) وضع مؤلفًا بعنوان (حل الرموز وبرء الأسقام

---

(١١) مراياتي، والطيان، وميرعلم؛ علم التعمية واستخراج المعمَّى عند العرب، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٧، ص ٥٦ - ٥٧. والرسائل المحققة ثلاث: الأولى لأبي يوسف يعقوب الكندي، والثانية لعلي بن عدلان، والثالثة لعلي بن الدريهم - مع مقدمات ضافية وشروح وافية.

في كشف أصول اللغات والأقلام)، ويشار إلى نسخة له في (نوادر المخطوطات في مكتبات تركيا) لرمضان ششن، تحت رقم ٢ / ٢٧ .

وذو النون المصري هذا، الذي كان يعرف بالصوفي - كما هو حال ابن وحشية - كان معاصراً للأخير وكان معروفًا عنه طوافه بالبرابي ومحاولته فك رموز الكتابات المصرية العتيقة[١٢] .

وكان من المعاصرين أيضًا: عثمان بن سويد أبو حري الإخميمي، من إخميم، قرية من قرى مصر، «وكان مقدمًا في صناعة الكيمياء ورأسًا فيها، وله مع ابن وحشية مناظرات وبينه وبينه مكاتبات»[١٣] كما يورد ابن النديم، الذي يعدد مؤلفاته ومن بينها (كتاب صرف التوهم عن ذي النون المصري)[١٤]. ويجعله من تلامذة جابر بن حيان إلى جانب الرازي[١٥] .

ومن المعاصرين لابن وحشية فيلسوف العرب الأول أبو يوسف يعقوب الكندي (ت. ٢٦٠هـ). مدير (بيت الحكمة) الذي أنشأه الخليفة المأمون، وكان ممن اشتغل بالمعمَّى وله رسالة بعنوان (استخراج المعمى) قال في مقدمتها:

«إن استخراج المعمى لمن أعظم المنافع، إذ كثير من ذوي الفلسفة والآراء الباقية استعملوا وضع الكتب برسوم مجهولة صفاتها، عزّ من قصّر عن استحقاق منافعها ولم يرتقِ في غمار العلوم إلى مراتبها»[١٦] .

---

(١٢) في (الفهرست، ص ٥٠٣ - ٥٠٤): هو أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم (المصري) وكان متصوفًا وله أثر في الصنعة وكتب مصنفة، فمن كتبه: كتاب الركن الأكبر، كتاب الثقة في الصنعة.

(١٣) الفهرست، ص ٥٠٤ . غير أن ابن النديم يقول في تعداد مصنفات ابن وحشية إن له (كتاب مفاوضات مع أبي جعفر الأموي وسلامة بن سليمان الإخميمي) في الصنعة والسحر (ص ٤٣٣). وهذا يعني أن هناك شخصين من إخميم، أحدهما يسمى عثمان بن سويد أبو حري الذي كانت لابن وحشية معه مناظرات مما يفيد مقابلته شخصيًا في زيارته مصر، إلى جانب المكاتبات، والآخر يدعى سلامة بن سليمان الذي كانت بينه وبينه مفاوضات، لعلها مكاتبات سجلها ابن وحشية في كتاب له.

(١٤) الفهرست، ص ٥٠٠ .

(١٥) علم التعمية... ص ٢١٤ .

(١٦) علم التعمية... ص ٢١٤ .

بلغ علم التعمية أوج ازدهاره في حقبتين متميزتين، رافقت أولاهما مرحلة الترجمة الكبرى إلى العربية من اللغات السائدة والبائدة وبداية قيام الدواوين وصنعة الكاتب والإدارة، وكان من رواد هذه المرحلة: الكندي وابن وحشية. وعاصرت ثانيتهما تفكك الدولة العربية وضعف شأنها وازدياد الأطماع فيها، فاجتاحها المغول من الشرق وهاجمها الصليبيون من الغرب، وأكثر ما ظهر استعمال التعمية في هذه الحقبة كان في المراسلات السياسية، وكان ابن دنينير (ت. ٦٢٧هـ) وابن عدلان (ت. ٦٦٦هـ) وابن الدريهم (ت. ٧٦٢هـ) من أعلام هذه الفترة وروادها.

يقول علي بن الدريهم في كتابه (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز): «اعلم أن حل المترجم وإيضاح المعمّى من أجلّ الفوائد، فإنه لا يُستغنى عنه في أوقات تدعو الضرورة إليها، وينتفع بها في استخراج ما رمزه القدماء من علومهم في كتبهم وغيرها»[١٧].

التعمية إذنْ كانت تستعمل لغايتين أساسيتين؛ في السياسة ومراسلاتها السرية إخفاءً لمحتوياتها حتى لا يطَّلِع عليها الخصوم، فهي تماثل ما نعرفه في عصرنا باسم (الشفرة) في المكاتبات السياسية والعسكرية ولدى دوائر المخابرات والجوسسة، وفي العلوم الخاصة، أو المتخصصة، فكأنها تشبه لغة الحاسوب في عصرنا، عبارة عن رموز وحروف وأرقام بما تعنيه من مصطلحات وتشير إليه من معانٍ وغايات لا يدركها إلا من درسها وفهِمَ غاياتها، وهي كانت علمًا زاوله المصريون القدماء، كما عرفه البابليون، وورثه العرب المسلمون عن هؤلاء وعن أمم أخرى كالهنود واليونانيين.

وإذا كان علم التعمية ازدهر عند العرب المسلمين، كما سبق القول، في فترتين متمايزتين إحداهما عصر الترجمة الكبرى والأخرى عصر الانحدار الحضاري، فإن الأمر لم يخلُ في الحالين من النظر إليه على مستويين؛ التعمية بمعناها المحدود باستعمال رموز موضوعة تحسب حروفًا يقرأها العالم بها أو الموجهة إليه فهي عند سواه مجرد طلاسم تستخدم في السيمياء وما يعرف بالصنعة كما في السحر والروحانيات، ومن ضمنها ما ابتدع وزعم أنه من «أقلام الأفلاك والكواكب والنجوم» ذات الصلة بالتنجيم للاعتقاد السائد بأن للأجرام السماوية تأثيرًا على حيوات البشر. أما المستوى الثاني فيتعلق بالأقلام «البائدة» أي كتابات الأقدم من الحضارات التي امّحت آثارها ودرست

---

(١٧) علم التعمية... ص ٣٢٢.

معالمها، وإن كان بعض منها لا يزال مستعملا حين وضع المؤلفات في هذا الموضوع. وهذا ما نلاحظه في ما وصل إلينا من تراث ومن جملته مؤلفات ابن وحشية بالذات التي ينبغي أن ينظر إليها على هذين المستويين، وأهمها في مجالنا هذا كتابه (شوق المستهام) الذي نقدمه للقارئ العربي اليوم.

الكتاب:

يحتوي كتاب ابن وحشية، واسمه الكامل «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» على ٩٣ فصلا حسب تحديد الدكتور عكاشة الدالى أما في نشرة همَّر فهي ٨٠ فصلا. تقع في ٨ أبواب.

ويمكننا صرف النظر حاليّا عن الأبواب: الثالث، الرابع، الخامس، السادس، والسابع، باعتبارها تعرض أشكالا من (أقلام التعمية) تدخل في مجال الطلاسم والروحانيات والتنجيم وفك الرموز السحرية وغيرها، وإن نسبت إلى أسماء أعلام أكثرها معروف مشهور وقليل منها مجهول، عند المحقق على الأقل، أو إلى شعوب وأمم وطوائف كالهنود واليونان والنبط.. إلخ، أو ما وضع من أقلام الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وأقلام الصنعة والسيمياء ونحو ذلك.

ويبقى لدينا الأبواب: ***الأول والثاني والثامن***، ونجد في ***الباب الأول*** خمسة أقلام يمكن التعرف عليها بسهولة هي: الكوفي (الذي يخصصه بأنه الكوفي السوري) والمغربي (وهو عنده: المغربي الأندلسي)، ثم الهندي (الذي ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي عبارة عن أرقام تستخدم حروفًا مما هو مشهور تتفق جميعها في الأصل وتختلف قليلا في الشكل).

أما ***الباب الثاني*** فإننا نرى فيه: السرياني (وهو معروف) وكذا: العبراني واليوناني.

ولدينا ما يدعوه ابن وحشية: النبطي القديم، ولعله يقصد: الكلداني أو البابلي، وتتكرر التسمية في قلم آخر في الفصل السابع من الباب الرابع، ونلاحظ الاختلاف الواضح ما بين أشكال الحروف فيهما كما يختلفان ترتيبًا هجائيّا، ويزيد الثاني عن الأول ما اعتبره حرفًا، وهو اللام ألف «لا» ليصبح عدد حروفه تسعة وعشرين بدلا من

ثمانية وعشرين حرفًا المعتمدة في الهجاء العربي. وهناك: البرباوي، فإذا كانت النسبة إلى «البربا» وهي تسمية المعبد المصري المتبعة، والمقصود الكتابة الهيروغليفية، فإنه لا صلة إطلاقًا بينه وبينها، كذلك الأمر في: القلم المسند الذي خص الكتابة اليمنية القديمة بشتى لهجاتها في دراسة النقوش القديمة، ولم يتعرض ابن وحشية لتلك الكتابة مطلقًا ولم يذكرها قط، ولعل نعت «المسند» كان مجرد مصطلح سمع به ولم يعرف مأتاه، وذلك في (رسالة في الأقلام القديمة)[18] لمؤلف مجهول، إذ يعرض ١٤ نوعًا من «حروف المسند» لا علاقة لها بمسند اليمن. وثمة: القلم القمِّي، ومن الصعب التعرف عليه، بمقارنته بأي من الحروف المعروفة، ولا حتى بالحروف التي وردت بنفس التسمية (القمِّي) في الرسالة المذكورة.

ولعل *الباب الثامن* والأخير أهم ما في (شوق المستهام)، وقد تنبه يوسف همَّر، ناشر النص العربي مع الترجمة الإنكليزية، إليه فقال: «إن تفسير الرموز الهيروغليفية المعروضة في هذا الكتاب تستحق العناية؛ فالرواية عن طبقات الكهنة المصريين الأربع، وعن طرق تكريسهم وقرابينهم، ليست أقل باعثًا عن الاهتمام... من المؤكد أن هذا الكتاب، رغم أن العقل والخيال والحقيقة والخرافة قد تكون أسهمت بقسط متساوٍ في تأليفه، يجب أن يُنظر إليه باعتباره واحدًا من أطرف المخطوطات التي عُثِر عليها ضمن ذخائر الشرق وأكثرها إثارةً، وأن ترجمته [إلى الإنكليزية] كما هو المأمول ستعتبر هدية مقبولة إلى العلماء ومحبي الاطلاع».

كُتِب هذا الكلام قبل مائتي سنة، وبعدها كتب الدكتور عكاشة الدالي:

«يميز ابن وحشية (في هذا الكتاب) بعض العلامات الهيروغليفية باعتبارها رموزًا صوتية مع التعرف تعرفًا صحيحًا على بعض الحروف في صفحتي ٩٢ب، ٩٣أ (من نسخة باريس) وكذلك الصفحة ٩٣ب. ويتحدث ابن وحشية عن الحروف المصرية على رأي الهرامسة حيث إن ثمة ٣٨ حرفًا (عدد الحروف العربية ٢٨) ثم يعرض العلامة الهيروغليفية مع قيمتها الصوتية تحتها، وقد نسخت العلامات الثماني والثلاثون جميعها بصورة صحيحة، **وإن اثنتي عشرة علامة منها كانت بالتأكيد**

---

(١٨) انظر الملحق (٢).

مستعملة في الأبجدية المصرية، وربما أكثر من هذا إذا افترضنا أنه كان يستخدم الرموز الهيروغليفية في الفترة اليونانية / الرومانية إذ إن أغلب الهياكل السليمة التي تناولها عرب العصر الوسيط (الأوروبي) كانت تنتمي إلى ذلك العهد... في صفحة ٩٤أ، ٩٤ب يقرِّر (ابن وحشية) أسماء هذه الحروف، وهذا ما يظهر الحاجة إلى دراسة منفصلة مفصَّلة قد تساعد علماء المصريات على تأسيس النطق الصحيح للحروف القديمة، مع اعتبار التغيرات الطبيعية لقيمة الحروف الصوتية التي تحدث عبر مثل هذه المدة الطويلة من الزمان».

ويضيف:

«في قسم سابق من كتابه يقدم ابن وحشية قوائم طويلة لكلمات مكتوبة بالرموز الهيروغليفية كل منها يمثل نعتًا أو كناية، وفي الورقات ٥٦ - ٥٧ (من نسخة باريس) أمثلة جيدة حيث يميز ما بين الرموز المحدِّدة (للمعنى المقصود Determinatives) والحروف الهجائية، وعندما نقارنها بقائمة رموز السير (ألن غاردنر) يبدو واضحًا أن ابن وحشية قد درس فعلا مصادر مصرية أصلية، ولعله درس أيضًا أعمالا من مثل كتاب «هورابولّو» (هيروغليفكا Hieroglyphica) إذ هو يتابع أسلوبه؛ ففي الصفحة ٥٦ مثلا نرى أن العلامة وسط السطر الأعلى عُرفت بأنها «العدل»، وهذا تعريف صحيح طبقًا لما في قائمة غاردنر (Q٩ / Q٢٠) وكلتاهما تعبران عن الهياكل أو المعابد حيث مكان العدالة... وتظهر العلامة وسط السطر الأسفل من نفس الصفحة ذراعًا برمزين لحرف التاء بمعنى «التدبير». وهذا ما يتفق أيضًا مع قائمة غاردنر (D36ff). وفي الصفحة ٥٦ ب نرى أن الرمز على الجانب الأيمن من السطر الثاني يُبدي شخصًا جالسًا بيده سوط - بمعنى السلطنة (السلطة / السلطان)، ومرة أخرى نجد هذا متفقًا مع قائمة غاردنر (D36ff)» (الدالي، ص ٧١ - ٧٢).

هذه الملاحظات دفعتني إلى النظر بتمعن في ما يعرضه ابن وحشية من رموز هيروغليفية (يسميها حينًا: البرباوية، وحينًا آخر: الهرمسية) ومقارنة تفسيره لها بقائمة السير (ألن غاردنر) الشهيرة المعتمدة لدى علماء المصريات، يجدها القارئ في موطنها ضمن الملحق (١).

وصاحب الكتاب:

هو: أبو بكر أحمد بن علي بن المختار بن عبدالكريم بن جرثيا (بالجيم) الكسداني، الكلداني، من أهل قُسِّين، ويعرف بابن وحشية[19].

وهو: أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبدالكريم بن حرثيا (بالحاء المهملة)، أبو بكر، المعروف بابن وحشية، وينعت بالصوفي، كلداني الأصل، نبطي، من أهل قُسِّين[20].

وهو: أحمد بن علي بن قيس بن المختار بن عبد الكريم بن حرثيا بن بدنيا بن بوراطيا الكرداني (بالراء، والصواب بالزاي متعاقبة مع السين)، من أهل جنبلاء وقُسِّين، أحد فصحاء النبط الكسدانيين[21].

وقد غلب لقبه (ابن وحشية) على بقية صفته ونسبه (الصوفي، الحراني، الكسداني، الكلداني، النبطي) وهذه نسبة إلى اسم أنثى، فقد كان اسم «وحشية» معروفًا في العصر العباسي، ذكره أبو الفرج الأصفهاني عند حديثه عن بعض الجواري في مؤلفه الضخم (الأغاني)، فهو اسم مستعمل آنذاك إذنْ، ولسنا ندري السبب في أن يعرف صاحبنا بلقب «ابن وحشية» اللهم إلا أن يكون والده قد توفي في صغره وربته أمه فعرف بها، وهو الأمر الذي يحدث كثيراً.

ويقول ابن النديم إن معنى كسداني: نبطي (ص ٤٤٣). وقد ورد لقب «كشدي» (=كسْداني) بمعنى «كلدي» (= كلداني) في نقش يمني قديم يرجع إلى أوائل القرن الثالث الميلادي (مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص ٣٢٩، نقلا عن A. Jamme; The al-Uglah Texts, plate 1B).

وفي العبرية «كشديم»، صيغة جمع، تعني «الكلديين» (=الكلدانيين) وكانوا يسكنون «كلديا» جنوب بابل، والغالبين في بابل نفسها سنة ٧٢١ - ٥٣٩ ق.م. وكانوا يشغلون مناصب السلطة والسيادة فيها، وملأوا مناصب الكهنوت حتى أصبح اسم «كلداني» مرادفًا لاسم «الكاهن»، وكان شعب بابل في ذلك الحين يعتقد أن هؤلاء الكهان يمتلكون ناصية الحكمة ولهم معرفة سحرية ومقدرة فائقة على العرافة والكهانة والتنجيم ومعرفة الغيب، ومن ضمن ملوكهم المشهورين: نبوخذنصر، وبلطشاصر.

---

(١٩) كحالة؛ معجم المؤلفين.

(٢٠) الزركلي؛ الأعلام.

(٢١) ابن النديم؛ الفهرست، ط. المكتبة التجارية، ص ٥٠٤.

(قاموس الكتاب المقدس، ص ٧٨٥).

وتقول بعض المصادر إن الكلدانيين أو الكلديين، نسبة إلى «كلدو» وهم فرع من الآراميين الذين كانوا بدواً في بادية الشام، تسللوا إلى مملكة آشور في شمال الرافدين ثم زحفوا إلى بابل، ونجحوا في غضون القرن التاسع ق.م. في تكوين ست إمارات في أقصى الجنوب من العراق هي: لاراك وبيت دكوري (أو بيت أديني) وبيت شلاني وبيت شعلي وبيت يكيني. وكانت هذه الإمارات في صراع دائم مع الآشوريين والبابليين، حتى أواخر القرن السابع ق.م. حين تمكن نبوفالصر من تكتيل البابليين وهاجم آشور ودمر العاصمة نينوى وكوّن دولة موحدة في العراق عرفت باسم الدولة البابلية الجديدة، انضوى تحت لوائها الكلدانيون (الآراميون العراقيون) واندمجوا في بقية السكان (حسن ظاظا؛ الساميون ولغاتهم، ص١٠٥ - ١٠٩).

أما صفة «النبطي» فترجع إلى النبط أو الأنباط وكانوا يتكلمون الآرامية بلهجة خاصة، عاشوا في بادية شرق الأردن وكانت عاصمتهم مدينة «سلع» التي عرفت باسم «البتراء» كذلك (من اليونانية Petra= صخر) كما انتشروا تُجاراً في بُصرى بإقليم حوران في جنوب سوريا. وقد انتشر هؤلاء النبط من مدائن صالح إلى العُلى ومن شرق الأردن وحوران إلى منطقة صيدا كما انتشروا في شبه جزيرة سينا. وكانوا قد أخذوا الأبجدية عن الآراميين عن الكنعانيين ثم طوروها وحولوها من كتابة منفصلة إلى كتابة متصلة الحروف، وبهذا أراحوا الكتاب من كتابة كل حرف على حدة ومن وضع خطوط رأسية أو نقط لتحديد حدود كل كلمة أو ترك مسافات بيضاء بين كل كلمة وأخرى، وعنهم أخذ العرب الكتابة التي ما زلنا نستعملها حتى اليوم (ظاظا؛ الساميون... ص ١١٣ - ١١٤).

الكلدانيون هم الذين يسمون الصابئين والحرنانيين نسبة على غير قياس إلى «حران» كنسبة المنانية إلى ماني وهم أيضًا المانوية، وفي مصادر أخرى: الحرانيون، وبقاياهم بحرّان والعراق، ويزعمون أن نبيهم بوذاسف[٢٢] الخارج في بلاد الهند، وبعضهم

(٢٢) لعل المقصود هو «بوذا» الهندي مؤسس الديانة البوذية (٥٦٣ - ٤٨٣ ق.م). ومعنى الاسم: المنير/ المستنير. كان من أسرة عريقة، اشتغل بالتعليم في بداية حياته، ثم نذر نفسه لخلاص العالم وأصبح رجلا مقدسًا وصار بعدها مؤلهًا ثم إلهًا يُعبد. وقد انتشرت البوذية في الهند والصين واليابان ولها تأثير واسع حتى عصرنا هذا.

يقول: هرمس. فأما بوذاسف فقد كان في أيام طهمورث الملك وأتى بالكتابة الفارسية، وسمي هؤلاء صابئين في أيام المأمون[٢٣] - فأما الصابئون على الحقيقة ففرقة من النصارى[٢٤] (الخوارزمي؛ مفاتيح العلوم، ص ٢٥).

وقد عُرِفت «حرّان» عند اليونان في صورة Carrhae. وهي مدينة عتيقة جداً نحو ٢٥ ميلا جنوب غرب مدينة «الرها»، وكان بها معبد شهير للإله البابلي القديم «سن» إله القمر، وكان أول ذكر لها ولهذا المعبد في أحد ألواح «ماري» حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م. وكانت «حران» عاصمة إدارية ومدينة تجارية مهمة، محصنة، أيام الإمبراطورية الآشورية، وقد اكتشفت فيها أواسط القرن العشرين نقوش ترجع إلى عهد الملك البابلي «نبوخذنصر»، ونظراً لأهميتها وموقعها فقد تبودلت كثيراً بين الأطراف المتصارعة من يونان وفرس ورومان، ومن المفيد أن نذكر أن الإمبراطور سبتيميوس سيفروس هو الذي أسبغ عليها ميزة «المدينة الحرة» كما كرمها ابنه الإمبراطور كراكلا الذي اغتيل في أثناء زيارته لمعبد الإله «سن» بها سنة ٢١٧م. وقد تبادلتها من بعد أيدي الفرس والبيزنطيين حتى جاء العرب والمسلمون وفتحوها سنة ٦٣٩م. ومنذ ذلك العهد قطنها النصارى والصابئة معًا، ولا تزال بقايا آثار أسوارها القديمة، أما القلعة والمسجد فهما من المنشآت الإسلامية بعد الفتح (The Oxford Classical Dictionary).

ولا يفرق المسعودي بين النبط والسريانيين والكلدانيين في كتابه (التنبيه والإشراف)، فعنده أن النبط هم السريانيون (ص ١٩٧) والكلدانيون هم السريانيون المسمَّون النبط (ص ١٨٤)، وهو يقصد البابليين حين يذكر غلبة الفرس على مملكة النبط (ص ١٨٢) ويتحدث عن «مجاورة سكان العراق وهم النبط للفرس» (ص ١٨٢)، وهذا القول يراد به جعل الصابئين من أهل الكتاب.

---

(٢٣) انظر (الفهرست) ص ٤٤٥.

(٢٤) يتفق عدد كبير من المؤرخين على أن زرادشت، مؤسس الديانة الفارسية المنسوبة إليه، ظهر في نفس زمان ظهور بوذا الهندي، وقد ساعده الأمير «فشتسبا» والد الملك «دارا» (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م). أما «طهمورث» فقد تكون تحريفًا لـ«كيومرث» (أو: جايومرت، أو: كيومرد) وهو في الزرادشتية «الإنسان الأول» الذي خلقه «أهورا مزدا» والعجل معًا من الأرض. (انظر: د. محمد العريبي؛ الديانات الوضعية المنقرضة، ص ٢٠٩، ٢٢٣).

ونجد عند ابن النديم حديثًا مفصلا عن الصابئين أو الصابئة، ويسمون كذلك: الحرانية الكلدانيين، ذكر فيه أهم معتقداتهم ونبذًا عن طقوسهم الدينية الغريبة يظهر منها أن مذهبهم كان مزيجًا من الأفكار البابلية والأفلاطونية وآراء أرسطو إلى جانب معتقدات غنوصية غامضة. قال، نقلا عن أحمد بن الطيب حكاية عن الكندي:

«اجتماع القوم على أن للعالم علة لم يزل واحدًا لا يتكثر، لا تلحقه صفة شيء من المعلولات، كلف أهل التمييز من خلقه الإقرار بربوبيته، وأوضح لهم السبيل، وبعث رسلا للدلالة وتثبيتًا للحجة، أمرهم أن يدعوا إلى رضوانه ويحذروا من غضبه، وعدوا من أطاع نعيمًا لا يزول، وأوعدوا من عصى عذابًا واقتصاصًا بقدر استحقاقه، ثم ينقطع ذلك. وقد حكي عن بعض أوائلهم أنه قال: يعذب الله إلى تسعة آلاف دور[٢٥]، ثم يصير إلى رحمة الله، وأن يخص هؤلاء القوم الذين دعوا إلى الله وإلى الحنيفية التي يقسمون بها، وإن مشهوريهم وأعلامهم: أراني، وأغاثاذيمون وهرميس، وبعضهم يذكر سولون جد أفلاطون الفيلسوف لأمه، ودعوة هؤلاء القوم كلهم واحدة وسننهم وشرائعهم غير مختلفة»، (الفهرست، ص ٤٤٢).

ويضيف ابن النديم:

«وقال الكندي إنه نظر في كتاب يقرُّ به هؤلاء القوم، وهو مقالات لهرمس في التوحيد، كتبها لابنه على غاية من التقانة في التوحيد، لا يجد الفيلسوف، إذا أتعب نفسه، مندوحة عنها والقول بها»، (ص ٤٤٥).

وقصة الكتاب:

في كتابه المعنون (البُرنُس في باريز)[٢٦] وهو عن رحلة قام بها من مدينة القيروان

---

(٢٥) هذه فكرة زرادشتية تقول إن «زرفان»، إله الزمان، ولد ابنين أحدهما «أهريمان»، إله الظلام والشر، والآخر «أهورا مزدا»، رب النور والخير، وإن «أهريمان» جُعل ملكًا لمدة تسعة آلاف سنة، وجُعل «أهورا مزدا» يحكم فوقه، وبعد المقرر من هذه السنين الآلاف التسعة سوف يملك أهورا مزدا ويأتمر كل شيء بإرادته. أي أن الخير يسود في النهاية. (العريبي؛ الديانات الوضعية المنقرضة، ص ٢٠٨).

(٢٦) البرنس في باريز، المطبعة الرسمية بتونس ١٩١٤. ص ٢٢٣. و«الورتتاني» بتائين متواليتين في الاسم بالحروف العربية أما بالحرف اللاتيني فقد جاء في صيغة El-Ouartani = الورتاني – بتاء واحدة.

إلى بلاد فرنسا والسويد سنة ١٩١٢ف، يذكر مؤلفه محمد المقداد الورتتاني أنه شاهد المسلة التي جيء بها من الأقصر في بلاد الصعيد إلى باريس سنة ١٨٣١م. ويقول: «كما عجبت من الصور والخطوط المرسومة بها واختلاف أذواق البشر في طرق الكتابة واشتقت إلى كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) لأحلَّ به معمَّى الكتابة، ومن الأسف أن هذا الكتاب لم ينشر إلى الآن بين أبناء العربية».

ولم يعرِّفنا الورتتاني ما إذا كان اطلع على الكتاب الذي «اشتاق إليه» ومتى، وأين، وماذا وجد فيه من بغيته، أم أنه لم يفعل؟ لكنه لا شك كان على علم بوجوده في باريس نفسها، بحكم عبارته ذاتها، وهو قد يكون استقى هذه المعلومة من مؤلف آخر سبقه بالكتابة بنحو ثمانٍ من السنين؛ إذ هو يضيف:

«ونص ما قال محمد رشدي المصري في شأنه عام ١٣٣٨ (هجرية): قد سبق العربُ علماءَ أوربا في حل رموز الخطوط القديمة وترجمة كتبها إلى اللغة العربية، ولا إخال أن أوربا توصلت إلى حل رموز الآثار والوقوف على علوم من سبق من الأمم إلا بواسطة كتب العرب، وترجمتها إلى لغتهم، فمن ذلك ما رأيته بعيني وطالعت فيه بنفسي، وهو كتاب (شوق المستهام إلى معرفة رموز الأقلام) لأحمد ابن وحشية النبطي المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية[٢٧] فإن مؤلفه جمع فيه صور الخطوط القديمة التي تداولتها الأمم الماضية وترجمها جميعها إلى اللغة العربية، ووضعها بطريقة يسهل للمطلع عليها أن يترجم ما على الآثارات من الكتابة على اختلاف أنواعها إلى اللغة العربية في زمن لا يتجاوز الساعات عدًّا».

ثم يضيف محمد رشدي المصري بصورة قاطعة:

«ودليلي على ذلك درسي هذا الكتاب[٢٨] في أربع ساعات».

قال:

«بعد وقوفي على هذا الكتاب ودرسي إياه في زمن لا يتجاوز أربع ساعات أمكنني أن أترجم من الكلدانية القديمة إلى العربية وأكتب بها، وبالعكس أيضًا، ومن اليونانية

---

(٢٧) انظر تحقيق وفاته في ما يلي.

(٢٨) الأصل: في هذا الكتاب.

القديمة إلى العربية، وبالعكس أيضًا، وقس على ذلك باقي اللغات المدونة به، بدون سابق معرفة لي بإحداها أو سؤال معلّم فيها».

وقد يحق لنا التشكيك في هذا الأمر لأسباب كثيرة، أهونها أن نقل حروف لغة ما إلى حروف لغة أخرى لا يعني ترجمة اللغة ذاتها أو فهم معاني مفرداتها، وأن عملية النقحرة (أي نقل الحروف من لغة إلى أخرى) تحتاج إلى حاسوب دقيق لم يكن قد ابتدع بعد في أوائل القرن العشرين، وهو لم يكتف بـ(الترجمة) من الكلدانية واليونانية إلى العربية، وبالعكس أيضًا، بل يقيس على باقي «اللغات» المدونة - ولعله يقصد «الحروف» - بدون سابق معرفة بإحداها أو سؤال معلّم فيها[٢٩].

وإذا كان محمد رشدي المصري قد بالغ قليلا في ادعائه فإن له ملاحظة قيمة تدل على معرفته بقيمة الكتاب وأثره، قال وهو يختم حديثه:

«فرحم الله هذا العربي الذي سهّل لمن يأتي بعده من الأمم طريق الوقوف على أسرار من مضى، وهنيئًا لعلماء أوربا الذين ترجموا هذا الكتاب إلى لغتهم، فقد ترجمه الإنكليز منذ مائة وعشرين سنة، ووقفوا بواسطته على آثار الأمم الماضية وعلى تاريخ حياتهم، كذلك باقي طوائف أوربا، فأعمال المستشرقين ووقوفهم على حل رموز الآثار ما هي إلا نتيجة بحثهم في هذا الكتاب ووقوفهم عليه وإخفائه عنا حتى لا نسبقهم فيه»[٣٠].

ويبدو أنه يشير إلى ترجمة (يوسف هَمَّر) التي نشرت سنة ١٨٠٦، وإذا كانت رحلة الورتتاني التي اطلع فيها على كتاب محمد رشدي المصري سنة ١٩١٢ فلا جدال في أن هذا الكتاب نُشِر قبل هذا التاريخ، وهذا يعني أنه لم تمر مائة وعشرون سنة على

---

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣٠) قد يبدو هذا القول غريبًا لكنه ليس أغرب مما يروى عن الخليل بن أحمد الفراهيدي من أن «ملك اليونانية كتب إليه كتابًا باليونانية، فخلا بالكتاب شهرًا حتى فهمه، فقيل له في ذلك، فقال: قلت إنه لا بد له من أن يفتتح الكتاب بسم الله أو ما أشبهه، فبنيت أول حروفه على ذلك، فاقتاس لي. فكان هذا الأصل الذي عمل له الخليل كتاب (المعمّى)»، كما ورد في (طبقات النحويين واللغويين). علم التعمية... ص ١٥٠.

ولا ريب في أن هذا الخبر مختلق من أساسه لسبب بسيط هو أن اليونان لم يكونوا يفتتحون كتبهم بـ«بسم الله» أو ما أشبهه!

ترجمة هَمَّر. هل كانت ثمة ترجمة إنكليزية أخرى قبلها؟ سؤال يظل معلقًا. وإذا كانت الترجمة الإنكليزية لكتاب ابن وحشية قد عرفت فمن يعني بـ «باقي طوائف أوروبا» ممن ترجم الكتاب إلى لغات غير الإنكليزية؟ الفرنسيين؟ الألمان؟ أم سواهم؟ فما من ريب في جهد المستشرقين للوقوف على حل رموز الآثار بواسطة هذا الكتاب بالذات الذي أثار ضجة كبيرة عند الإعلان عن اكتشافه، ووقوفهم عليه، وقد يكون الرجل مصيبًا في قوله: إن المستشرقين عمدوا إلى «إخفائه عنا حتى لا نسبقهم فيه»، ولكن ألم يكن الكتاب بين أيدينا من قبل أن يستولوا عليه ويسبقونا إليه؟!

يرى مؤلف حديث وهو يستعرض تواريخ فك رموز الكتابات الشرقية القديمة، أن حل النقوش السبئية الحميرية في جنوب الجزيرة العربية كان سهلا يسيراً؛ لأنّ خط المسند، وهو خط هذه النقوش هو أصل الخط العربي الشمالي، «وقد يكون الفضل في حل رموز هذه الكتابة لأحمد ابن وحشية النبطي، كما سيأتي، وكذلك الحسن بن أحمد الهمداني»[٣١].

وفي كتاب أحدث نقرأ:

«وأما ابن وحشية المتوفى سنة ٢٩٦هـ[٣٢] فقد ترك لنا مؤلفه النفيس (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)، وكان من حسن الطالع أن تسلم مخطوطته من عوادي الزمن، وأن يكتشفها في وقت مبكر المستشرق J. Hammer الذي ترجمها إلى الإنكليزية ونشرها باللغتين (العربية والإنكليزية) عام ١٨٠٦م، كما نشر (سلفستر دي ساسي) Sylvestre de Sacy دراسة عنها في باريس سنة ١٨١٠م، وكانت فيما يبدو من أهم المساعدات للعالِم (شامبليون) J. F. Champollion في كشفه أشكال اللغة الهيروغليفية[٣٣]، إذ كان معاصراً لتلك الدراسة وعلى تنافس كبير مع كاتبها».

---

(٣١) فوزي سالم عفيفي؛ نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية، وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٠م. ص ٧٤. ومسألة كون الخط العربي الشمالي متطوراً عن المسند فيها نظر. أما الهمداني فهو المؤرخ اليمني المعروف صاحب كتاب (الإكليل) وغيره (ت. ٣٣٤هـ) وكان يقرأ حرف المسند وأورد منه نماذج في كتابه المذكور، وإليه استند المستشرقون في فك رموز ما كتب من آثار اليمن بهذا الحرف.

(٣٢) انظر تحقيق وفاته في ما يلي.

(٣٣) يقصد اللغة المصرية. وفي ص ٥٠ ذكر أنه جورج هامر. أما الهيروغليفية فتعني كتابتها.

ثم نقرأ:

«لقد اشتملت مخطوطة ابن وحشية على دراسة جامعة تناول فيها الأقلام واللغات القديمة والسائدة في عصره بهدف حصرها ومعرفة ما كتب فيها، وضمنها ٩٣ ألفبائية لشعوب سامية ويونانية وهندية ومصرية قديمة وغيرها، كما جمع في كتابه هذا ما وقع له من الأقلام المستعملة، وما اطلع عليه في ترحاله وتجواله في بلاد الشام ومصر»(٣٤).

* * *

وفاته:

تذكر بعض المصادر أن أحمد ابن وحشية توفي سنة ٣٢٢هـ، (الورتتاني، ص ٢٢٣) ويقول غيرها إن وفاته كانت سنة ٢٩٦هـ، (كحالة)، بينما يكتفي آخر بالقول إنه مات بعد سنة ٢٩١هـ، (الزركلي).

ويقول عفيفي (نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية، ص ٧٥) نقلا عن مصادر أخرى: «واختلفوا في تاريخ وفاته، علماً بأنه عاش في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة».

وأورد د. إبراهيم السامرائي نقلا عن (كتاب سفينة الراغب) أن ابن وحشية ترجم (كتاب الفلاحة النبطية) عن الكسدانية أو النبطية - والمقصود البابلية القديمة.. كما قال - إلى العربية عام ٢٩١هـ، (=٩٠٣م) وأملاه عام ٣١٨هـ، على تلميذه أبي طالب الزيات، (انظر: السامرائي؛ رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ، ص ٢٩١).

غير أن ابن وحشية نفسه يقرر في خاتمة (شوق المستهام) أنه جعل كتابه ذخيرة لخزانة الكتب «يوم الخميس المبارك، ثالث شهر رمضان سنة إحدى وأربعين ومائتين».

فإذا لم يكن ثمة تحريف من الناسخ فإنَّه من المستبعد القول بأنه توفي سنة ٣٢٢هـ، (أي في الربع الأول من القرن الرابع) لبعد الزمان ولأن هذا يستوجب أنه عمر طويلا

---

(٣٤) مراياتي، الطيان، ميرعلم؛ علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٧م. وذكر كاتب النص (أو المؤلفون) الهامش (ص ٥٨) أنه «أتيح لنا الاطلاع على مخطوط (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) لابن وحشية في المكتبة الوطنية بباريس. وقد صح العزم على النهوض بتحقيقه ونشره. إن شاء الله تعالى». وفي ص ٥٠ من نفس المصدر يذكر أن رقم المخطوط في المكتبة الوطنية بباريس هو ٦٨٠٥.

جداً، وهو ما لم يعرف عنه، كما أن من المستبعد أيضًا القول بأنه «عاش في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة» إذ يكون بهذا سبق تقديم الكتاب بأكثر من مائة عام، ويبقى القول المحتمل أنه توفي بعد ٢٩١هـ، وقد يكون العام ٢٩٦هـ، مقبولا.

إشكالات:

إن أمامنا نصًّا في خاتمة (شوق المستهام) يحتاج إلى نظر، فهو يقول - بعد أن قدم (صفة قلم آخر من الأقلام القديمة):

«وقد رأيت في بغداد، في ناووس، من هذا الخط نحو ثلاثين كتابًا، وكان عندي منها بالشام كتابان (الأصل: كتابين)؛ كتاب في أفلاح (كذا.. والمقصود: إفلاح أو فلاحة) الكرم والنخل، وكتاب في علل المياه وكيفية استخراجها واستنباطها من الأراضي المجهولة الأصل، فترجمتها من لسان الأكراد إلى اللسان العربي؛ لينتفع بها أبناء البشر. وكنت قبل هذا ما تممته (الأصل: لم تممته) فلما يسر الله لي إتمامه في إحدى وعشرين علقًا (كذا، وسنناقش هذه الكلمة فيما يلي) جاء بحمد الله وعونه في[٣٥] المراد والمقصود، بعون الرب المعبود، وجعلته ذخيرة (الأصل: دخيرة) لخزانة حضرة أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان - متعه [الله] بسعادة دولته، وأقام عماد الدين بشوكة ملكه وسلطنته - يوم الخميس المبارك ثالث شهر رمضان سنة إحدى وأربعين ومائتين، والحمد لله وحده. تم».

هذه الخاتمة تثير جملة من التساؤلات:

١ - ترجم الرجل كتابين، أحدهما في الفلاحة والآخر في استنباط المياه، من الكردية إلى العربية «وكنت قبل هذا ما تممته»، فهل المقصود بالإتمام كتابه (شوق المستهام) أم ما ترجمه عن الكردية؟

إن العبارة تحتمل الوجهين، إذ هو لم يُشِر إلى كتابه هذا، بل تمضي عبارته مكملة لما قبلها من حديث ترجمته.

٢ - ثم يضيف: «فلما يسر الله إتمامه في إحدى وعشرين علقًا» بالفاء المفردة في نشرة همّر ومخطوط طهران.

---

(٣٥) لعل الأصوب: وافيًا بالمراد.

والمشكلة تكمن في كلمة «علفًا» وفيها احتمالات؛ فهي قد تكون تصحيفًا من النساخ، أو من ناشر الكتاب ذاته (يوسف همر) لكلمة «عامًا»، فنقرأ العبارة: «فلما يسر الله إتمامه في إحدى (المفروض: واحد) وعشرين عامًا» كما جاء في مخطوط باريس. وقد يكون سبب هذه المدة الطويلة التي استغرقها إنجاز الكتاب، الذي لم يتممه قبل هذا، توقفه عن المضي فيه، إما لبحثه عن مختلف أنواع الأقلام التي سجلها، أو لعارض آخر لا ندريه.

وهذا مستبعد؛ إذ ثبت أنه ترجم كتاب (الفلاحة) عن الكلدانية (ويقال: عن النبطية، كما يُقال: عن الكردية) إلى العربية سنة ٢٩١هـ، حسب تقرير الزركلي في (الأعلام)، فإذا قبلنا أنه أودع (شوق المستهام) في الخزانة، أيًّا كانت، سنة ٢٤١هـ. فإن خمسين عامًا على الأقل تكون قد مرت ما بين الكتابين. وإذا قبلنا أنه ظل يعالج كتاب (شوق المستهام) إحدى وعشرين سنة فهو بدأ في تأليفه إذن قبل سبعين عامًا على الأقل من وفاته، وقد تكون خمسة وسبعين عامًا؛ إذ يُقال إنه توفي سنة ٢٩٦هـ، وحتى مع افتراض أنه عمر حتى جاوز التسعين أو قارب المائة فمن غير المعقول أن يشرع في تأليف كتاب مثل (شوق المستهام) بما فيه من مادة غزيرة تدل على عميق خبرة وطول باع ومعرفة بأنواع الخطوط ومختلف مجالات العلوم الصنعوية والفلكية واللغوية، وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة أو العشرين من عمره. وقد نقرأ الكلمة «يومًا»؛ إذ «يسر الله إتمامه في واحد وعشرين يومًا» فقط ليس غير، ولعل إثباته هذه السرعة في الإنجاز يرجع إلى إهماله الكتاب مدة غير محددة، ثم واتته الهمة فأسرع في ما شرع فيه يكمله ويتممه وينهيه، أما الاحتمال الثالث فهو أن تكون كلمة «علفًا»بالفاء الموحدة (علقًا – على التمييز بالقاف الثنائية) تعبيرًا اصطلاحيًا في تقسيم الكتاب، مثلما نقول: باب كذا، أو الباب الأول.. ونحوها، وقد لاحظت في ما ذكره (والس بدج)[٣٦] عن المعجم القبطي – العربي المُسَمَّى «السُلَّم الكبير» لمؤلفه (ابن كَبَر) أنه سمَّى كتابه بالقبطية «تنشت م موكي»[٣٧] Tnisht m moki، ودعا كل

---

(٣٦) - W. Budge; An Egyptian Hieroglyphic Dic., part 1, p.xxvii

(٣٧) التاء الأولى في كلمة (تنشت) للإشارة أصلا استعملت في القبطية أداة تعريف. و(نشت) = العربية (نَشطٌ) أي: نشيط، قوي، كبير. والميم بين الكلمتين للإضافة. حرفيًا: «نَشطُ المرقى» أي «المرقَى النشط» = السُلَّم الكبير.

فصل من فصوله «موكي» moki أو «مويكي» moyki، وهي كلمة محرفة عن المصرية القديمة m'aqa (مأقا) والهمزة فيها مبدلة من الراء = العربية «مَرْقى»، «مرقاة» أي درج، سُلَّم. وجاء في مادة «علق» في (لسان العرب) لابن منظور: «معلاق الباب: شيءٌ يعلَّق به ثم يُدفع المعلاق فينفتح... والعَلَق: كل ما عُلِّق»، فلعل كلمة «علق» تعني فصلة أو فقرة من كل «باب» من أبواب الكتاب متعلقة به.

يؤيد ما نذهب إليه أن بعض المؤلفات كانت تُسمى (التعليقات)، ومن ذلك (كتاب التعليقات) لأصطفن الراهب حسب ما يورده ابن النديم (الفهرست، ص ٥٠٦) و(كتاب التعليقات) للإخميمي (ص ٥٠٥) وقد يؤيده ما يذكره ابن النديم وهو يعدد مؤلفات ابن وحشية عن «كتاب يحتوي على عشرين كتابًا، أول وثان وثالث، وعلى الولاء (أي يليه) نسخة الأقلام التي يكتب بها كتب الصنعة والسحر» (الفهرست، ص ٥٠٤)، ومن الواضح أن الكتاب الذي «يحتوي على عشرين كتابًا» إنما يحتوي على عشرين قسمًا (أو: علقًا) يليه كتاب آخر هو «نسخة الأقلام التي يكتب بها كتب الصنعة والسحر» - والواضح أن المقصود هو «شوق المستهام» الذي لم يذكره ابن النديم بالاسم - فيكون المجموع واحداً وعشرين كتابًا - أو علقًا كما ورد في نص ابن وحشية ذاته.

٣ - فإذا صرفنا النظر عما سبق واعتبرنا أن المقصود هو الكتاب الذي بين أيدينا نجده يقول: «جاء بحمد الله وعونه في المراد والمقصود بعون الرب المعبود». قال: «وقد جعلته ذخيرة لخزانة حضرة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، متعه [الله] بسعادة دولته وأقام عماد الدين بشوكة ملكه وسلطنته، يوم الخميس المبارك ثالث شهر رمضان سنة إحدى وأربعين ومائتين».

والصياغة اللغوية هنا تبدو بعيدة عن أسلوب القرن الثالث الهجري مثل تعبير «حضرة أمير المؤمنين» و«سعادة دولته» و«شوكة ملكه وسلطنته»، ناهيك بأن تكون من لغة العصر الأموي.

هذا أولا أما ثانيًا فإنه من المستحيل أن تكون للخليفة الأموي عبدالملك بن مروان (الذي تولى الخلافة من سنة ٦٦ إلى سنة ٨٦ هجرية) أية صلة بالكاتب والكتاب، إذ إن بين الرجلين ما يقرب من قرنين من الزمان، ولم يذكر عن عبدالملك بن مروان أنه أنشأ خزانة للكتب، كما أن عصر الترجمة العلمية لم يزدهر ازدهاره المعروف إلا على

أيدي العباسيين، وفي عهد المأمون بالذات (٢٠٩ - ٢١٨هـ).

وإذا كان صحيحًا أن هذا الكتاب قدمه مؤلفه لما يمكن تسميته (خزانة الكتب العامة) وفي التاريخ المسجل، فلن يكون هذا التقديم في عهد عبدالملك بن مروان ولا في عهد المأمون، بل في عهد المتوكل الذي تولى الخلافة سنة ٢٣٣ - ٢٤٧هـ، إذ قُدِّم الكتاب سنة ٢٤١هـ، أي قبل وفاة المتوكل بست سنوات.

الغريب في الأمر أن (يوسف همر) يعيد القول بأن المؤلف أودع كتابه مكتبة الخليفة عبدالملك بن مروان الذي «نافس سلفيه العظيمين هارون الرشيد والمأمون في تشجيع تقدم العلوم وترجمة المؤلفات الرياضية والفلسفية من اليونانية والسريانية إلى العربية» وكان «واحدًا من أبرز المتنورين في دولته» - في بداية مقدمته، ثم يعتريه الشك في خاتمة نفس المقدمة فيقول: «يذكر المؤلف إيداعه كتابه في خزانة عبدالملك عام ٢٤١هـ. وقد حكم الخليفة المذكور أواسط القرن الأول من الهجرة، ومن المستحيل التوفيق بين التاريخين»، ثم يعلّل: «اللهم إلا إذا كان ثمة مؤسسة عامة لخزانة أو مكتبة أنشأها الخليفة [عبد الملك] وكانت لا تزال تحمل اسمه، حيث أودع ابن وحشية كتابه سنة ٢٤١هـ. بعد موت الخليفة بمدة طويلة». قال: «خاصة وأن جميع أبحاثي لأن أعثر في أي مصدر آخر عن الزمن الذي عاش فيه ابن وحشية قد باءت بالفشل».

ويوسف همّر معذور إذ لم تتوفر له المصادر في أيامه (بداية القرن التاسع عشر) عن حياة ابن وحشية والزمن الذي عاش فيه، لكنه لا يعذر في اعتباره عبدالملك بن مروان «منافسًا لسلفيه العظيمين هارون الرشيد والمأمون» وكونه «واحدًا من أبرز المتنورين في دولته». فلا هو خلف للرشيد والمأمون، ولم يكن من «المتنورين» ولا مشجعًا لتقدم العلوم وترجمة المؤلفات الرياضية والفلسفية من اليونانية والسريانية إلى العربية.

أما افتراض وجود «مؤسسة» عامة لخزانة ومكتبة أنشأها الخليفة [عبدالملك] وكانت لا تزال تحمل اسمه حيث أودع ابن وحشية كتابه، فافتراضٌ لا يقوم على أساس، أولا لأن عبدالملك، بقدر ما نعلم، لم ينشئ مكتبة عامة[٣٨]. وثانيًا، حتى لو فعل فإنه من

---

(٣٨) وإن كان يُذكر أنه هو الذي نقل (الديوان) من الرومية (=اليونانية) إلى العربية. فإنه أمر سرجون (كاتب ديوان بالرومية) بأمر فتراخى فيه، فأحفظ عبدالملك، فاستشار سليمان بن سعد فقال له: أنا أنقل الديوان وأرتجل منه (الفهرست، ص ٣٣٩).

المستحيل أن تبقى حاملة اسمه. وأين؟ في بغداد (التي بناها الخليفة المنصور العباسي، ولم تكن موجودة أصلا أيام عبد الملك ولا أيام خلفاء بني أمية أجمعين). وحتى على افتراض أن المكتبة كانت في دمشق فإن من المستحيل أن يبقي بنو العباس على اسم عبدالملك بن مروان الأموي علماً عليها.

ما الحل إذن؟

في تصوري-أن الخليفة المقصود عند ذكر (خزانته) التي أودع فيها أصل الكتاب هو الخليفة العباسي المتوكل على الله، كما سبق القول، ولعل ورود اسم عبد الملك بن مروان كان خطأ من الناسخ، أو خطأ مقصوداً من ناسخ ذي نزعة أموية أراد أن يُحيي ذكر الخليفة الأموي.

فإن كان لا بد من صلة بواحد من بني مروان فهو خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان يسمَّى «حكيم آل مروان» ويذكر ابن النديم أنه «كان فاضلا في نفسه، وله همة ومحبة للعلوم، خطر بباله الصنعة فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصح بالعربية، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة». (الفهرست، ص ٣٣٨).

لكن الأرجح أن ورود اسم «عبدالملك بن مروان» بدلا من «المتوكل» جاء نتيجة خطأ من الناسخ، وهو ما حدث في كتاب آخر منسوب إلى الفيلسوف اليوناني (أرسطو) باسم «سر الأسرار.. السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة»[٣٩] الذي نشرته (دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٨٠) بمقدمة مطولة بقلم سامي سلمان الأعور الذي ذكر أنه من بين نسخ (سر الأسرار) هذا نسخة كتبها الشيخ محمد الشيرازي، الجد الأعلى للشاعر الفارسي صدر الدين الشيرازي، سنة ٨٠٠هـ، (١٤٩٤م.) موجودة في جامعة برنستون الأمريكية تحت رقم ٤٦٢H ولكن مما يذكر أن العبد الضعيف محمد

---

(٣٩) ترجمة يحنا البطريق من اليونانية، ومراجعة يحنا بن ماسويه ويحنا الديمي و«قد اطلعا عليها وراجعاها مع مترجمها الأصلي فيما بعد وقد أصبح ذلك تقليداً علمياً مهماً في (بيت الحكمة) بعد مدة من إنشائه في العصر العباسي المتقدم وخاصة بالنسبة للترجمات المهمة». سامي الأعور، في تقديمه لـ (سر الأسرار)، ص ٥٣.

الشيرازي - كما يقول عن نفسه «أخطأ في ذكر اسم الخليفة المأمون بدلا من المتوكل» (ص ٥٣).

يضاف إلى ما سبق أن الخليفة المتوكل كان ذا عناية بالترجمة والمترجمين، وكان في بلاطه رجال من مثل يوحنا بن ماسويه[٤٠]، ويوحنا بن البطريق الذي يُقال إنه هو الذي جاء بكتاب ينسب لأرسطو يسمى «سر الأسرار» أو «السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة» بناءً على طلب المتوكل حين سمع به، وترجمه من اليونانية إلى العربية، (وقد نبَّه ابن النديم إلى أن كتاب «الفراسة» منحول إلى أرسطو وليس من مؤلفاته، الفهرست، ص ٤٣٦).

ونقطة أخرى مثيرة للاهتمام؛ فقد مر بنا ما ذكره ابن وحشية ذاته عند حديثه عن بعض الأقلام القديمة أنه رأى في بغداد نحو ثلاثين من أحد هذه الأقلام «وكان عندي بالشام كتابان».

فما الذي حمله إلى الشام حتى يكون له بها كتابان أحدهما في فلاحة الكرم والنخل والآخر في علل المياه، مكتوبان باللغة الكردية فترجمهما إلى العربية - حسب ما قرر؟

الأرجح، فيما نظن، أن ابن وحشية ربما كان مرافقًا للمتوكل؛ إذ من المعروف أن هذا الخليفة كان ذا نزعة استقلالية يخالف فيها من سبقه، فهو الذي ناصر أهل الحديث والسُّنَّة في انقلابه الشهير على المعتزلة الذين حظوا بالمكانة العالية في عهد المأمون، وحاول التخلص من سيطرة الأتراك الذين مكنهم المعتصم وغلبهم على العرب والفرس في جهاز الدولة والجيش. وهذه النزعة الاستقلالية هي التي جعلته يمضي إلى دمشق (العاصمة الأموية) ليتخذها عاصمة لملكه، حيث بقي فيها شهرين، غير أن مقامه لم يطل، إذ لم يلائمه جوها فيما يبدو، بيد أنه لم يعد إلى بغداد - كما هو المنتظر - بل اتخذ من المدينة الجديدة (سامراء) مقرًا له حتى مات.

* * *

---

(٤٠) انظر الهامش السابق، و«الفهرست» (ص ٤١١). ويروي ابن النديم أن: ابن حمدون النديم عبث بابن ماسويه بحضرة المتوكل فقال له ابن ماسويه: لو أن ما كان فيك من الجهل عقل، ثم قسم على مائة خنفساء، لكانت كل واحدة منهن أعقل من أرسطاطليس!

من المرجح جدًّا أن ابن وحشية زار مصر، حيث تعرف بالإخميمي فيما يبدو، بل لعل زيارته تلك كانت زيارة علمية ميدانية طاف فيها بالبرابي - كما كان يفعل ذو النون - وتعقب آثار الفراعنة ومخلفاتهم، حتى بلغ مصر العليا، إذ يقرر هو ذاته في (الخاتمة الفريدة) من (شوق المستهام) وهو يسجل «قلمًا قديمًا» تزعم فراعنة مصر أنه كان يستعمل قبل الطوفان «... وقد رأيت بأرض الصعيد نواويسًا وبرابي وأحجارًا مرقومة بهذا القلم».

مؤلفـــاته:

كتبه في صناعة الكيمياء (حسب الفهرست):

كتاب (الأصول) الكبير، في الصنعة.

كتاب (الأصول) الصغير، في الصنعة.

كتاب (المدرّجة).

كتاب (المذكرات)، في الصنعة.

كتاب يحتوي على عشرين كتابًا، أول وثانٍ وثالث (ولعله يقصد كتابًا من ثلاثة أجزاء في عشرين فصلا أو بابًا).

كتاب (نسخة الأقلام) التي يكتب بها كتب الصنعة والسحر (والأرجح أن المقصود هو «شوق المستهام»)، (الفهرست، ص ٥٠٤).

وفي (الفهرست، ص ٤٤١) أيضًا يأتي ابن النديم ضمن الكتب المؤلفة في التعاويذ والرُّقَى بكتاب (الرقى والتعاويذ) لأحمد ابن وحشية، وفي الفصلة التي خصصها للحديث عنه (ص ٤٣٣) يقول إن له من الكتب في السحر والطلسمات:

كتاب (طرد الشياطين) ويعرف بـ(الأسرار).

كتاب (السحر الكبير).

كتاب (السحر الصغير).

كتاب (دوار) على مذهب النبط، وهو تسع مقالات.

كتاب (مذاهب الكلدانيين في الأصنام).

كتاب (الإشارة)، في السحر.

كتاب (أسرار الكواكب).

كتاب (الفلاحة) الكبير والصغير.

كتاب (حاطوثي أماغي الكسداني في النوع الثاني من الطلسمات)، نقله ابن وحشية.

كتاب (الحياة والموت) في علاج الأمراض، لراهط بن سموطاني الكسداني.

كتاب (الأصنام).

كتاب (القرابين).

كتاب (الطبيعة).

كتاب (الأسماء).

كتاب (مفاوضاته) مع أبي جعفر الأموي وسلامة بن سليمان الإخميمي في الصنعة والسحر.

يورد كحالة (معجم المؤلفين) من مؤلفات ابن وحشية:

(السر والطلسمات).

كتاب (السحر الكبير).

(نزهة الأحداق في ترتيب الأوفاق).

(شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام).

كتاب (الفلاحة).

ويأتي الزركلي (الأعلام) بهذه القائمة مع مواطن وجود مخطوطاتها:

ترجمة كتاب (الفلاحة النبطية) (نقله عن الكلدانية سنة ٢٩١هـ) ونسخه العربية المخطوطة كثيرة منها في الرباط (٢٢٥ك) وفي طوبقبو (٣: ٧٩٠).

(أسرار الطبيعيات في خواص النبات).

كتاب (الأصول الكبير). في مكتبة مجلس شوري ملي بطهران.

(السر البديع). في مكتبة نور عثمانية بإستامبول (الرقم ٣٦١٣).

(أصول الحكمة). في مكتبة آيا صوفيا بإستامبول. (الرقم ٩٢٠).

(شوق المستهام). في مكتبة آيا صوفيا بإستامبول (الرقم ٩٢١).

(شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام). (مطبوع).

ويذكر ابن وحشية نفسه من مؤلفاته ثلاثة كتب في (شوق المستهام) هي:

كتاب (شمس الشموس وقمر الأقمار في كشف رموز الهرامسة وما لهم من الخفايا والأسرار). (مترجم عن النبطية).

كتاب في (إفلاح الكرم والنخل). (مترجم عن الكردية).

كتاب في (علل المياه وكيفية استخراجها واستنباطها من الأراضي المجهولة الأصل). (مترجم عن الكردية).

وينقل (يوسف همر) عن المصادر التي ذكرها في «مقدمته» أسماء ثلاثة كتب، هي: «سدرة المنتهى» (ترجمة عن النبطية)، «التعفينات»، (ترجمة - ولم تحدد اللغة المترجم عنها)، «الفلاحة النبطية»، (ترجمة عن النبطية).

ويذكر إدوارد فنديك في كتابه «اكتفاء القنوع بما هو مطبوع» (المنشور على نفقة إدارة مجلة «الهلال»، القاهرة ١٨٩٦م) كتاب «الفلاحة النبطية» الذي نقله ابن وحشية إلى العربية من الكلدانية، ويقول عنه إنه نبغ حوالي سنة ٢٩١هـ، وإنه أملى الكتاب المذكور سنة ٣١٨هـ. عَلَى عَلِي بن محمد الزيات وجعله على خمسة أجزاء (ص٢٣٠).

أخيراً.. يورد الدكتور عكاشة الدالي قائمة ذكرها الإدريسي (أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز) بأسماء المؤلفات التي كتبت عن مصر في كتابه (الأنوار العُلوية) ومن بينها كتاب (سِحْرُ النبط) لابن وحشية (El-Daly; Egyptology..., p. 183).

مسألة حروف العنبث:

يتحدث صاحب (الفهرست) معدِّداً مؤلفات ابن وحشية عن «نسخة الأقلام التي يُكتب بها كتب الصنعة والسحر، ذكرها ابن وحشية»، وهو لا ريب يعني (شوق المستهام)، قال:

«وقرأت نسخة هذه الأقلام بعينها في جملة أجزاء بخط أبي الحسن الكوفي، فيها تعليقات لغة ونحو وأخبار وأشعار وآثار وقعت لأبي الحسن بن التنح (الفتح؟) من كتب بني (ابن؟) الفرات، وهذا من أظرف ما رأيته بخط ابن الكوفي بعد كتاب (مساوئ العوام) لأبي العنبس الصيمري».

هو إذن رأى جملة أجزاء خليط في مختلف الموضوعات، من بينها جزء هو «نسخة الأقلام التي يكتب بها كتب الصنعة والسحر [...] ذكرها (أي الأقلام) ابن وحشية»، وهو قرأ «نسخة هذه الأقلام بعينها» ويورد شيئًا مما جاء فيها أو عنها، وذكر ما يلي: «حروف الفاقيطوس: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ لا ي».

«حروف المسند: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ لا ي».

ولا جدال في أن حروف (الفاقيطوس) مصحفة القاف عن الباء (الفابيطوس)، هي ذاتها التسمية اليونانية: «ألفابِتوس» Alphabetos أو «ألفابِتِكوس» Alphabetekos المأخوذة عن العروبية (أو العربية): ألفباتا (ألف. باء. تاء). وهو الترتيب الذي اتبعه في العديد من «الأقلام» التي يذكرها في الأبواب السبعة من كتابه (شوق المستهام) ذي الثمانية أبواب، وإن اتبع في بعض الأقلام الأخرى الترتيب (الأبجدي): أ ب ج د هـ و ز.

ويلفت النظر هنا أمران: أولهما إيراد ابن النديم نقلا عن ابن وحشية (وهو ما نلاحظه في متن كتابه) ما يعتبره حرفًا يقع قبل حرف الياء، وهو آخر الحروف في الترتيب الألفبائي، أعني «لا» (اللام ألف) مما يجعل عدد الحروف تسعة وعشرين وليس ثمانية وعشرين كما هو المتعارف عليه، والواقع أن «لا» (اللام ألف) ليس حرفًا قائمًا بذاته بل هو مكون من اللام والألف، وكنا في صبانا نعتبره حرفًا وننطقه «لامأليف» أيام الدراسة في «الكُتَّاب» (الجامع) وبَطُل الآن، ونلاحظ أن الأقلام التي يرد فيها هذا «اللام ألف» حرفًا، تبدو موضوعة.

أما الملاحظة الثانية فتكمن في إيراد حروف في ما يسميه ابن النديم (حروف الفاقيطوس=ألفابِتوس) التي نرجح أن المعنيَّ بها الحروف اليونانية، ومن المعروف أنه ليس فيها حروف من مثل: الصاد والضاد والطاء والظاء، والعين والقاف.. إلخ.

وهو اتبع الترتيب (الألفبائي) كذلك في عرضه لما أسماه «القلم المسند» وإن اتضح بُعده عن (المسند) المعروف اليوم. ونحن لا نجد فرقًا في الترتيب الألفبائي عند ابن النديم بين (حروف الفاقيطوس) و(حروف المسند) في النسخ المطبوعة من (الفهرست) ولا نجد تعليلا لتكرار الحروف وترتيبها بين القلمين دون اختلاف، اللهم إلا أن يكون ورد في أصل الكتاب رسم للحروف اليونانية (الفاقيطوس) وآخر لحروف

المسند كما نقلها ابن النديم عن ابن وحشية ثم أسقطت هذه الرسوم عند النسخ واكتفي برسم الحروف العربية على ترتيبها المعهود.

ويضيف ابن النديم:

«هذه [هي] الحروف التي يصاب العلوم القديمة بها في البرابي».

وهو هنا يوجز مقولة ابن وحشية في الأقلام التي عرضها والغاية منها، وإن كان توسع في دلالة «البرابي» التي سنتعرض لها في موطنها.

ثم يقول ما نصه:

«حروف العنبث: ربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم، باللغة التي أحدث أهلها العلم فلا تُفهم، اللهم [إلا] أن يكون الإنسان عارفًا بتلك اللغة، وهذا مُعْوِز، وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي إلى اللغة العربية، وينبغي أن تُتأمَّل وتُجْعَل (الأصل: يتأمل ويجعل) هذه الأقلام مثالا لها، ويُرجع إليها، إن شاء الله تعالى».

ونحن لا ندري إن كان هذا النص من كلام ابن النديم نفسه أم هو ينقل عن ابن وحشية؟ وهو، على كل حال، نص بالغ الأهمية؛ إذ يفيد أن هذه الحروف تكتب بها العلوم المذكورة بلغة محدثي هذه العلوم فهي تغمض إلا على من يعرف تلك اللغة «وهذا مُعْوِز» أي غير موجود، فلا تفهم تلك العلوم. لكن المهم في الأمر أن هذه الكتابات، الغامضة، قد تكون «تراجم تؤدي إلى اللغة العربية» (أو أية لغة معروفة أخرى)، وعليه «ينبغي أن تتأمل وتُجعل هذه الأقلام مثالا لها ويُرجع إليها»، أو بعبارة أخرى: أن تفحص هذه الأقلام وتقارن (بالعربية مثلا أو بغيرها من اللغات) ويرجع إليها.. أي أن تفك رموزها، فتمكن قراءة حروفها ثم قراءة النصوص المكتوبة بها وفهمها. وهذا بالضبط ما فعله الذين فكوا رموز «الأقلام القديمة» من مثل (يونغ) Yung و(شامبليون) Champollion في ما يتصل بفك الرموز الهيروغليفية و(رولنسون) Rawlinson في ما يتعلق بالكتابة المسمارية، وغيرهم.

لكن لماذا سميت هذه الحروف باسم (حروف العنبث)؟

لقد ذكر (فلوغل) Gustav Flugel في تعليقه على النص في تحقيقه للفهرست أن «العنبث» اسم شخص مجهول، ولم يضف شيئًا. وأرى أن ما ساق (فلوغل) إلى هذا

القول أنه وجد فيما سبق في النص من ذكر كتاب (مساوئ العوام) لأبي العنبس الصيمري، ويبدو أنه خلط ما بين «العنبس» (بالسين المهملة) و«العنبث» (بالثاء المثلثة النقط)، لكن هذا غير لازم لوجهين؛ أولهما أن من المستبعد أن يصحف نفس اسم (أو كنية) الشخص الواحد بعد بضعة سطور من ذكره صحيحًا، وثانيهما أن «حروف العنبث» (وليس «أبي» العنبس) جاء ذكرها بعد «حروف الفاقيطوس» و«حروف المسند» مباشرة، مما يعني أنها نوع من الحروف، أو الكتابة التي «ربما وقعت في كتب العلوم» المذكورة، والمقصود «العلوم القديمة في البرابي» في مسائل الصنعة والسحر والعزائم.

ويبدو لي أنه ما دام الأمر متعلقًا بالعلوم القديمة في «البرابي» فإنه متصل كل الاتصال بالنقوش والكتابات المصرية القديمة، وبالهيروغليفية بالذات؛ ذلك لأن كلمة «البرابي» التي تتردد في المؤلفات العربية تختص، في العادة، بالآثار المصرية - الفرعونية دون سواها. إنها كلمة ذات دلالة موحية، ولا بأس من إيراد معناها.

«البرابي» صيغة جمع تكسير للواحد منها «بربا» كما ترد في المؤلفات العربية، وهي من المصرية القديمة «پر - بأ» مكونة من كلمتين: (١) «پر» = مسكن، قصر، بيت، (٢) «بأ» = روح. فالمعنى هو" «بيت الروح»، أي المعبد، باعتباره (بيت روح) الرب المعبود، أو الضريح، باعتباره (بيت روح) الميت المدفون فيه[٤١]، وفي هذه (البرابي) بالذات عرف العرب رموز الهيروغليفية وحاولوا الوصول إلى أسرارها.

فإذا كانت الصورة قد اتضحت فإن لنا أن نعود إلى مسألة حروف «العنبث» هذه. ولا أود الإطالة على القارئ، إذ إن لي رأيًا فيها كنت سجلته من قبل في كتابي (آلهة مصر العربية - المجلد الأول، ص ١٨٩) ولا أرى بأسًا من نقله هنا لاتصاله بما نحن فيه، وقد كتبت ما يلي:

* * *

---

(٤١) في اللغات العروبية القديمة يفيد المقطع (ب ر): السكن، البيت، القصر، المبنى، وهو الجذر الثنائي للعربية «برج» (مبنى، بيت، قصر). ونلاحظ أن الجذر الثنائي (بر) في العربية إذا ثلث دل على الارتفاع - شأن البيت: برج، برز، برع، برض.. إلخ. أما «بأ» (روح - في المصرية القديمة) فكان رمزها الهيروغليفي عبارة عن صورة طائر؛ لأن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الأرواح تبدو في صورة طائر بعد وفاة صاحبها، أو تحلُّ في طائر من الطيور. قارن العربية «بأى» = ارتفع، طار.

يقول «غوستاف فلوغل» G. Flugel في تعليقات نشرته لكتاب (الفهرست) لابن النديم (صفحة ١٩٥) إن «عنبث هو اسم شخص مجهول». ولا يزيد على ذلك شيئًا.

غير أننا يمكن أن نفهم من نص ابن النديم أن حروف العنبث (وليس «عنبث») هي قلم من الأقلام، أو خطوط «وربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها من الصنعة والسحر والعزائم باللغة التي أحدث أهلها العلم فلا تفهم...» وباعتبار «العنبث» اسم قلم فلا بد أن يكون للكلمة أصل.

في (معجم بدج - ص ٦٦٥) ورد اسم مركَّب هو «س ف خ ي ت ي ع ب و ت» (Sefkhity âbut) وترجم بأنه يعني اسم «ربَّة / إلهة الحروف»، ويمكن أن نرجع اسم «سفخيت» إلى مادة «س ف خ» (=صبَّ الماء أو المداد أو الطلاء) وعربيتها: «سفح»، «سفك»، والياء للنسبة والتاء للتأنيث، أو نرجعها إلى المكافئ العربي الآخر «صفح» - ودلالته الأولى تتفق مع دلالتي «سفح»، «سفك» - ومنه: الصفحة، وجمعها: صفحات، ومقلوبه «صحف» ومنه: صحيفة، وجمعها: صحف ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، والمصحف، أي القرآن الكريم مكتوبًا، وتمكن المقارنة في هذا المجال مع المصرية «درپ» drp التي تعني: صبَّ، سكب - العربية: «ذرف» - ومعناها في المصرية: كتب، وهي قلبت إلى «ذ ف ر» فصارت بالإبدال: شفر، سفر (ومنها: سِفْر = كتاب)، زبر (=كَتَبَ، وأيضًا «ذبر») ومنها: زَبُور = كتاب.

هذا عن «سفخيت» = سافحة، سافكة، صاحفة < > صاحفة = كاتبة.

أما «عبوت» فإنها تعود في المصرية إلى الجذر «ع ب» - الواو للعلمية والتاء للتأنيث، ومادة «ع ب» في المصرية تفيد الربط والتقييد (في معجم فولكنر: ع ب: وحّد، جمع، ع ب ب: عقدة. وفي معجم بدج: ع ب: ربط، وحَّد، ع ب: نسج، ع ب و ت ي: الناسجتان - إيزيس ونفثوس، ع ب: قمط، ع ب و ت: حبال، أربطة، قيود. ع ب و: باقة، ضمة زهر مربوطة... إلخ).

في العربية نجد الجذر «عبا» (ثلاثي «ع ب») يقدم هذه الدلالة أيضًا: العباية والعباءة ضرب من الأكسية (نسيج)، ويقال: امرأة عابية أي ناظمة تنظم القلائد، قال الشاعر يصف سهامًا:

لها أُطُرٌ صُفرٌ لطافٌ كأنها   عقيقٌ جلاه العابيات نظيم

وفي هذا معنى الجمع والضم والتقييد كما في معنى النسيج، مما يقابل المصرية «ع ب» (= ضمَّ، قيَّد، نسج، كتب. قارن العربية: قيّد، سجَّل، ألّف=كتب، وكَتَفَ = كتب... إلخ).

على هذا الأساس تكون المصرية «عبوت» وهي المقطع الثاني من اسم ربة الكتابة، مكافئة للعربية «عابية»، كما أن «سفخيت» وهي المقطع الأول من الاسم المركب=صفحية=كاتبة، فهي إذن (الصفحية العابية).. أي السافكة/المقيِّدة.

أما كيف وردت «العنبث» عند ابن النديم فإن الألف واللام للتعريف، والنون مزيدة، والأصل «عبث» ولعل الثاء الثلاثية مصحَّفة عن التاء الثنائية، أو مبدلة، في «عبت» (ع ب ت) مؤنث «ع ب» كما مر، تضاف إليها واو العلمية وتاء التأنيث فتكون «ع ب و ت».

هذه النشرة:

حصلت على نسخة من (شوق المستهام) - نشرة يوسف همّر «وهي نسخة نادرة ويصعب الوصول إليها» كما يقول د. عكاشة الدالي (Egyptology,p.) محفوظة في المتحف البريطاني سنة ١٩٨٢م، وكنت أنوي الاستفادة منها وتحقيقها، غير أني علمت من عدد من المهتمين بالموضوع أنهم يحملون نفس النية فتقاعست عما انتويت حتى مرَّ نحو ربع قرن من الزمان ولم يخرج الكتاب إلى الوجود وقد مضى على نشرة همّر مائتا عام، وكان لا بد أن يطلع أهله العرب عليه، وهأنذا اليوم أفعل.

كان التنافس على أَشُدّه بين الغربيين على نهب كنوز العرب الثقافية في أثناء الهجمة الاستعمارية الغازية لوطننا، خاصة بين الفرنسيين والإنكليز، وهم حملوا إلى بلادهم كل ما وقعت عليه أيديهم من آثار وسرقوا كل ما وجدوه من تراث، وتمتلئ متاحفهم بآثارنا وتعج بمخطوطاتنا كما زينوا ميادين عواصمهم وأهم معالم مدنهم الرئيسية بالمسلات العملاقة والتماثيل الجبارة مما شحنوا بها المراكب والسفن وجرُّوها جرًّا عبر البحار والأنهار. وإذا كانوا قد أظهروا شيئًا مما خلف أسلافنا فإن الكثير جدًّا لا يزال مخبوءاً مستوراً وصار من الصعب، بل من المستحيل أحيانًا، أن يطلع الباحث

العربي على تراثه أو يرى آثار أجداده.

يقول همّر في مقدمة طبعته وترجمته لهذا الكتاب إنه «عُثِر على أصل هذه الترجمة في القاهرة حيث نجا من منقبي علماء الفرنسيين الذين أخفقوا، رغم نجاحهم في جمع عدد وافر من الكتب والمخطوطات الشرقية، في بحثهم للوصول إلى تفسير مرضٍ للرموز الهيروغليفية... فبعد حصاد (المعهد الفرنسي) كان أقل ما ينتظر هو التقاط بقايا الحصاد بنجاح في مجال الأدب المصري».

هكذا كان همّر يسابق العلماء الفرنسيين والمعهد الفرنسي خاصة للوصول إلى أسرار الهيروغليفية المستغلقة، وهو يقدم هذا الكتاب هدية إلى الباحثين ويقول إن «الرضا الكامل أن يؤدي اكتشاف كهذا والحصول على مثل هذا المخطوط مما هو طريف ومثير للاهتمام إلى ما هو جدير به من تقدير». وإذا كان الإنكليز يعترفون مرغمين بأن شامبليون (الفرنسي) هو الذي توصل بدأبه وجده وذكائه، إلى فك الرموز الهيروغليفية فإنهم كثيراً ما يُرجعون الفضل إلى ابن جلدتهم (يونغ) أو إلى محاولات من سبقه من أهله من قبل[٤٢]. وإذا كان شامبليون قد توصل إلى ما خلَّد اسمه في التاريخ سنة ١٨٢٢م، فينبغي أن نتذكر أن طبعة همّر لـ (شوق المستهام) سبقت اكتشاف شامبليون بستة عشر عاماً، وهو ربما حصل على نسخة مخطوطة منه حتى قبل النشر.

فهل انتفع شامبليون مما ورد في (شوق المستهام)؟ هل أوحى إليه بأن رموز الهيروغليفية عبارة عن «حروف» تقرأ وليست طلاسم سحرية كما اعتقد هو نفسه من قبل؟ هل اطلع على ما ذكره ابن النديم في (الفهرست) من أنه «ربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي إلى اللغة العربية وينبغي أن تُتأمل وتجعل هذه الأقلام مثالا لها ويُرجع إليها»؟

---

(٤٢) من لطيف المجاملات الدبلوماسية العلمية، أو العكس، أن يعتبر كاتبان فرنسيان هما R. S. Salé و D. Valbelle في كتاب لهما بعنوان «حجر وشيد؛ قصة فك رموز الهيروغليفية» صدر سنة ١٩٩٩م وترجم إلى الإنجليزية سنة ٢٠٠٢م أن يعتبرا ترجمة همّر لـ (شوق المستهام) إلى الإنجليزية هي «الإسهام الإنكليزي» في عملية فك تلك الرموز دون أي ذكر للمؤلف العربي الأصلي!! (الدالي Egyptology).

نحن نعرف أن هذا ما فعله شامبليون بالضبط، إذ اتخذ من النصين الديموطيقي واليوناني «مثالا» للرموز الهيروغليفية وبذلك توصل إلى حلها، كما هو مُعلن مشهور، ونحن نعلم أنه أيضًا كان يعرف العربية التي درسها إلى جانب العبرية وهي شديدة القرب منها، فما الذي يمنع القول إنه استفاد من هذا كله ومن (شوق المستهام) وغيره من المؤلفات الشبيهة في نفس المجال؟

مخطوطات الكتاب:

إضافة إلى نشرة همّر يذكر الدكتور عكاشة الدالي مخطوطة توجد في (المكتبة الوطنية) بباريس تحت رقم Ms Arabe ٦٨٠٥ هي التي استند إليها كيرشر في محاولاته، وكانت قد جلبت من مالطة ثم آلت إلى الفرنسيين، ومخطوطة أخرى في مكتبة سِپَهْسَلارْ بطهران، غير أنه لم يشر إلى نسخة رابعة أوردها محمد رضا كحالة في (معجم المؤلفين) وقال إنها توجد في مكتبة أيا صوفيا بإسطمبول تحت رقم ٩٢١.

ويبدو أن الدكتور الدالي لم يطلع على أي من المخطوطتين في إسطمبول أو في طهران، واكتفى بنشرة همّر ومخطوطة باريس.. وليس من المتوقع أن تضيف النسختان الأخريان، جديداً إلى متن الكتاب وقد تفيدان فحسب في مجال مقارنة الخطوط أو في تاريخ النسخ واسم الناسخ.. إلخ.

أما نشرة همّر فقد حصلت على نسخة منها من مكتبة المتحف البريطاني، وأما مخطوطة باريس فقد تفضل عليَّ بصورة منها الأستاذ محمد علي مادون (سوريا) جاءته، كما ذكر كتابة «مصوَّرة عن صورة الفيلم المحفوظ لدى مركز البحوث العلمية والمقدم من السيد محمد أبو النور الخطيب الذي بدوره حصل عليه صورة عن النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم ٦٨٠٥ - بجهده الشخصي رغم ممنوعيتها مشكوراً، وقد آلت إلي عن طريقه. دمشق في ٢٤ / ١١ / ١٩٩٢». وفي هذه الصورة نقص في (الباب الثاني) من الكتاب للفصول ١ - ٤ و٧ - ١٧ وليس معروفًا لدي إن كان النقص في الأصل أم كان أثناء التصوير «رغم ممنوعيته» عوّضه الأستاذ مادون بصورة من نشرة همّر، فله الشكر والتقدير.

* * *

في أثناء إخراج هذا العمل وإعداده للنشر وقعت في يدي نسخة من كتاب بعنوان (منهج تحقيق المخطوطات، ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي)(*). وبعد مائة وخمس عشرة صفحة عالج فيها المؤلف مسألة تحقيق المخطوطات ألحق كتابه بصورة من (شوق المستهام) مأخوذة، كما ذكر، عن نسخة «محفوظة في مكتبة عالي سبسهالار (أي قائد الجيش) في إيران بمدينة طهران، عثرت عليها سنة ١٩٩٨م. في رحلة علمية» (ص ١٢٦). وهو أثبت توقيع سبسهالار، مؤسس المدرسة التي تحتفظ خزائنها بهذا الكتاب (ص ٢٠٦). وبعد مقدمة قصيرة عن الكتاب وصاحبه وأهميته ونشرة همّر عرض صورة المخطوط كما هي (الصفحات ١٣١-٢٠٥). وأضاف نقلا عن نشرة همّر الفصل الأول من الباب الأول والفصلين الأول والثاني من الباب السادس، الناقصة من المخطوط في ما يبدو.

كنت أتوقع من مؤلف يعالج منهج تحقيق المخطوطات أن يحقق، ولو بقدر ما، هذا المخطوط المهم، غير أنه لم يفعل وإن كان له فضل نشره كما هو وتيسير الاطلاع عليه. والمخطوط لا يضيف شيئًا إذ هو صورة مطابقة تمامًا لنشرة همّر حتى في الأخطاء النحوية والأغلاط الإملائية، وفي تاريخ النسخ أيضًا، إلا أنه يمتاز عن نسخة باريس بجمال الخط ودقة نقل الحروف والأبجديات كما هي عند همّر. فهل كان هذا المخطوط صورة من مخطوط المتحف البريطاني الذي قيل إن همّر اعتمده في نشرته؟(**).

سؤال يظل معلقًا فإن همّر لم يحدد مصدره في نشرته سوي قوله إنه عُثر على مخطوط الكتاب في القاهرة.

(*) المؤلف: إياد خالد الطباع. الناشر: دار الفكر، دمشق ٢٠٠٣م.

(**) ورد في كتاب (توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين) للدكتور موفق بن عبدالله بن عبدالقادر (المكتبة المكية ١٩٩٣) أن همّر استعمل مخطوط «شوق المستهام» بالمتحف البريطاني تحت رقم 440. H. 173 وهذا غير ثابت (المصدر السابق ص ١٢٦).

ملاحظات:

الملاحظ أن المخطوطين يتفقان في العدد الكبير من الأخطاء اللغوية والإملائية، مما يشير إلى أن الناسخين نقلا من نسخة حسن النوقاني المكتوبة سنة ٤١٣هـ. أو أن ثانيهما نقل عن أولهما، أو لعله كانت هناك نسخة أو أكثر نقل عنها الاثنان، غير أن الأرجح أن هذه الأخطاء موجودة في الأصل الذي كتبه ابن وحشية ذاته، إذ تبدو ركاكة لغته واضحة في تركيب الجمل وفي إسناد الضمائر ونحوهما، وليس هذا بمستغرب من رجل نبطي النشأة واللسان رغم معايشته لعصر من أزهى عصور النثر العربي وأشهر فصحاء اللغة.

ولم يحاول همّر تصويب الأخطاء في المخطوطة التي نشرها وتركها كما هي، رغم أن ترجمته الإنكليزية للنص تدل على معرفة جيدة باللغة العربية، ومع هذا فإن ثمة أغلاطًا ربما كانت طباعية في نشرته، ويجب ألا يفوتنا هنا أن الطبع كان في سنة ١٨٠٦ في لندن ولعله كان من العسير وقتها وجود مصححين لغويين عرب في ذلك التاريخ المبكر من الطباعة بالحروف العربية. وقد آثرت تصويب ما أشرت إليه من أخطاء نحوية وإملائية، وهي متقاربة وأحيانًا كثيرة متطابقة في النصين، دون الإشارة إليها في الهوامش إذ لا يؤثر ذلك في السياق ولا يغير من دلالته وسيكون الأمر مضيعة للوقت وتشويشًا على القارئ، اللهم سوي في بعض المواطن التي قد يلتبس فيها النص بين معنيين أو أكثر.

وملاحظة أخرى نضيفها هي أننا نجد عند المقارنة بين نشرة همّر ومخطوط باريس أن صور الأقلام التي يعرضها ابن وحشية أضبط شكلا وأجمل في النشرة منها في مخطوط باريس وتفسير ذلك في ما نرى أحد أمرين: إما أن المخطوط الذي اعتمده همّر كان أدق في الرسم أو أن همّر ذاته هو الذي قام برسم صور الأقلام المختلفة المتنوعة بهذا الشكل الدقيق الجميل.

ويبدو من تاريخ النسخ المسجل على الاثنين أن مخطوط باريس أقدم بسنة واحدة حيث جاء فيه:

«... وقد تم النسخ من النسخة الأخيرة يوم الأربعاء المبارك قبل العصر ثاني محرم الحرام افتتاح سنة خمسة وستين ومائة وألف».

أما نشرة همّر فتثبت أنه :

« . . . قد تمّت النسخة المنقولة هذه النسخة عنها يوم الأحد المبارك ثاني محرم الحرام من شهور سنة ستة وستين ومائة وألف ١١٦٦ ، وكان النجاز من نساخته يوم الجمعة المبارك عاشر شهر جمادى الآخر سنة ست وستين ومائة وألف ١١٦٦ الموافق ثاني شهر نيسان من شهور مسيحية سنة ١٧٥٣ » .

ونفهم أن ناسخ مخطوط باريس ينقل مباشرة من النسخة التي كتبها حسن بن فرج بن علي بن داود بن سنان بن ثابت بن قرة الحرّاني البابلي النوقاني سنة ٤١٣هـ. وأتمها في الثاني من محرم سنة ١١٦٥هـ، .بينما ينقل ناسخ أصل نشرة همّر عن مخطوطة منقولة عن حسن النوقاني وليس عنه مباشرة، وتم النقل في شهر جمادى الآخر سنة ١١٦٦هـ. ويبدو التطابق واضحًا بين الاثنين، اللهم سوى بعض العبارات التكميلية التي لا تغير من نص المتن. على أن اللافت للنظر أن كلا من المخطوط والنشرة يخلوان من ذكر الناسخ في الحالتين.

وملاحظة أخيرة أضيفها هي أن نسخة طهران، التي حصلت على صورة منها أخيراً كما ذكرت من قبل، متطابقة تمامًا ونشرة همّر ولا تختلف عنها في شيء سوى أن الأولى مخطوطة والثانية مطبوعة.

* * *

وبعد . .

فها هو (شوق المستهام) في أيدي أبناء العربية بعد أن ظل قرونًا حبيس أضابير المكتبات عسير المنال، علّه يمثل إضافة أو إضاءة لركن لبث زمنًا طويلا مهملا معتمًا منسيًّا، وقد بذلت ما أملك من جهد في تحقيق النص والتعريف بما قد يغمض على القارئ غير المتخصص من مصطلحات وبالأسماء الكثيرة الواردة في ثنايا الكتاب، كما ترجمت مقدمة ناشر الكتاب في الإنكليزية وتعليقاته.

وأجدها مناسبة طيبة أن أشكر كل من مدّ لي يد العون أو أفادني بفكرة أو أشار برأي أو أوضح غامضًا، أو تحمّل معي شيئًا من عناء العمل، وفي مقدمتهم الأخ الصديق علي عبدالحميد مدير (مركز الحضارة العربية) بالقاهرة الذي تحمس لنشر هذا الكتاب كما تحمس لسواه في نفس المجال.

النَّصُّ

- مقدمة نشرة همر.
- كتاب «شوق المستهام».



مقدمة المترجم إلى الإنكليزية
(يوسف همَّر)(*)

«عُثِر على أصل هذه الترجمة[٤٣] في القاهرة حيث نجا من منقبي (الحكماء) الفرنسيين الذين أخفقوا، رغم نجاحهم في جمع عدد وافر من الكتب والمخطوطات الشرقية، في بحثهم للوصول إلى تفسير مُرْضٍ للرموز الهيروغليفية، وإن المكاسب الأدبية، كما هو حال المكاسب العسكرية، لتثير عظيم الاهتمام؛ فبعد حصاد أعضاء «المعهد الفرنسي» كان أقل ما ينتظر هو التقاط بقايا الحصاد بنجاح في مجال الأدب المصري. أما الرضا الكامل فهو أن يؤدي اكتشاف كهذا، والحصول على مثل هذا المخطوط مما هو طريف ومثير للاهتمام، إلى ما هو جدير به من تقدير.

قصة هذا المخطوط وكاتبه هي كما يلي: عاش المؤلف منذ ألف عام، في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان[٤٤]، ويكفي لقبه للتدليل على أنه كان كلدانيًّا، نبطيًّا، أو لعله

(*) يوسف حامِر (أو جوزيف هَمَّر) برغشتال Joseph Freiherr Von Hammer Purgstall (١٧٧٤ - ١٨٥٦م.) مستشرق نمسوي، من أعيان العلماء. ولد في جراتز (بالنمسا) وتعلم في مدرستها ثم في جامعة ڤينة. وبرع في العربية والفارسية والتركية، وكان شاعراً بالألمانية. وعين سكرتيراً ومترجمًا للسفير النمسوي في الآستانة، فمستشاراً للسفارة النمسوية في باريس (١٨١٩) فترجمانًا للإمبراطور فرنسيس الأول. فمستشاراً له. ومنحه الإمبراطور لقب «بارون» سنة ١٨٣٥ وتنقل كثيراً في أوروبة. وزار مصر والشام وإيران. وأنشأ في ڤينة «أكاديمية العلوم» وتولى رئاستها. وتوفي في ڤينة، ودفن في قبر بناه لنفسه على الطراز العربي. كان يحسن عشر لغات. وصنف بالألمانية كتبًا كثيرة، منها «تاريخ الآداب العربية» في سبعة مجلدات، ولم يتمه، و«تاريخ الدولة العثمانية» في ١٠ مجلدات. وترجم «ديوان المتنبي» إلى الألمانية شعراً. وكان يقيم صلاته بالعربية. وله «ميقات الصلاة» في سبعة أوقات - ط» بالعربية والألمانية. ونشر كتبًا عربية منها «أطواق الذهب» للزمخشري، ورسالة «أيها الولد» للغزالي (الأعلام، للزركلي).

(٤٣) أي الترجمة الإنكليزية لـ (شوق المستهام).

(٤٤) تبين أن هذا خطأ. انظر ما سبق في مقدمة هذا التحقيق.

سوري المولد، إذ ينبئنا هو ذاته بأنه ترجم عملا عن الرموز الهيروغليفية وأسرار هرمس من لغته الأم- النبطية - إلى العربية.

يخبرنا علي عبد الرشيد البكري[٤٥] في «جغرافية مصر» (ومنه فصلات قدمها المواطن مارول في «العقد المصري»)[٤٦] أنه في سنة مائتين وخمس وعشرين من الهجرة وجد كتاب في مصر يحوي ملاحظة عن تشييد الأهرام وآثار مصرية أخرى مكتوب بحروف مجهولة، وترجم أخيراً على يد راهب من «دير قلمون». وهذا الاكتشاف يثبت أنه معاصر للزمن الذي كتب فيه مؤلفنا كتابه، وهو الذي أنهاه في سنة مائتين وإحدى وأربعين (هجرية)، ومن المحتمل جداً أنه امتلك الوسيلة للاطلاع على ترجمة الراهب.

أودع (المؤلف) أصل كتابه الذي بين أيدينا - كما نعلم منه ذاته - مكتبة الخليفة المذكور آنفاً[٤٧]، وقد نافس هذا الأمير (وهو واحد من أبرز المتنورين في دولته) سلفيه العظيمين، هارون الرشيد والمأمون، في تشجيع تقدم العلوم وترجمة المؤلفات الرياضية والفلسفية من اليونانية والسريانية إلى العربية.

ويقدم قلب زاده حاجي خليفة، الفهرسي والموسوعي الشرقي العظيم، في «معجمه الفهرسي»[٤٨] إحصاء عن أعمال مؤلفنا، ويذكره باعتباره من أشهر المترجمين الذين وسعوا إمبراطورية الفكر العربي بالترجمات الثمينة من اللغات الأجنبية.

أما وقد جعلنا القارئ على دراية بفضائل المؤلف فإن من الضروري أن نقول كل شيء قد يعتبر جوهرياً عن فضائل الثناء الذي أسبغ عليه من مختلف الكتاب العرب الذين لم يذكروه قط دون التعبير عن أعظم التقدير له.

على الرغم من أن الكتاب يفترض في عنوانه بالعربية أنه لا يحوي سوى بيان الأبجديات المجهولة، فإنه يقدم إلى جانب هذا مفتاحاً للرموز الهيروغليفية، كما يقدم في نفس الفصل بياناً طريفاً عن طبقات الكهنة المصريين المختلفة وطقوسهم وقرابينهم،

---

(٤٥) في الأصل Alba-koyi. ولعله: البكاي. ولم أعثر على ترجمة له.

(٤٦) Egyptian Decade وليس واضحاً إن كان هذا اسم مؤلف للمواطن Marul أو اسم دورية من الدوريات مختصة بالدراسات المصرية.

(٤٧) يعني عبدالملك بن مروان - وهو خطأ.

(٤٨) يقصد مؤلفه «كشف الظنون عن أسماء المصنفات والفنون».

وعليه فإنه يمكننا النظر إلى محتوياته في هذه الموضوعات الثلاثة.

ورغم أنه من العسير القول كم من الأبجديات الثمانين المفكوكة هنا قد تكون استعملت حقيقةً من قِبَل الأمم، أو كم حرفًا في كل أبجدية منها شُوِّه أو قُدِّم بصورة خاطئة، إما لعوز المعلومات الكافية لدى مؤلفنا نفسه، أو عن طريق جهل الناسخين وأغلاطهم - رغم هذا فإنه ليس من قبيل الافتراض أنَّ ثمة حقيقةً واقعية في صلب أغلبها، وإن لم يكن منها أبجدية للكتابة العامة كان يستخدم معميات بين الأمم الشرقية المختلفة، والدليل الواضح من واقع الحال أن بعضًا من هذه الأبجديات لا يزال يستعمل حتى يومنا هذا عند الأتراك والعرب والفرس باعتباره نوعًا من الكتابة المُعَمَّاة السرية، وأكثرها ذيوعًا الأبجدية التي يدعوها المؤلف أبجدية الشجرة.

إن الأبجديات الثلاث الأولى في الفصل الأول، أي (القلم) الكوفي، والمغربي، والرَّقمي أو الهندي، معروفة عالميًّا، فالخطوط الكوفية موجودة على اتساع رقعة إمبراطورية العرب القديمة كلها - في جزيرة العرب وبلاد فارس وسوريا ومصر وصقلية وإسبانيا، والأبجدية المغربية أو الأندلسية هي الشكل الشائع المستعمل هذه الآونة في مراكش وعبر الجزء الشمالي لأفريقيا، والشكل الرَّقمي أو الهندي معروف لكل عربي قح أو فارسي ولعدد كبير من الأوربيين، كما أنه من المعروف أن الحروف الأبجدية تستعمل في اللغات الشرقية، كما في اليونانية، بمثابة أرقام، وبالعكس، تستعمل العلامات الرقمية (التي نسميها نحن: العربية، وتدعى عند العرب بدقة أكبر: الأرقام الهندية) حروفًا تكون أبجدية، وهي المعروفة عامة، وتستعمل بصورة خاصة في «الدفتر دام» أو «مكتب الخزانة»، للحسابات.

وتستحق الأبجديات السبع التي يحويها الفصل الثاني أكبر العناية من كل مستشرق؛ فالأبجدية العبرية والسورية واليونانية معروفة لدينا من قبل، وقد سمعنا في التاريخ عن الأبجدية النبطية والمسند، أو الحميرية، لكن القلم «القمي»[٤٩] والقلم «البرباوي» مجهولان[٥٠] حتى بمجرد الاسم.

إن الفرق في الحروف العبرية والسريانية واليونانية عن الأبجديات المعتادة لهذه اللغات قد يكون مجرد أخطاء من الناسخ، ولكن على الرغم من هذا الظن فإنها جديرة

(٤٩) في الأصل الإنكليزي «اللُّقمي» Luqami وهو خطأ.

(٥٠) كان هذا قبل فك رموز الكتابة الهيروغليفية المصرية.

بأدق الفحوص، إذ لا بد أن المؤلف، وهو كلداني أو نبطي بالمولد، كان على دراية جيدة بالشكل الأصلي في هذه الأبجديات.

وكثيراً ما يذكر القلم الحميري، أو المسند في الكتب الشرقية والأوروبية، غير أن هذا (الذي بين أيدينا) هو أول مثال منه(٥١).

ويظل السؤال عما إذا كان قلم «البرابي» Barrabi أبجدية شعب يدعى «البرابر» Barrabers، أو إذا كان القلم «اللقمي» Luqami في الأصل أبجدية حبشية، سؤالا يصعب تحديد إجابته(٥٢).

أما أبجديات الأبواب الثالث والرابع والخامس والسادس والسابع، التي تحمل أسماء الكواكب والبروج والفلاسفة والملوك، فقد تعتبر من جملة المعميات الشرقية، ربما أطلقت عليها، في أثناء جمعها في هذا الكتاب، أسماء رجال مشهورين نسب إليهم اختراع هذه الأبجديات، وهذه الأسماء ذاتها (كما هو الحال بصفة عامة في جميع النقول من لغة أجنبية إلى اللغة العربية)، كانت قد حُرِّفت وشُوِّهت بصورة غريبة، حتى إنه كان من الممكن في حالات قليلة جداً تخمين معانيها الحقيقية وترجمتها [من العربية] بأصل الاسم الفعلي.

---

(٥١) أورد (همّر) في الهامش هذا الاقتباس: «أما فيما يتعلق بالحروف الحميرية، أو تلك التي تذكر باسم «المسند»، فإننا لا نزال في ظلمة تامة، وقد منع الرحالة (نيبور) Nibuhr، لسوء الحظ، من زيارة بعض الآثار القديمة في اليمن، التي يُقال إن ثمة نقوشاً كتابية فوقها». Sir William Johnes's Fourth Anniversary Discourse.

* تعليق من المترجم:

«كريستيان نيبور» عالم ألماني كان من جملة أعضاء أول حملة علمية أوروبية إلى اليمن موَّلها ملك الدانمرك سنة ١٧٦٣م. وكانت تضم خمسة علماء من الدانمرك والسويد وألمانيا، جاب أعضاؤها منطقة تهامة وزاروا تعز وصنعاء. ولم تزر الحملة شمال اليمن ولا شرقه، حيث توجد أهم الآثار، ذلك بسبب مرض أعضائها الذين توفي أربعة منهم ولم يبق سوى «نيبور» الذي ذكر أنه سمع عن وجود نقوش (لا يستطيع قراءتها اليهود ولا المسلمون) في منطقتي ظفار وضاف، لكنه لم يجلب أي نموذج منها (مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص ١٠٧).

(٥٢) «البرابي» جمع «بربا». و«القلم اللُقمي» هو «القلم القُمّي» نسبة إلى «قُم»، مدينة فارسية.

إن قلم «الممشيم»[٥٣]، قلم ما قبل الطوفان أو القلم الأول، المفكوكة رموزه في الباب الأخير، مثير للاهتمام جدًّا، إذ هو يبين انتقال الرموز الهيروغليفية من كونها أبجدية تعبر عن كلمات إلى إشارة حروف بسيطة، وإن وجود مثل هذه الأبجدية الهيروغليفية لمبرهن عليه بشكل كافٍ عن طريق ملاحظة النصب المصرية العتيقة، كما يظهر في الوقت نفسه التحويرات المختلفة في القلمين السرياني والكلداني، وقد ترك الأمر للقارئ لكي يقارن بين هذه الأشكال والأبجديات الشرقية المعروفة.

نمضي الآن إلى الرموز الهيروغليفية التي تُسمّى في العربية الأقلام الهرمسية، من هرمس الذي كان، طبقًا للتاريخ الشرقي، أول ملوك المصريين القدماء. ومن المستحيل إزالة الظلمة التي تلف هذا «الهرمس المثلث» Triple Hermes إزالة تامة، ومن الواضح، على كل حال، أنه هو ذاته ما عُرِف عند اليونان باسم Hermes Trismegistus ولعله نفس ما عند الهنود - «راما المثلث» Triple Rama.

يُعرف ملوك مصر الأقدمون عندنا بالاسم العام: «الفراعنة»، ويقسمهم المؤرخون الشرقيون إلى ثلاث أسر، هي: (١) الهرامسة، (٢) الفراعنة، (٣) القبط، أو بشكل أدق: الملوك المصريون. وإلى الأسرة الأولى، وبخاصة «هرمس المثلث» ذاته، ينسبون الأضرحة والدواميس والمعابد والقصور والأهرامات والمسلات وآباء الهول، والأنصاب الملكية والمدفنية والدينية والفلكية جميعها، التي تدهش الرحالة في مصر العليا (الصعيد). غير أنهم لما كانوا عاجزين عن تمييز هذه الأنصاب أو إدراك ما خُصِّصت له على الحقيقة فإنهم يعتقدون أنها بأجمعها شُيِّدت لغاية إخفاء الكنوز، وإثارة الأرواح، والتنبؤ بالمستقبل والحظوظ، والقيام بعمليات كيميائية، وجلب المحبة، ودفع الشرور، أو الإخطار باقتراب الأعداء، وهم يدعونها - طبقًا لهذه الغايات المفترضة؛ غرف الكنوز، بنايات التعازيم، جداول التنجيم، أنصاب السيمياء، الرُّقَى السحرية، الطلاسم، ومواقع الإنذار.

وقد عبر عن أسرار محتويات هذه المباني الأثرية، أو عن الفنون التي شيدت بها،

---

(٥٣) MIMSHIM - هكذا. لكنها في المتن المنشور: «شيشيم». انظر فصل (الخاتمة الفريدة) في نهاية الكتاب.

كما يعتقدون، بالكتابات الهيروغليفية عليها، وهي التي اخترعها هرمس وظلت سراً في عقبه، وكانت تدعى «القلم الهرمسي»(٥٤). أما وهذا المثال من الكُتّاب الشرقيين معروف لنا فإنه من العسير إثبات أو معارضة تفسير مؤلفنا.

إن أكثر الاعتراضات قبولا في العقل لدحض تفسير كثير من الرموز الهيروغليفية تعادله الحقيقة الجلية، ألا وهي أن عدداً كبيراً منها معروف استعمالها في الفلك والكيمياء للتعبير عن الموضوعات ذاتها، دون تغيير، فإذا لم يكن معنى بعضها غير مُرْضٍ فإن ثمة أخرى لا يمكن تقديم اعتراضات ذات أهمية لدحض حقيقتها، وهذا هو حال الرموز الهيروغليفية التي ذكر أنها مصوَّرة على الأضرحة لتنقل إلى الخَلَف شخصية المدفون وأسلوب حياته وكيف مات؟ وتظهر الأشكال السبعة [في الأصل العربي] التي قيل إنها منقوشة على قبور رجال ماتوا ميتة عنيفة، بجلاء، طرق موتهم المختلفة؛ بالصاعقة، أو بقطع الرأس، أو بنهشة أفعى، أو الموت بفأس، أو بالسم، أو بخنجر، أو خنقًا، وسيكتشف الاتفاق ذاته ما بين الإشارات الهيروغليفية والموضوع المعني عن طريق فحص الجداول الهيروغليفية الأربعة فحصًا دقيقًا.

يكفي هنا أن نذكر مثلا واحداً جديراً بالذكر وكشفًا حقيقيّا جاء به هذا المخطوط،

---

(٥٤) وضع «همّر» هامشًا لفائدة قارئ الإنكليزية جاء فيه: «هذه الفكرة عن السر المستغلق واضحة في التعبير الذي يأتينا عن الشيء المغلق أو المختوم هرمسيًّا: "Hermatically closed or sealed". وبما أنه يوجد في ثنايا المخطوط عدد كبير من الكلمات ذات الصلة بفنون السحر والتعاويذ، فإننا نقدم هنا للقارئ [الإنكليزي] ترجمة أهمها»:

- Compounds; philters
- Alchemistry
- The knowledge of spirits
- Planet-rings
- Magic blak-art
- Magician
- Soothsayer
- Priest
- Pyramids
- Secret, mysterious things
- Treasuer chambers
- Conjuring buildings
- Astrological tables
- Alchemical monuments
- Magical spells
- Talismans
- Magic alarm-posts
- Inscriptions
- Secrets of the stars
- Conjuring spirits
- Fumigations

أعني اسم واحد من أبعث الرموز الهيروغليفية على الاهتمام، وهو الذي يبدو واضحًا، بعد التفسير الذي قدمه المؤلف، أنه ما يدعوه (كيرشر) Kircher[55] «الروح الكونية» Anima mundi، بيد أن اسمه القديم لم يفسَّر قط حتى الآن. إنه يُكتب في صورة «بهوميد» Bahumid وترجم إلى العربية بكلمة «عجل» (Calf)، ومن نافلة القول أن نعيد إلى ذاكرة القارئ القِدَم السحيق والمعنى الغامض للتوقير الوثني الذي حظي به هذا العجل على الدوام، ومما لا يلزم إعادة شيء مما قيل عن عبادة «أبيس» Apis في مصر التي جددها بنو إسرائيل بعبادة العجل، وحوفظ عليها حتى هذه اللحظة في طقوس الدروز السرية. فلنتذكر فحسب حالة تبين الاتفاق بشكل رائع كما تبين صلة اسم «بهوميد» وترجمته.

يُربط «بهوميد» أو «بهوميت» Bahumet في تاريخ «الداوية» بكونه إحدى صيغهم السرية الغامضة التي كانوا يخاطبون بها صنم «العجل» في اجتماعاتهم السرية، وقد قُدِّمت تفسيرات تأثيلية وأوصاف لهذه الكلمة، لكن أيًّا منها لم يكن مقنعًا بالتأكيد مثل هذا الذي يبرهن على أن «الداوية» كانوا على شيء من المعرفة بالرموز الهيروغليفية ربما اكتسبوها في سوريا.

وعليه، فلو أن تفسير الرموز الهيروغليفية المعروضة في هذا الكتاب يستحق العناية فإن الرواية عن طبقات الكهنة المصريين الأربع، وعن طريق تكريسهم وقرابينهم، ليست أقل باعثًا على الاهتمام.

في أي ضوء جديد بديع تبدو سراديب سقارة، المحتوية على مومياءات الطيور، بالحديث عن تلك الحيوانات المحنطة بتعاليم الكهنة الملفوفة في قَدْرٍ يكبر أو يصغر من الكتان والمودعة في الدواميس؟

إلى أي مدًى يصبح من الواضح أن الشريعة اليهودية المتمثلة في التضحية بالمولود البكر للإله على عتبة المعبد ذات أصل مصري؟

كم هو مثير للاهتمام توكيد ما إذا كان وجود أي من النقوش التي شاهدها المؤلف

---

(٥٥) Athenasius Kircher (١٦٠١ - ١٦٨٠). من أوائل من حاول فك الرموز الهيروغليفية المصرية في الغرب.. ولم يوفق.

قرب بغداد حقيقة، أو ما إذا كان تشكل حروف بعض من قطع الفخار، التي عثر عليها الرحالة المحدثون بجوار آثار بابل، يحمل شبهًا ما بالأبجديات الكلدانية والنبطية والسبئية والكردية؟

من المؤكد أن هذا الكتاب، رغم أن العقل والخيال، والحقيقة والخرافة، قد تكون أسهمت بقسط متساوٍ في تأليفه يجب أن ينظر إليه باعتباره واحداً من أطرف المخطوطات التي عثر عليها ضمن ذخائر الشرق وأكثرها إثارة، وأن ترجمته [إلى الإنكليزية] كما هو المأمول، ستعتبر هدية مقبولة إلى العلماء ومحبي البحث والاطلاع.

أما وقد وجد أخيراً في مؤلف حاجي خليفة الفهرسي، وفي موسوعة أخرى، بعض الملاحظات عن مؤلف هذا البحث وبعض أعماله الأخرى، ففي حكمي أن نقلها وترجمتها [إلى الإنكليزية] في هذا الموضع لن يكونا دون فائدة.

ففي مؤلف حاجي خليفة الموسوعي والفهرسي المعنون (كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون) نجد تحت مادة «حكمة»، حيث تسرد أسماء أشهر المترجمين تحت حكم الخلفاء، العبارة التالية: «وابن وحشية نقل من النبطية إلى العربية».

وفي عمل موسوعي آخر عنوانه (كتاب الدُّر النظيم في أحوال علوم التعليم) نتعرف على عناوين بعض مؤلفات طريفة أخرى لمؤلفنا؛ فتحت مادة «علم الكيمياء» ثمة عبارة: «ومن كتب القدماء: (سدرة المنتهى) - نقل ابن وحشية عن النبط[ـية]».

وفي نفس الكتاب، تحت عنوان «علم السيمياء» - أي السحر الطبيعي Natural Magic (الذي يميزونه عن «السحر» أو Super Natural Magic) نُبِّأ بأن السيمياء تنقسم إلى فرعين؛ أولهما خواص النباتات والمعادن والحيوانات.. إلخ، ويعالج الثاني تكوين وتركيب الآلات الصناعية، وبعدها يقول المؤلف: «ومن الكتب الجيدة في النوع الأول (التعفينات) الذي نقله ابن وحشية».

وأخيراً.. تحت عنوان (فلاحة) نجد في الكتب القديمة كلها «الفلاحة النبطية، نقل ابن وحشية». وإذا لم أكن مخطئًا فإن ثمة نسخة من هذا الكتاب في Boldian Library في أكسفورد. انظر كذلك Herbelot تحت كلمة Falahat.

منذ أن كتبت ما سبق اكتشفت أن هذا الكتاب النادر لم يكن مجهولا عند «كيرشر»

Kircher الذي يقول في كتابه عن الرموز الهيروغليفية، تحت الفقرة الأولى:

Occasio hujus operis

"Quatuor Lustra jam prope eguntur-quo-Romam ut in obeliscis Romanis specimen quoddam exhiberem hieroglyphicae imerprelations, c Gallia vocor, cujus Litteraturae hucusque incognitae ex pervetusto Arabico codice instaurationem me moliri fama ferbatur.

وبعد ذلك بعدة صفحات في نفس Epistola Paraentica وهو يتحدث عن وسائله (أي وسائل بحثه) ويسمي مختلف الكُتَّاب، يختم سرده بالقول:

quos inter principem sanè locum obtinet Aben Waschia.

ثم في صفحة ١٠٩ في النص ذاكراً مصادره العربية:

Gelaledden Aben Regel, et Aben Wahschia de culturâ AEgyptiorum, et libro de antiquitatae vitae, moribus, litteris veterum AEgyptiorum, quos penes me habco, ex quibus haud exguam ad Hieroglyphicum instutionem subsidium allatum est.

وكذلك:

Nam Aben Wahschia - primus AEgyptios, libros in linguam Arabicam transtulit, quem nos Melitae inter spolia Turcorum repostum singulari Dei providentiâ arabicum reperimus(*).

(*) يقول الدكتور أحمد عتمان - أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية آداب جامعة القاهرة - الذي تفضل مشكوراً بالنظر في النص اللاتيني وترجمته: هذه لغة لاتينية من العصور الوسطى مختلطة باللهجات المحلية، وفحواها:

الفقرة الأولى: مناسبة هذا العمل، يقول: تقريباً بعد إجراء أربعة إحصاءات عامة وطقوس تطهير (تجري كل خمسة أعوام) دَعْني أظهر نموذجاً في روما أو على المسلات الرومانية علي أي حال لتفسير الهيروغليفية، استدعي من بلاد الغال (فرنسا) التي لا تعرف حروفها حتى الآن من مخطوط عربي قديم جداً».

الفقرة الثانية: «الذين من بينهم احتل ابن وحشية المكانة الأولى». «جلال الدين بن رجيل (الصواب: جلال الدين السيوطي وأبو الرجال أو: ابن أبي الرجال). وابن وحشية عن حضارة المصريين القدامى وكتاب عن الحياة القديمة وعن الأخلاق وعن قدماء المصريين التي كانت بحوزتي والتي منها لم أستطع أن أستنبط شيئاً بالنسبة للنظام الهيروغليفي، وكان عليَّ أن أستعين بشيء آخر؛ حيث إن ابن وحشية هو أول من نقل الكتب المصرية إلي اللغة العربية التي وجدناها بين الأسلاب من مالطة، وحصلنا عليها بعناية الله الأحد في اللغة العربية».

وعلى الرغم من أن هذه الاستشهادات تظهر أن المخطوط، كما افترضت، لم يكن مجهولا، فإنها تزيد من قيمته بما نسب إليه من مكانة من قِبَل رجل مثل «كيرشر». ونفس الكتاب، فيما أعتقد، في باريس الآن، حيث يدور أخيراً كلام كثير عن أبجديات المخطوط في (المكتبة الإمبراطورية) المنقولة من روما، مما يجعل نشره في إنكلترا أكثر نفعًا. وقد وجد «كيرشر» نسخته في مالطة بين ظهراني الأتراك، وعثرت أنا على نسختي في القاهرة بين ظهراني العرب.

يذكر المؤلف إيداعه كتابه في خزانة عبد الملك [بن مروان] عام ٢٤١ (هجرية)، وقد حكم الخليفة المذكور أواسط القرن الأول من الهجرة، ومن المستحيل التوفيق بين التاريخين، اللهم إلا إذا كان ثمة مؤسسة عامة لخزانة أو مكتبة أنشأها الخليفة وكانت لا تزال تحمل اسمه، حيث أودع ابن وحشية كتابه عام ٢٤١ بعد موت الخليفة بمدة طويلة، خاصة وأن جميع بحوثي للعثور، في أي مصدر آخر، على الزمن الذي عاش فيه ابن وحشية قد باءت بالفشل»(**).

* * *

(**) سبقت مناقشة هذه المسألة في مقدمة التحقيق.

شوق المستهام
في معرفة رموز الأقلام
[لأحمد بن وحشية النبطي]

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، آمين، وبعد..

فإنه لما سألني من لا تُرَدُّ دعوته أن أجمع له أصول الأقلام التي تداولتها الأمم الماضية من الفضلاء والحكماء السالفين، والفلاسفة العارفين مما رمَّزوا بها كتبهم وعلومهم، لينتفع به الطالبون والراغبون في العلوم الحِكْمية والأسرار الربانية [فعلتُ] ذاكراً القلم برسمه القديم، واسمه المشهور، وشرح حروفه بالقلم العربي تحته بالمداد الأحمر[٥٦]، ليمتاز عن الآخر، ورتَّبتُه على أبواب، وسميته: (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)، والله المستعان.

تم.

(٥٦) في الأصل طبعًا.



الباب الأول

في معرفة الأقلام الثلاثة
أي الكوفي والمغربي والهندي

الفصل الأول

من الباب الأول

في معرفة القلم الكوفي

[القلم] الكوفي - الذي وضعه سيدنا إسماعيل عليه السلام، وهو أول من تكلم العربية وكتب(٥٧)، وقد تنوع وصار تسعة أنواع والأصل فيها المسمَّى بالسوري(٥٨)، وهذه صورة القلم الكوفي المسمى بالسوري كما تراه:

أ . ب . ج . د . ه . و . ز . ح .

ط . ي . ك . ل . م . ن .

س . ع . ف . ص . ق .

ر . ش . ت . ث . خ . ذ .

ض . ظ . غ .

---

(٥٧) هذا متواتر في نقولات الإخباريين، وهو ما يتناقض مع المنقول من أن إسماعيل (عليه السلام) جاء به ووالدته أبوه إبراهيم (عليه السلام) إلى ﴿وادٍ غير ذي زرع﴾ عند بيت الله المحرم، أي الكعبة الشريفة، حيث عاش بين ظهراني من عرفوا باسم «العرب العاربة» من طسم وجديس وجرهم، صاهرهم ووُلِد له أبناء كانوا جدود قبائل العرب الشمالية، بحسب قول الإخباريين.

(٥٨) هل المقصود «السرياني» وهو الذي يسمى «الآرامي» كذلك؟ وهذا يعني أن الخط الكوفي متطور عن الخط الآرامي الذي ساد المنطقة العربية مدة طويلة، واتخذه الفرس قلماً لهم، كما اكتشفت برديات بهذا الخط وباللغة الآرامية في تل العمارنة بمصر. أم أن النسبة إلى (سوريا) على وجه التخصيص كما نُسِب القلم المغربي التالي إلى الأندلس تخصيصاً؟ وبذا تنبغي التفرقة ما بين السوري Syrian والسرياني Syriac.

لاحظ أن القلم الكوفي مرتب ترتيباً أبجدياً، خالٍ من التنقيط الذي عرف مؤخراً.

الفصل الثاني

من الباب الأول

في معرفة القلم المغربي وهو الأندلسي[٥٩]

كما ترى صورته، هكذا:

ا . ب . ت . ث . ج . ح . خ .
ا . ب . ت . ث . ج . ح . خ .

د . ذ . ر . ز . ط . ظ . ك .
د . ذ . ر . ز . ط . ظ . ك .

ل . م . ن . ص . ض . ع .
ل . م . ن . ص . ض . ع .

غ . ڢ . ڧ . س . ش .
غ . ف . ق . س . ش .

ه . و . لا . ي .
ه . و . لا . ي .

---

(٥٩) الواقع أن هذا القلم يشبه كثيراً الخط المستعمل في أقطار المغرب العربي حتى اليوم خاصة حروف الدال والكاف وكان إلى عهد قريب مستعملا في البلاد الليبية ويسمى «خط الجامع» أي الخط المستخدم في «كتاتيب» تحفيظ القرآن الكريم، قبل غلبة الخط المشرقي (الرقعة والثُلُث) عليه. ونلاحظ أن الفاء تميز بنقطة واحدة تحتها وتميز القاف بنقطة واحدة فوقها، بينما للفاء نقطة فوقها وللقاف نقطتان فوقها عند المشارقة.

الفصل الثالث

من الباب الأول

في معرفة القلم الهندي، وهو ثلاثة أنواع[٦٠]

النوع الأول منها :

ايقغ . بكر . جلش.

١ ١٠ ١٠٠ ١٠٠٠ ٢ ٢٠ ٢٠٠ ٣ ٣٠ ٣٠٠

دمت . هنث. وسخ .

٤ ٤٠ ٤٠٠ ٥ ٥٠ ٥٠٠ ٦ ٦٠ ٦٠٠

زعذ . حفض . طصظ .

٧ ٧٠ ٧٠٠ ٨ ٨٠ ٨٠٠ ٩ ٩٠ ٩٠٠

---

(٦٠) هذه الأنواع الثلاثة عبارة عن أشكال (الأرقام الهندية) من ١ - ٩ . ففي النوع الأول يمثل كل رقم من ٢ إلى ٩ ثلاثة أحرف أحدها برسم الرقم كما هو وثانيها بإضافة نقطة على يمينه أيضاً - ما عدا الرقم ١ الذي يمثل أربعة أحرف، أولها لا نقطة معه وثانيها ذو نقطة واحدة، ثم ذو نقطتين ثم ذو ثلاث نقط. كما نلاحظ أن ترتيب الحروف هنا مختلف، فلا هو أبجدي ولا هو ألفبائي، بعكس النوعين الآخرين اللذين اتبع فيهما الترتيب الأبجدي.

أما اليوم فإن ترتيب الحروف السنسكريتية (الهندية) يختلف عن هذه الصورة الرقمية، كما يختلف من مصدر إلى آخر، إذ نجدها تقابل بالحروف اللاتينية مرة :

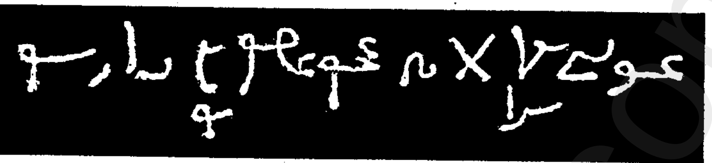
a â i r e k g g c ch j t d dh n p b bh m y r l v s' s sh (M. Coulson; Sanskirt)

ومرة أخرى : a à i i u v r e k kh g c ch j t d dh n p ph b bh m y r l v c s sh (Charles R. Lanmann; Sanskirt Reader).

ويذكر محمد حسين آل ياسين - نقلا عن (دائرة المعارف الإسلامية) في مادة «الخليل» - أنه قد نُسب إلى اللغة السنسكريتية أنها كانت ترتب حروفها بحسب مخارجها (الدراسات اللغوية عند العرب، ص ٢٢٤).

ويقول ابن النديم في «الكلام عن السِّند» (ويقصد الهند) إن «هؤلاء القوم مختلفو اللغات =

= مختلفو المذاهب ولهم أقلام عدة. قال لي بعضٍ من يجول بلادهم إن لهم نحو مائتي قلم. والذي رأيت [كان] صنماً صفراً (يقصد من الصُفر وهو النحاس؟) في دار السلطان (كذا) قيل إنه صورة البُدّ (الأصل: اليد) وهو شخص على كرسي قد عقد بإحدى يديه ثلاثين (؟) وعلى الكرسي كتابة هذا مثالها:



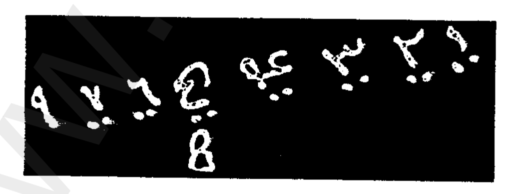
وذكر هذا الرجل المقدم ذكره أنهم في الأكثر يكتبون بالتسعة الأحرف على هذا المثال:



وابتداؤه: أ ب ج د هـ و ز ح ط. فإذا بلغ إلى ط أعاد الحرف الأول ونقطته تحته على هذا المثال:



فيكون: ي ك ل م ن س ع ف ص. يزاد عشرةً عشرة. فإذا بلغ إلى صاد يكتب على هذا المثال:



فيكون: ق ر ش ت ث خ ذ ظ. كتب الحرف الأول من الأصل وهو هذا «١» ونقط تحته ثلاث نقط هكذا .[. فيكون قد أتى على جميع حروف المعجم ويكتب ما شاء». (الفهرست، ص ٢٧ - ٢٨).

النوع الثاني[٦١] من [القلم] الهندي:

١ • ٢ • ٣ • ٤ • ٥ • ٦ • ٧ • ٨ • ٩ •
ا • ب • ج • د • ه • و • ز • ح • ط •

ي • ك • ل • م • ن • س • ع • ف • ص •

ق • ر • ش • ت • ث • خ • ذ • ض • ظ • غ •

(٦١) لا يختلف هذا النوع عن سابقه في شكل الأرقام التي تتخذ حروفًا، وإنما الاختلاف في الترتيب الهجائي وفي وضع النقط، فبينما توضع النقط على يمين الرقم ليؤدي حرفًا معينًا نجد الأرقام من ١ إلى ٩ هنا خالية من النقط تمامًا تؤدي الحروف: أ، ب، ج، د، هـ، و، ز، ح، ط. ثم توضع نقطة فوق كل رقم للحروف: ي، ك، ل، م، ن، س، ع، ف، ص. ثم نقطتان على كل رقم للحروف: ق، ر، ش، ت، ث، خ، ذ، ض، ظ. أما حرف (غ) فقد مُثل بالرقم ١ فوقه ثلاث نقط. وهذا يماثل نموذج «قلم السِّنْد» الذي أورده ابن النديم في (الفهرست) فيما عدا وضعه نقط الأرقام لتقرأ حروفًا تحتها وليس فوقها كما هو الحال عند ابن وحشية هنا.

النوع الثالث[٦٢] من القلم الهندي:

ا . ب . ج . د . ه . و . ز . ح . ط .

ي . ك . ل . م . ن . س . ع . ف . ص .

ق . ر . ش . ت . ث . خ . ذ . ض . ظ . غ .

---

(٦٢) الشكل الأساسي لهذه الحروف هي الأرقام ذاتها، وقد استبدلت النقط بدائرة متصلة بالأرقام من ١ إلى ٩، لتمثل الحروف التسعة الأولى في الأبجدية، ثم تلصق دائرتان بنفس الأرقام للحروف التسعة التي تليها، ثم ثلاث دوائر للتسعة الباقية - وهي تمثل ٢٧ حرفًا. وأضيف الشكل الأخير في صورة أربع دوائر متصلة لتمثل الحرف الثامن والعشرين.

وبما أن الأرقام من ١ إلى ٩ إذا كررت ثلاث مرات تكون ٢٧ فقط فقد عوِّض الحرف الثامن والعشرون في النوع الأول بتمثيل الرقم ١ لأربعة حروف، في حين استعيض بالرقم ١ ذاته في النوع الثاني فوقه ثلاث نقط بدلا من نقطتين، واستحدثت أربع دوائر متصلة للحرف الأخير في النوع الثالث لتعويض النقص.

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا أن هذه الحروف (الهندية) تتابع عدد الحروف في العربية (الثمانية والعشرين) ولا تأخذ بعين الاعتبار الأصوات غير الموجودة في العربية مثل (P و V) ونحوها مما يوجد في الهندية.



الباب الثاني

في الأقلام السبعة المشهورة

الفصل الأول

من الباب الثاني

في القلم السرياني(٦٣)

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

---

(٦٣) نسبة إلى «السريان». وهي إحدى اللهجات الآرامية التي خلفتها، وقد تسمى الآراميون أنفسهم باسم السريان بعد اعتناقهم النصرانية؛ لأن اسمهم القديم صار مرتبطًا بالوثنية فانسلخوا عنه واستبدلوه.

وكان الآراميون مجموعة عشائر هاجرت من شبه الجزيرة العربية نحو الشمال، وظلت تعيش ردحًا من الزمن في الشام، وفي مواطن الكنعانيين. وما لبثت الآرامية أن انتشرت انتشارًا عظيمًا بدءًا من القرن السادس ق.م. حين اتخذها الفرس الأخمينيون «لغة رسمية» لكتابة الدواوين، كما كتبت بها أجزاء من (العهد القديم) - وسميت خطأ بالكلدانية متابعة لما ورد في «سفر دانيال» (٢ / ٤) من قوله: «وكلم الكلدانيون الملك بالآرامية». وبهذه اللغة ما عرف بـ«الترجوم» وهو ترجمة «العهد القديم» من العبرية إلى الآرامية، وذلك لاندثار العبرية. وكان المسيح (عليه السلام) يتكلم الآرامية وليس العبرية، كما كان السامريون يتكلمونها كذلك. =

الفصل الثاني

من الباب الثاني

في القلم النبطي القديم[٦٤]

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت

= وأقدم الخطوط السريانية ما يدعى الخط «الإسطرانجولي»، وهي تسمية من اليونانية بمعنى «المدوّر» وظل الخط الوحيد المستخدم في الكتابة حتى القرن الخامس الميلادي، حين دب الخلاف بين النسطوريين، في الشرق، واليعاقبة، في الغرب، وتسرب من الخلاف في العقيدة إلى اللغة والخط، فأصبح هناك خط نسطوري (شرقي) ويعقوبي (غربي)، ويسميى الأخير: «السِّرطو»، مقلوب العربية «سطر». (رمضان عبدالتواب؛ في قواعد الساميات، ١١٩ - ٢٢١).

ونلاحظ أن الأبجدية السريانية عند ابن وحشية - وكما هي الآن - مكونة من اثنين وعشرين حرفًا، وأن حروف (ث، خ، ذ، ض، ظ، غ) تنقصها. والواقع أن هذه الحروف تمثلها حروف (ت، ك، د، ج) بإضافة نقطة تحتها. أما الضاد والطاء فلا يوجدان في الآرامية (عبدالتواب، ص ١٢٦).

(٦٤) يقول د. رمضان عبدالتواب: إن النقوش النبطية - كما هي حال النقوش التدمرية ونقوش صحراء سيناء التي ترجع إلى الفترة ما بين القرنين الأول ق.م. والرابع الميلادي - مكتوبة بالآرامية (أي بالقلم الآرامي). لكننا لا نرى أي تشابه بين «القلم النبطي القديم» هنا وبين الخط الآرامي (انظر بعلبكي، ص١٦٨).

الفصل الثالث

من الباب الثاني

في القلم العبراني (٦٥)

ا ب ج د ه و ز ح ط

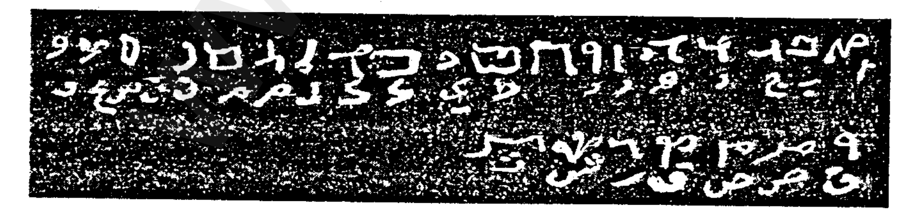
ي ك ل م ن ه س ع

ف ص ق ر ش ت

(٦٥) نسبة إلى العبرانيين، وهو القلم العبري أيضًا، نسبة إلى العبريين، وتتكون رموز الهجاء العبرانية من اثنين وعشرين رمزًا تكتب من اليمين إلى اليسار، وبعض هذه الرموز يختلف شكله في آخر الكلمة عنه في أولها أو في وسطها.

ونلاحظ التماثل الواضح بين الرموز التي يقدمها ابن وحشية وبين الرموز العبرانية المعروفة، حتى تتطابق في مجملها. وتنبغي الإشارة هنا إلى أن الرمز السادس في السطر الثاني اعتبر هاءً وهو في الواقع سين يدعى «سامخ»، إذ إن لصوت السين رمزين أحدهما سين خالصة والآخر تنطق ما بين الصاد والسين. أما الرمز الأخير في السطر الثاني ذاته الذي اعتبر سينًا عند ابن وحشية فهو رمز العين، والفاء (الرمز الأول في السطر الثالث) هنا تنطق في العبرانية باءً مهموسة «پ» (P). قارن: عبدالتواب، ص ١٣.

قال ابن النديم: «وذكر ثيادروس أن العبراني (يعني اللسان) مشتق من السرياني... فأما الكتابة فزعمت اليهود والنصارى، لا خلاف بينهما (باعتبارهما طائفتين) أن الكتابة العبرانية (كانت) في لوحين من حجارة وأن الله، جل اسمه، دفع ذلك إليه (أي إلى موسى) فلما نزل إلى الشعب من الجبل وجدهم (أي بني إسرائيل) قد عبدوا الوثن، فاغتاظ عليهم، وكان حديدا فكسر اللوحين. قال: فندم بعد ذلك، فأمره الله، جل اسمه، أن يكتب على لوحين يعلمهما (كذا) الكتابة الأولى. وذكر رجل من أفاضل اليهود أن تلك الكتابة العبرانية غير هذه، وأنها صُحِّفت وغُيِّرت». (الفهرست، ص ٢٢) ويقدم ابن النديم صورة للقلم العبراني:



الفصل الرابع

من الباب الثاني

في القلم البرباوي(٦٦)

ا ب ت ث ج ح

خ د ذ ر ز س ش

ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م

ن ه و لا ي

---

(٦٦) يتساءل «يوسف همّر» في مقدمة نشرته (شوق المستهام) عما إذا كان «قلم البرابي» Barrabi – أي «البرباوي» – أبجدية شعب يدعى «البرابر» Barrabers؟

ونحن نعلم الآن أن الصفة «برباوي» – وليس «بربري» – نسبة إلى «بربا» التي تجمع على «برابي» عند الإخباريين العرب، وتطلق على آثار المعابد الفرعونية في وادي النيل. وهي في المصرية القديمة: «پ ر. ب أ» = بيت الروح.

وغني عن البيان أن «القلم البرباوي» الوارد هنا لا صلة له بما يُعرف من صور الكتابة المصرية القديمة، اللهم إلا أن يكون قلمًا من أقلام التعمية المجهولة. ويشير ترتيب الرموز هنا طبقًا لترتيب الحروف العربية الألفبائية، والرمز قبل الأخير ما بين الواو والياء (لا) وهو عبارة عن لام وألف وليس حرفًا أو رمزًا مستقلا بذاته، إلى أن هذا القلم موضوع إما على يد ابن وحشية نفسه أو من قِبَل سواه. (قارن، ص ٣١٥ – ٣١٦ من: علم التعمية).

الفصل الخامس

من الباب الثاني

في القلم القمّي[٦٧]

ا ب ج د ه و ز

ح ط ي ك ل م

ن س ع ف ص ق ر

ش ت ث خ ذ ض ظ غ

---

(٦٧) يكتبه «همّر» في نشرته «اللقمي» Luqami. ويقترح أن يكون في الأصل أبجدية حبشية.
ومن الواضح أن ثمة خطأ من الناسخ الذي زاد لامًا على الأصل: «القُمِّي» – وهو قلم يذكره ابن الدريهم في مؤلفه (مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز) ويستخدم في التعمية بالاصطلاح على إبدال حرف بحرف معيَّن من الحروف دائمًا حيث وقع. وزاد القلقشندي في (صبح الأعشى) أنهم «جعلوا كل حرف من حروف العربية حرفًا آخر من حروفها، فجعلوا الكاف ميمًا وبالعكس، والألف واوًا وبالغكس، والدال راءً مهملة وبالعكس، والسين المهملة عينًا مهملة وبالعكس، والفاء ياء مثناة تحتية وبالعكس، فيكتب: محمد: كعكر، وعلي: سهف، ومسعود: كعسار». قال محققو كتاب ابن الدريهم إن «القُمِّي» نسبة إلى مدينة «قُم» في إيران (علم التعمية، ص ٣٢٧).
ويبدو أن ابن وحشية عرض هذه الرموز التي دعاها (القلم القُمِّي) إما نقلا عن سواه أو هي من وضعه.

الفصل السادس

من الباب الثاني

في القلم المسند[٦٨]

ا	ب	ت	ث	ج	ح
خ	د	ذ	ر	ز	س	ش
ص	ض	ع	غ	ف	ق	ط	ظ
ك	ل	م	ن	ه	و	ي

---

(٦٨) يذهب الأستاذ ألفريد بيستون إلى أن تسمية «المسند» منقولة من اليمنية القديمة بمعنى «سند مكتوب» (مختارات.. ص ٦٨) ويرى د. رمزي بعلبكي أنها جاءت من تلك الفواصل العمودية أو «المسندة» التي يفرق بها بين الكلمات في هذا القلم (الكتابة العربية والسامية، ص ١١٢). وجاء في (لسان العرب) لابن منظور: «والمسند خط لحمير مخالف لخطنا هذا، كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم. قال أبو حاتم [السجستاني]: هو في أيديهم إلى اليوم باليمن. وفي حديث عبدالملك: أن حجراً وجد عليه كتاب بالمسند. قال: هي كتابة قديمة. وقيل: هو خط حِمْيَر. قال أبو العباس: المسند كلام أولاد شيت» (مادة: سند).

يعتبر أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (الذي عاش ما بين ٢٨٠ - ٣٦٠هـ.) أول المهتمين بدراسة تاريخ اليمن القديم في كتابه «الإكليل»، وهو ذكر «المسند» في مؤلفه وقدَّم رموزه مقارنة بالعربية، استناداً إلى جملة علماء يمنيين اتخذ أحدهم (وهو أبو نصر الأبرهي)=

= مرجعًا له. ولكن «من الصعب معرفة مدى إلمام أولئك العلماء بالأبجدية اليمنية القديمة، أو امتلاكهم لمبادئ اللغة المستخدمة في النقوش، وكثيراً ما نستدل على قصور معرفتهم بها» كما يقول ألفريد بيستون (المصدر السابق، ص ١٠٦).

وقد سبق الهمداني كاتب تاريخ أسطوري هو وهب بن منبه الذي يقرر أن حمْيَر بن سبأ ملك اليمن وذهب إلى المغرب «وأن حمْيَر قفل من أرض المغرب راجعًا، وكان يكتب بالمسند في جميع سلاحه من الحديد وفي الأجبال إذا مر عليها، فأكثر من ذلك فرأى في منامه كأن آتيًا أتاه فقال له: اتق الله يا حمْيَر! قال له: وما لي؟ قال: تكتب هذا الخط المسند الكريم على الحديد والحجر والعود، يدرس وتعلوه النجاسات والله كرمه واصطفاه وادخره للفرقان يأتي به محمد ﷺ ... ولكن استخدم هذا الخط أنت وولدك فإن لكم به على الخلق فضيلة إلى مبعث محمد ﷺ، ومُرْ بنيك من بعدك بحفظ هذا الخط... فلما نام الليلة الثانية أتاه آتٍ فقال له: اقرأ يا حمْيَر. قال: وما أقرأ؟ فنظر إلى جبينه فإذا عليه خط مكتوب. قال له حمْيَر (كذا. والمفترض: قال الملاك لحمْيَر): اقرن هذا الخط بخط أبيك المسند من الأول إلى آخره، فاستخدم هذا الخط. فقرأ حمْيَر وردده حتى فهمه، فلما أصبح دعا بنيه وكتبه، وهو هذا». (التيجان، ص ٦٢ - ٦٣).

ولم يرد في طبعة مركز الدراسات والأبحاث اليمني لكتاب (التيجان)، ولا في طبعة حيدر آباد التي نقلت عنها، صورة هذا الخط الذي نفهم من السياق أنه كان بديلا عن قلم المسند الذي اتخذه حمْيَر من قبل. وقد تكون القصة رمزًا لتحول أهل اليمن عن قلمهم القديم (المسند) إلى القلم العربي الشمالي المتطور عن القلم النبطي، وينسبه وهب بن منبه نفسه في مواطن أخرى إلى النبي هود. قال: إن عابر (أبا هود، عنده) نزل عليه مَلَكٌ بصحيفة فيها أحرف وقال له: يا عابر! تدبر أمر هذه الأحرف وسمها بما أعطاك لسانك وشفتاك. ألا ترى أنك قلت (با) فسمٍّ الحرف باءً، ثم قلت (سين) فهو سين، ثم قلت (ميم)، ثم والِ الحرف بالحرف يكن (بسم)، وكذلك في سائر الحروف. ثم أعطى عابر الصحيفة لابنه هود قائلا: أنت يا بني صاحب الصحيفة (ص ٣٧). قال وهب: وإن الله أنزل على هود صحيفة أمره فيها بالحج إلى البيت الحرام، وأنزل عليه ما بقي لأبيه من العربية وأنزل عليه (ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز [ص ض] (الصاد والضاد ساقطان في الأصل، ونلاحظ أن السين المهملة والشين المنقوطة وضعتا بعد النون بينما موقعهما في الترتيب الألفبائي المعهود بعد الزاي في العادة) ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن س ش هـ و لا ي). فأنزل لها تسعة وعشرين حرفًا. ولذلك علا اللسان العربي على جميع الألسن، لأن كل لسان من الألسن، مثل العبراني والسرياني، إنما هو اثنان وعشرون حرفًا. وأنزل عليه: يا هود! إن الله قد آثرك أنت وذريتك بسيد الكلام. (ص ٤٣). =

= والحق أن قراءة «المسند» ودراسة النقوش التي كتبت به على الحجارة والمعادن يعود فضلهما إلى جهود جملة من البعثات الاستكشافية، عسكرية وعلمية، جاءت من البلاد الأوروبية بدءاً من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي. وإذا كان باعث هذه الجهود في البداية استعمارياً ودينياً، للسيطرة على جنوب غرب الجزيرة العربية ومحاولة تتبع ما جاء من إشارات في «العهد القديم» من قصص تتعلق بهذه المنطقة، فإن البحث ما لبث أن اتخذ مساراً علمياً تاريخياً حضارياً بعد فك رموز «المسند» على أيدي المستشرقين أولا، ثم على أيدي جملة من العلماء العرب في مصر والشام وفلسطين والعراق واليمن ذاته. (انظر للتفصيل: بيستون؛ آثار اليمن وتطور دراساتها في: مختارات من النقوش اليمنية القديمة، ص ٩٧ - ١١٥).

ولا يظهر شبه ما بين خط المسند - كما نعرفه اليوم - بأشكاله الهندسية المزوّاة المتناسقة، وبين ما يعرضه ابن وحشية. لكن «المسند» نفسه ذو صلة بالخطوط العربية الشمالية وخاصة الخطوط الثمودية والصفوية واللحيانية، وبينها جامع مشترك هو الكتابة السينائية - نسبة إلى شبه جزيرة سيناء (بعلبكي، ص ١٠٩). وقد يمكننا النظر في مقارنة بعض أشكال الرموز السينائية برموز مسند ابن وحشية وهي رموز: أ (الألف المهموزة أو الهمزة). ر. ز. س. ط. ك. ل. م. ن. و. ي.

ملاحظات:

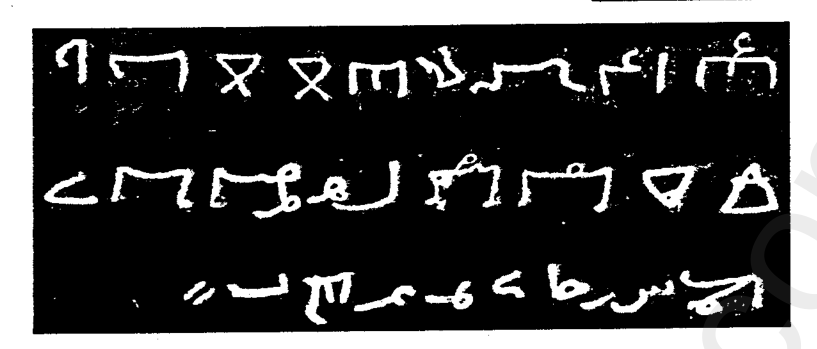
١ - في «مسند» ابن وحشية ثمانية وعشرون حرفًا، هي عدد الحروف في العربية، وفي الكتابة السينائية اثنان وعشرون حرفًا فقط، تنقص ستة أحرف مما تدعى «الروادف» وهي: ث. خ. ذ. ض. ظ. غ.

٢ - في حروف المسند اليمنية ثمانية وعشرون رمزاً، تطابق الحروف العربية، ما عدا الشين الذي له رمزان مختلفان باختلاف نطقه الذي يشارك فيه السين المهملة، فتكون جملة حروفه تسعة وعشرين حرفًا.

٣ - رتب ابن وحشية حروف مسنده ترتيبًا ألفبائيًا، لكن البحوث الحديثة أدت إلى ترتيب خط المسند بشكل مغاير - حسب العالم البلجيكي «جاك ركمنس».

٤ - يمكننا أن نلاحظ التشابه في أصول رموز الباء والتاء والثاء - عند ابن وحشية - وكذلك في أصول رمزي الدال والذال والشين والصاد.

رغم أن ابن وحشية لم يذكر قلمًا للحبشة فقد لاحظ ابن النديم أن للحبشة قلمًا «حروفه متصلة كحروف الحميري (المسند) يبتدئ من الشمال إلى اليمين... وهذا مثال الحروف (الحبشية) وكتابتها من خزانة المأمون»: =



= وأضاف ملاحظة أن «حرف التاء والثاء واحد وحرف الراء والزاي واحد وحرف الحاء والخاء واحد وحرف العين والغين واحد وحرف الطاء والظاء واحد».

وهو ما ينطبق على الحروف العربية قبل ابتداع التنقيط، إذ يستوي شكل الباء والتاء والثاء، وشكل الجيم والحاء والخاء، وشكل الدال والذال، وشكل الراء والزاي، وشكل الصاد والضاد، وشكل الطاء والظاء، وشكل العين والغين، وإلى حد ما شكل الفاء والقاف. غير أن قول ابن النديم إن حروف قلم الحبشة «متصلة» كحروف القلم الحميري غير صحيح، فإن حروف كلا القلمين منفصلة وليست متصلة.

ويذكر ابن النديم أنه «زعم الثقة أنه سمع مشايخ من أهل اليمن يقولون إن حِمْيَر كانت تكتب على خلاف أشكال ألف وباء وتاء. ورأيت أن جزءاً من خزانة المأمون ترجمته ما أمر بنسخه أمير المؤمنين عبدالله المأمون أكرمه الله من التراجم وكان في جملة القلم الحميري، فأثبت مثاله على ما كان في النسخة». (الفهرست، ص ٨).

في (كتاب الحاصل) يقول جابر بن حيان، بعد أن يورد اختلاف أسماء المعادن (الذهب والفضة والنحاس والرصاص والزئبق والأسربّ) ما بين اللغات العربية والرومية والفارسية:

«ولقد تعبت في استخراج الحميري تعباً ليس بالسهل، لأني لم أر أحداً يقول إنه سمع من يقرأ به، فضلا عن أن أرى من يقرأ به، إلى أن رأيت رجلا له أربعمائة سنة وثلاث وستون سنة (كذا) فكنت أقصده، وعلمني الحميري، وعلمني علوماً كثيرة ما رأيت بعده من ذكرها ولا يحسن شيئاً منها، قد أودعتها كتبي في المواضع التي تصلح أن أذكرها فيها، وذلك إذا سمعتنا نقول: قال الشيخ الكبير - فهو هذا الشيخ... ولنعد الآن إلى غرضنا الذي كنا به، وأقول: إني وجدت الحميري أيضاً أشد خلفاً لسائر اللغات مما تقدم، وذلك أني وجدت الذهب في لغتهم يدعى (أوهسمو) والفضة (هلحدوا) والنحاس (بوسقدر) والحديد (بلهوكت) والرصاص (سملاخو) والزيبق (حوارستق) والأسرب (خسحدعزا). فيا ليت شعري كيف يصل العالم من كتب الفلاسفة في علم الموازين إلى إيضاح هذا الخلف مع تعمية ما اتفق في رمزهم فضلا عن التعليم!» (مختار رسائل جابر بن حيان، ص ٥٣٦ - ٥٣٧).

الفصل السابع

من الباب الثاني

في القلم المسمّى باليوناني «قلم الحكماء»[٦٩]

·t·H·Z·O·h·Ⅎ·8·A

ا.ب.ج.د.و.ز.ح.ط.

·q·Ш·И·M·L·K·I

ي.ك.ل.م.ن.س.ع.

·Q·Ƶ·ϴ·Π·Σ·R·H

ف.ص.ق.ر.ش.ت.ث.

·ɗ·Ϻ

خ.ذ.

(٦٩) قد نقرأ: القلم المسمى بـ«اليوناني»: قلم الحكماء. أي أن القلم يدعى القلم اليوناني، وهو قلم الحكماء، بمعنى الفلاسفة، أو أنه يسمى في اليونانية «قلم الحكماء».
وعلى كل حال، فمن الواضح جدًا أن ما بين أيدينا هو ذاته الخط اليوناني القديم وإن اختلفت بعض حروفه أو تعاقبت، أو هي تحرفت، وفي بعض الأحيان تشاكلت وأقلام أخرى. والمعروف أن الحروف اليونانية مأخوذة عن الكنعانية (التي تدعى «الفينيقية» في بعض المصادر) وأن تطورات مرت بها، كما أن اليونان أدخلوا ضمن رموزهم الهجائية رموزًا لأصوات في لغتهم لم تكن في الكنعانية واللغات العروبية الأخرى، كما حوّلوا بعض الرموز الكنعانية لأصوات لا توجد في لغتهم إلى رموز للصوائت (بعلبكي؛ الكتابة العربية والسامية، ص ٢٠٠ - ٢١٧). =

....

= وبشيء من التمعن تمكننا مقارنة عرض ابن وحشية لهذا القلم بما يتوفر لدينا اليوم من أشكال الحروف اليونانية في تطورها وفي مواقع وجودها.

ملاحظات:

١ - تتفق حروف (ب)، (ك)، (ن) مع الحروف اليونانية في القرنين ٨ - ٦ ق.م. ويبدو أن حرف (ج) محرف عن نفس الحرف في ذات الفترة.

٢ - تتفق حروف (أ)، (ز)، (ح)، (ي)، (م)، (ف)، مع يونانية القرن ٤ ق.م.

٣ - الرموز المختلفة أو التي وضعت في غير محلها: الدال، والواو (وهو في اليونانية يمثل الضمة O الطويلة ô)، والطاء (الذي يقابل الثاء المثلثة ⊖ في اليونانية. أما في قائمة ابن وحشية فيبدو شبيهاً بالتاء اليونانية T التي رمز إليها برمز مغاير في موقعها من الأبجدية)، واللام (أشبه بمقابله اللاتيني)، والسين، والغين (وكأن رمزها محور عن P اليونانية، ونراه يماثل الكاف الثقيلة = Q)، والفاء (ولعل رمزها محور عن P = ف، في يونانية القرن ٤ ق.م) والصاد (ويبدو رمزها أشبه برمز الراء اللاتيني)، والقاف (ورمزها هنا يمثل السين في الأبجديات اليونانية)، وكذلك الراء (الذي يمثل الشين والسين في يونانية القرنين ٨ - ٦ ق.م.). ويشبه رمز الشين عند ابن وحشية رمز الثاء المثلثة في اليونانية (وهما يتعاقبان). ورمز التاء المثناة النقط مختلف تماماً عما في بقية الأبجديات اليونانية المعروفة، لكن رمز الثاء المثلثة النقط غير بعيد عن رمزه اليوناني، ورمز الخاء يبدو مأخوذاً عن اليونانية X. وأخيراً نجد الذال المعجمة ورمزها قريب جداً من اليونانية في رمزها ∂ الذي ينطق قريباً منها.

الباب الثالث

في معرفة أقلام الحكماء السبعة المشهورين

وهم

هرمس، وأقليمون، وأفلاطون

وفيثاغورس، وأسقليبوس، وسقراط، وأرسطوس.

الفصل الأول

من الباب الثالث

في قلم (هرمس)[٧٠]

كما ترى:

ا . ب . ج . د . ه . و . ز

ح . ط . ى . ك . ل . م . ن .

س . ع . ف . ص . ق . ر ش ت

---

(٧٠) «هرمس» Hermes هو الاسم الذي أطلقه اليونان على الإله المصري العتيق «تحُتْ»، وهو كان عند المصريين يحسب عدد السنين والزمان ويقدر أجل كل إنسان فكان سيد المصير والقدر. وهو الذي اخترع الكتابة وما يتوقف عليها من علوم وصناعات وعلى رأسها السحر والطب والفلك والتنجيم والصنعة. ولهرمس عند اليونان من الصفات ما يقربه كثيراً من «تحت»، فهو طبيب يعرف مزايا السحر، وهو رسول الآلهة والمترجم عن الكلمة الإلهية. وينسب إليه اختراع الألفاظ والكتابة والعبادة الإلهية والفلك والموسيقا والألعاب وحسن الإيقاع. وكان هرمس عند الرواقيين «اللوغوس» أو الكلمة، ثم صار اللغة نفسها، لأنه الرسول، واللغة هي الرسول بين العقول. وقد لذ لأفلاطون أن يشتق اسم «هرمس» من «إرمينيوس» Ermeneus – أي: الترجمان – في (محاورة أقراطيلوس) مع ما في هذا من تعسف ظاهر وعبث. (بدوي؛ الوجودية والإنسانية في الفكر العربي، ص ١٦٣ – ١٦٤). =

= وإذا كان من المعترف به أن الأغلبية الساحقة من الآلهة اليونانية مجلوبة من مصر وبلاد الشام كما يقرر هيرودوت نفسه (التواريخ) فإن الأقرب إلى المعقول أن تكون أسماؤها كذلك، وإن حُرفت في اللسان اليوناني. ورغم محاولة أفلاطون اشتقاق اسم «هرمس» من لفظ يوناني قد يكون هو ذاته عروبي الأصل، فإن لنا مثلا قريبًا في اليونانية ذاتها هي كلمة erémités ومنها الإنكليزية hermit = المختلي، الراهب في بواكير النصرانية يعتزل في الصحراء، والاسم منها: hermitage = دير منعزل. وفيها eremite (اللاتينية eremita = hermit) وهي من اليونانية eremia (صحراء). ونكاد نجزم بأنها من العربية «أرم» التي منها: آرامي، مفرد الآراميين، وهم كانوا سكان صحراء الشام.

وعلى هذا فإننا نتلمس مكافئًا لاسم «هرمس» اليوناني في اللغة العروبية المصرية. ونرجح أنه مكون من مقطعين:

١ - «حر» = نور، ضياء.

٢ - «مس» = ولد (hr. ms) = النور ولد، أي: ابن النور - قياسًا على أسماء مصرية كثيرة تأتي على هذا النسق من مثل «تحتمس»، «رعمس»، «إمن مس».. إلخ.

يؤيد ما نذهب إليه ثلاثة أمور:

أولها أن اليونان نقلوا اسم المعبود المصري «حر» (= الصقر) في صورة Huros كما هو معروف، فلا عجب أن ينقلوا سواه من مثل Ibis (طائر أبو قردان) وأصله في المصرية hb و hby - أبدلت الهاء همزة مكسورة وألحقت بها سين العَلَميَّة في اليونانية.

وثانيها أن «تحت» عند قدماء المصريين كان إلهًا للنور والضياء وربًّا للقمر، انبثق من رأس المعبود «ست» (رب الظلمة) كما ينبثق النور من الظلام. وكان رب الكتابة، التي تعتبر نور العقل، وحُد بمعبودين آخرين هما القرد الذي يدعى «حض-ور» (الأبيض الكبير) وطائر أبي قردان الأبيض اللون وقد فصلنا الأمر تفصيلا مطولا في كتابنا (آلهة مصر العربية - المجلد الأول، ص ٣٥٠ - ٣٦٣).

وثالثها أن كون المعبود «تحت» متصلا بالضياء والنور يدل عليه اسمه في المصرية القديمة «ضحوتي» في الأصل، وهو اسم مشتق من الجذر «ضح» في المصرية (ضحا، ضحح، ضحي، في العربية): «ضحو» = القمر - مضافًا إليه تاء التأنيث (إذ القمر مؤنثة في المصرية = ضحوة) ثم ياء النسبة (ضحوتي = قمري، نوري، ضيائي).

غير أن (دائرة المعارف البريطانية) تذهب مذهبًا آخر فتقول تحت مادة Hermes إن هرمس كان معبودًا يونانيًّا، وهو ابن زيوس Zeus من مايا Maia ابنة أطلس Atlas، وكان غالبًا =

= يطابق المعبود الروماني ميركوري Mercury وكذلك الكابيري Cabiri، ولعل اسمه مشتق من herma وهي الكلمة اليونانية التي تعني كومًا من الحجارة كتلك التي كانت تستعمل للإشارة إلى الحدود بين قطع الأرض أو علامات. وتقول في مادة herm إن هذه الكلمة تعني في اليونانية «الحجر المقدس» ذا الصلة بهرمس، وتقرن بين هذا الحجر المقدس وبين كلمة Baeytulus. وعن هذه تذكر أنها أصلا Baeytulu وهي كلمة من أصل «سامي» Bethel وتعني حجراً أو عاموداً مقدساً، تجمع في الإنكليزية على baeytuli والصفة منها baetulic باعتبار الحجر أو العامود مقر الإله في المرحلة الفتيشية من العبادات، وهي تطورت بعدئذ إلى herma.

ويمكننا هنا القول إن herm اليونانية بمعنى «حجر» هي ذاتها العربية «إرم». والإِرَم: حجارة تنصب علمًا في المفازة، والجمع: آرام وأروم، مثل ضِلَع وأضلاع وضلوع. والآرام: الأعلام وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة يهتدى بها، والأروم: الأعلام وقيل هي قبور عاد (لسان العرب؛ أرم).

وهي ذاتها «هرم». والهرم: البناء. ومن ذلك الأهرام المعروفة في مصر، مفردها: هرم. ومن المعتقد أنها كانت قبوراً لبعض الفراعين. وقد نضيف إلى ما سبق مادة «حرم» العربية، وفيها معنى التقديس (قارن: البيت الحرام، وحرم إبراهيم.. إلخ). وكلها ذات صلة باليونانية hermes/herma/herm.

أما Baeytulus (= Bethel) التي ذكر أنها «ساميَّة» فليست سوى (بيت إل) أي: بيت الله.

وقد ورد في ما اقتبسنا أن هرمس كان ابن «زيوس» - رب الأرباب عند اليونان. وأصل الاسم «زيو» Zeu بدون سين العَلَمِيَّة وهو ذاته في اللاتينية Deu وفي اليونانية واللاتينية Theo والمعنى: النور. العربية: ضو(ء) وضيا(ء). وكان هرمس ابن زيوس من «مايا» Maia. وهذه ليس سوى العربية «أمّ» أي: والدة. وهي ابنة Atlas. والسين مزيدة والأصل atl بمعنى: الهضبة، المرتفع من الأرض (جذر الكلمة TL) وهي العربية «تَلّ» (ومن هنا جاءت تسمية جبال الأطلس في شمال أفريقيا).

أما المعبود الروماني ميركوري Mercury فقد كان إله التجارة عند الرومان، ونجد بين اسمه وبين العربية «مكر» بمعنى «السوق» صلة وثيقة. وهو كان كذلك رسول الأرباب السريع الإبلاغ العَجِل، ولعلنا نلمح صلةً بين اسمه هنا والعربية «مرق» بمعنى: مرَّ سريعًا.

وتظل صلة هرمس بـ «الكابيري» باعتباره واحداً منهم، فنجد أن Cabiri صيغة جمع=

= مفردها Cabiros وهم جملة معبودات فروجية ترجع إلى ما قبل العصر الهليني في اليونان. ويقرر «معجم أكسفورد الكلاسيكي» أنها ذات أصل كنعاني تدعى في اللسان اليوناني كذلك Megaloi Theoi أي«الآلهة العظيمة» - بكلمة أخرى: الكبيرة. وفي العربية - كما في الكنعانية - يؤدي الجذر «ك ب ر» إلى: كبير، كبار، كبراء، بمعنى العظمة.. الكِبْر.

وندلل على ما نذهب إليه بأن نفس التسمية (Cabiri) ترادفها تسمية أخرى لهذه الأرباب عند اليونان هي Anaktes وأصلها Anakes (صيغة جمع) بمعنى: السادة، الملوك. وكلمة anak هذه هي ذاتها العربية «عناق». جاء في (لسان العرب): الأعناق: الرؤساء. والمعنق: المتقدم السابق. والعنقاء: اسم ملك (مادة «عنق»).

على هذا فإن الـCabiri هم «الكبار» و Anakes هم «الأعناق».

واضح أن المقصود هنا «هرمس الأول» أو «هرمس المثلث بالعظمة» الذي يعادل المعبود «تحت» عند المصريين القدماء.

ويذكر أصحاب كتاب (علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب) أن «تاريخ التعمية من حيث الاستعمال والتداول مغرق في القِدَم. عرفها قدماء المصريين، واستخرجوا التعمية بتبديل بعض أشكال الكتابة لديهم بأخرى. والمقصود بتاريخ هذه الحقبة تتبع استعمال الإنسان التعمية لإخفاء بعض المعلومات التي يكتبها أو يرسلها على نحو يجعل معرفة الآخرين لها جدّ صعبة. وتمتد هذه الفترة من حوالي ١٩٠٠ ق.م. على ضفاف النيل - وحتى القرن الأول الهجري أو الثامن الميلادي، حيث بدأ العرب بمعالجة التعمية باعتبارها علماً».

وهذا الكلام منقول، كما يقول المؤلفون أنفسهم، عن دافيد كاهْن (David Kahn; The Code Breakars, pp. 71, 93) غير أن كاهن ذاته يقرر: لم نجد في أي من الكتابات التي نقبنا عنها أي أثر واضح لعلم استخراج المعمّى حتى الآن. وعلى الرغم من وجود بعض الحالات المعزولة العرضية، مثل: الرجال الإيرلنديين الأربعة، أو دانييل، أو أي مصريين يمكن أن يكونوا قد استخرجوا بعض كتابات المقابر الهيروغليفية، فإنه لا يوجد شيء في علم استخراج المعمّى. (علم التعمية.. ص ٤٦ - ٤٧).

وإذا لم يتم العثور على شيء في علم «استخراج» المعمّى، فإن: التعمية كانت معروفة عند قدماء المصريين فيما يبدو؛ إذ ينسب مؤلفا كتاب (الفراعنة) المترجم باسم (موسوعة الفراعنة) إلى «سننموت» صديق «حتشبسوت» المفضل (الأسرة الثامنة عشرة ١٤٧١ - ١٤٥٦ ق.م.) أنه «استطاع أن يخترع بعض الكتابات الرمزية المعقدة Cryptogrammes =

= بعد أبحاث ودراسات متعمقة في أصول الكتابة الهيروغليفية» (ص ١٧٠ من الترجمة العربية).

إن «قلم هرمس» - أو «الكتابة الهرمسية» - تعني عند ابن وحشية الكتابة الهيروغليفية. وينبغي ألا تفوتنا ملاحظة أن هذه الرموز، التي رتبت ترتيبًا أبجديًا يتكون من ٢٢ حرفًا (للحرفين العشرين والحادي والعشرين رمز واحد فتقابل ٢١ رمزًا)، ذات صلة بالرموز الهيروغليفية المصرية التي نعرفها اليوم وتمكن المقارنة بين الثنتين - مع التجاوز طبعًا عن عدم الدقة في الرسم أو النسخ في الأصل المنقول، وملاحظة أن هذه الرموز المعروضة هنا لا تقابل «الحروف» المصرية أو الأصوات التي اتفق عليها علماء المصريات. ونعتمد في المقارنة على ما ورد في كتاب الأستاذ «ألن غاردنر» (النحو المصري) Allen Gardiner, Egyptian Grammar.

في اليونانية واللاتينية Trismegistus - ترجمة ركيكة لـ«تْحُت العظيم جدًا» (Thoth the very great) بتأكيد الصفة على سبيل التكرار [يعني في المصرية القديمة: Dhwty. wr. wr]. و«تحت» هو المؤلف المزعوم لمجموعة البحوث الفلسفية - الدينية المعروفة باسم Hermetica، وكذلك لأعمال شتى عن التنجيم والسحر والسيمياء. وهي أعمال متأخرة، رغم الزعم بأنها مصرية، لا تحمل في طياتها سوى القليل من المذهب والروح المصريين. وكل ما في الأمر أنه كتبها ناطقون باليونانية في مصر. أما نسبتها إلى إله المعرفة المصري فقد كانت نتيجة لموجة الحماسة لحكمة مصر القديمة والحضارات المشرقية الأقدم على وجه العموم (The Ox. Class. Dict.).

أما (الموسوعة البريطانية) فتقول: إن Hermes Trismegitos تسمية يونانية مقابلة للمعبود المصري تْحُتْ Thoth الذي كان كاتب الآلهة، ومخترع الكتابة وراعي الفنون المعتمدة على الكتابة بما فيها الطب والفلك والسحر. وكان يسمى في «حجر رشيد» (١٩٦ ق.م): «العظيم العظيم» أي: تْحُتْ. أما اللقب Trismegistos (المثلث العظمة Trica-great) فلا يوجد خارج النصوص الهرمسية إلا نادرًا، وهو تطوير للمصرية «ع أ - ع أ» (=عظيم - عظيم) أي: الأعظم، وهو لقب «تحت» في الهيروغليفية المتأخرة.

ونعلق هنا بأن اللقب في المصرية ليس «ع أ - ع أ» بل «ع أ - ع أ و». والهمزة تقوم مقام اللام في القلم الهيروغليفي فهي أصلا «ع ل - ع ل و». والواو علامة الجمع. ولأن الأبجدية الهيروغليفية تفتقد علامات الصوائت فإننا نصوّتها فنقرأها: «عالي العالين» بالعربية العدنانية، فهو «أعلى العالين» شأنًا، أي: عظيم العظماء، أو كبير الكبار.

الفصل الثاني

من الباب الثالث

صفة قلم الحكيم (أقليمون)[٧١]

صاحب العجائب والعلم:

ا ب ج د هـ و ز ح

ط ي ك ل م ن س

ع ف ص ق ر ش ت

(٧١) يرد في (الفهرست): قليمون. ويذكر ابن النديم من «الكتب المؤلفة في الفأل والزجر والحزر ونحو ذلك»: كتاب الفراسة لقليمون (ص ٤٣٦). ومن أسماء كتب جابر بن حيان: كتاب إلى قليمون (ص ٥٠٠).

وأورد د. زكي نجيب محمود في مؤلفه (جابر بن حيان، ص ٣٣) في قائمة كتبه: كتاب أبي قليمون، الذي ذكره جابر في المقالة الرابعة والعشرين من كتاب (الخواص) الكبير، وعلق بقوله: «وأبو قلمون اسم حشرة كانت تأكل الذباب» (كذا!). ومن الواضح أن د. زكي نجيب محمود تأثر في هذا التفسير بما سجله «بول كراوس» في (مختاره، ص ٣١٨) من قول جابر: «ويجب عليك أن تتعب نفسك في كتاب (الدار) و(العلم المخزون) وكتاب (المزاج) و(الطبيعة الخامسة) و(السر المكنون)... فأما «الأجساد السبعة» فمن كتاب (أبي قلمون)، وناهيك به».

ونحسب أن ثمة خطأ في هذا النقل وفي تفسير د. زكي نجيب محمود فإن الكتاب المذكور لا يتحدث عن الحشرات بل عن خواص المعادن وهي من صلب علم «الصنعة» أو الكيمياء. والصواب «إلى قلمون» وليس «أبي قلمون».

وباعتبار «قلمون» اسم شخص فإننا نجد أقرب مكافئ له اسم العلم في اليونانية Cleo-menes الذي يورد (معجم أكسفورد الكلاسيكي) ثلاثة أعلام يحملونه لا صلة لأي منهم بعلم الكيمياء أو السيمياء أو الطبيعيات ونحوها. وهناك اسم Clemens الذي يحمله من عرف في المؤلفات الحديثة باسم «كليمنس» (أو «كليمنت») الإسكندري. وهو ولد من أبوين وثنيين في أثينا سنة ١٥٠م. =

الفصل الثالث

من الباب الثالث

في صفة قلم الحكيم (أفلاطون)[٧٢]

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت

= واعتنق النصرانية وأصبح من المدافعين عنها مسفهًا الوثنية اليونانية ومبرزًا فضل النصرانية. وكانت مؤلفاته تزخر بالاقتباس من فلاسفة الرواقيين والأفلوطينيين، بل من هوميروس وهزيود، وكان على معرفة بـ«الأسرار الإغريقية»، كما تظهر آثاره التي ظلت بقايا منها، حتى اتهم في عقيدته من قِبَل من جاء بعده. وهو عاش في الإسكندرية، وتعرض لموجة اضطهاد النصارى في عهد «سبتميوس سيفروس» واضطر إلى مغادرة مدينته ملتجئًا إلى تلميذ له سابق في بيت المقدس، وتوفي ما بين عامي ٢١١ و٢١٦م. ورغم أنه اعتبر في التقويم النصراني من الشهداء القديسين، فإن ما حام من شكوك حول ثبات عقيدته والريب في تأثره بالأفكار اليونانية الوثنية دفع البابا «بندكت الرابع عشر» في عام ١٧٤٨م. إلى إسقاط اسمه من دائرة القديسين المعترف بهم في مجمع الشهداء الروماني.

(٧٢) ثالث أشهر فلاسفة اليونان: سقراط، أفلاطون، أرسطو. عاش ما بين حوالي ٤٢٩ - ٣٤٧ ق.م. ولد في أسرة أرستقراطية أثينية وكان يعد نفسه ليكون من رجال الحكم والسياسة في أثينا، لكن تلمذته لسقراط جعلت منه فيلسوفًا نظريًا. وقد أثر فيه سقراط تأثيرًا كبيرًا، فلما حكم على أستاذه بالإعدام انعزل، وتلاميذ آخرون، عن الحياة العامة. بيد أنه حاول تطبيق نظرياته في سياسة المجتمع في إيطاليا وفي سيراكوزة بالذات حيث اتصل بحاكمها «ديونيسوس» الأول، وبمساعده «ديون» ثم بخلفه «ديونيسوس» الثاني، لكنه لم يحقق نجاحًا يذكر. وهو اتخذ من بستان رجل يدعى «أكاديموس» مدرسة لتعليم الفلسفة والنظر الفكري مما عُرف باسم «الأكاديمية» حتى توفي. له مؤلفات كثيرة حُفظت كلها، من أشهرها: المحاورات، والجمهورية. كان له أثر بارز في الفكر الإسلامي واتبعه عددٌ كبير من فلاسفة الإسلام، من أعرفهم: ابن سينا والفارابي. نسبت إليه أعمال لا صلة له بها في الغالب نظرًا لشهرته.

وسيأتي ذكر قلم آخر لأفلاطون هو «القلم المشجر» في الفصل الرابع والعشرين من الباب الرابع.

الفصل الرابع

من الباب الثالث

في صفة قلم الحكيم (فيثاغورس)[٧٣] الأوحد

ا ب ج د ه و ز ح

ط ى ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت

(٧٣) Pythagoras. النصف الثاني من القرن الخامس ق.م. كان من أتباع ديانة المعبود الإغريقي «أبولّو»، وقد أحاطت بحياته الأساطير حتى لدى الفيلسوف أرسطو. ورغم أنه لم يكتب شيئًا موثوقًا فإن مجموعة من الأعمال نُسِبت إليه. ويُعْزى إلى فيثاغوراس كذلك النسب العددية التي تفصل بين درجات السلم الموسيقي، وهذا ما قاده إلى تفسير الوجود برمته عبر الأرقام، كما تؤثر عنه نظرية رياضية تعرف باسمه. وهو أسس طائفة دينية ينضم إليها الرجال والنساء على حد سواء، مبادئها تقوم على الطهارة التامة، والصمت، وحساب الذات والامتناع عن أكل اللحوم، والتحلي بالأخلاق الكريمة. وبناء على تفسيره العددي / الموسيقي للوجود اهتم أتباعه بالحساب والرياضيات معتمدين النقط لتسجيل «النوتة» الموسيقية، وقالوا إن كل ما في الكون يقوم على الأرقام، بما في ذلك الأفكار المجردة، كالرأي والفرصة والظلم.. إلخ. هي أرقام لها وضعها في النظام الكوني. أما النظام الفلكي فمركزه النار التي تدور حولها الأجرام السماوية ومنها الشمس والأرض، وأساسه «تناغم الأفلاك».

الفصل الخامس
من الباب الثالث
في صفة قلم الحكيم (أسقليبوس)[٧٤]

ا ب ج د ه و ز ح

ط ي ك ل م ن

س ع ف ص ق

ر ش ت

---

(٧٤) «في رواية بوسيوس عن مانيثو يقول إن ثاني ملوك الأسرة الثالثة في مصر كان Sosorthus (=زوسر)... وقد سمي عند المصريين باسم Aesculapius بسبب مهارته الطبية، كما كان مبتدع البناء بالحجارة المنحوتة، واهتم إلى جانب ذلك بتأليف الكتب» (Manetho, p. 45).
أما رواية سنكلوس فتجعل Tosorthros (=زوسر) الملك الثاني في الأسرة الثالثة كذلك، غير أنها تقول إن «في عهده عاش Imuthes الذي بسبب مهارته الطبية حاز على سمعة Ascleopios بين المصريين، وهو كان مبتدع البناء بالحجارة المنحوتة واهتم كذلك بالكتابة».
والواقع، كما يقول «وادِل»، أن المقصود كان «امحتب» طبيب الفرعون «زوسر» ومهندسه المشهور، وقد حاز على صيت ذائع حتى أُلّه بعد موته ووُحِّد بينه وبين «أسكلابيوس» إله الطب عند اليونان. وقد بقي ذكره حتى عصر البطالمة فبنى له بطليموس فيلادلفوس (المعروف ببطليموس الثاني الذي ظهر في عهده «مانيثو») معبداً باسمه.

الفصل السادس

من الباب الثالث

في صفة قلم الحكيم (سقراط)[٧٥]

ا ب ج د ه و

ز ح ط ي ك ل م

ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ

---

(٧٥) عرف سقراط بأنه الفيلسوف الذي «أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض»، وذلك بتحويل البحث الفلسفي من النظر في علل الوجود إلى النظر في القيم الأخلاقية والجمالية من وجهة النظر الإنسانية. عاش ما بين الأعوام ٤٦٩ - ٣٩٩ ق.م. واتُّهِم من قِبَل خصومه بإفساد عقول الشباب والسخرية من المعبودات التقليدية، وحُكِم عليه بالموت. وقيل إنه كانت لسقراط اهتمامات فيزيقية (طبيعية) في بداية شبابه. ثم ما لبث أن تخلي عنها بعد ذلك وانصرف إلى النظر في المسائل القيمية، وكانت تحديداته للألفاظ بداية لعلم المنطق الذي ازدهر على يد أرسطو فيما بعد. ولم يؤثر عن سقراط أنه ترك آثاراً مكتوبة، ومعرفتنا بآرائه تنبع من «المحاورات» التي كتبها تلميذه أفلاطون وكان سقراط الشخصية المحورية فيها. أما معرفتنا بشخصيته فعن طريق الصورة التي رسمها له المسرحي أرستوفانيس، وما سجله عنه المؤرخ كسينوفون. وكان من تلاميذ سقراط رجال مشهورون عُرِف كثير منهم باتجاهه الفلسفي الخاص به، من مثل أفلاطون وأنتستنيس وإيوِكليدس. وكان أثره بارزاً في الفلسفة التي تلته.

الفصل السابع

من الباب الثالث

في صفة قلم الحكيم (أرسطوس)[٧٦]

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م

ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ

(٧٦) أرسطو أو أرسطوتليس (أرسطو طاليس) Aristotèlès (٣٨٤ - ٣٢٢ ق.م.). كان والده نيكوماخوس طبيبًا ينتسب إلى طائفة الأسكلوبسيين (نسبة إلى أسكلوبيوس العتيق) ويبدو أنه تشرب الاهتمام بالعلوم الطبيعية من والده. بدأ تعلمه في موطنه (مقدونيا) ثم جاء أثينا حيث التحق بأكاديمية أفلاطون وصار أحد تلاميذه المميزين. يعد ضمن الثلاثي (سقراط - أفلاطون - أرسطو) أبرز فلاسفة اليونان، ولقبه العرب بـ«المعلم الأول». أشرف على تربية الإسكندر الأكبر المقدوني، وأنشأ مدرسة لتعليم الفلسفة وبقية المعارف باسم «اللوكيون». اهتم بأغلب فروع العلم في عصره وخلف آثارًا كثيرة في الفلسفة والطبيعة والسياسة والشعر والقانون وعلم الحيوان والمنطق الذي يعتبر واضعه الحقيقي. ونُسِبت إليه أعمال أخرى أثبت البحث أنها ليست من وضعه بل هي منحولة عليه. ورغم ما أشيع من أنه خالف أستاذه أفلاطون في مذهبه (المثالي) وقال بمذهب (واقعي) فإن تأثير الفكر الأفلاطوني ظل عالقًا بنتاج أرسطو، وإن كان طوَّر بعض نظريات أفلاطون وأضاف إليها بعض الإضافات.

نلاحظ أن الرموز الأربعة الأخيرة من السطر الثاني والرمزين الأولين من السطر الثالث لم توضع تحتها حروف. كما نلاحظ خلوَّ قلم الفصل السابع من الباب الثاني وكذلك جميع فصول الباب الثالث من حروف الروادف، كلها أو بعضها - فهل السبب لأنها أقلام منسوبة إلى أسماء يونانية واليونانية ليس فيها هذه الروادف؟

الباب الرابع

من (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)

في ذكر الأقلام التي ظهرت بعد هذه السبعة[٧٧]، واسم واضعيها من الحكماء الذين تقدموا واشتهروا بالعلوم والمعارف، كل يأتي على ترتيبه.. فافهم.

(٧٧) أي الحكماء أو الأقلام المذكورة في ما سبق. وسنلاحظ في ما يلي خلطًا ما بين الأسماء المعروفة؛ أسطوريًا على الأقل، وأسماء مجهولة أو موضوعة، وأن ثمة أسماء تتقدم في وجودها على «الحكماء السبعة» المعروفين. كذلك نلاحظ أن ترتيب الرموز الأربعة والعشرين قلمًا التالية يتراوح ما بين الترتيب الألفبائي والترتيب الأبجدي، كما يختلف عدد رموز بعضها عن بعض.

الفصل الأول

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (بليناس)[78]

ا ب ت ث ج ح خ

د ذ ر ز س ش ص ض ط

ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه

و لا ي

---

(٧٨) بلِنْيَاسْ الطواني – عند عبد الرحمن بدوي، وبَلِينَاسْ (Balinas) أو أبُولُنْيُوس – عند كراوس (Apollonius de Tyane).

يذكر ابن النديم «بليناس الحكيم» ويجعله «من أهل طوانة في بلاد الروم». وهي ذاتها Tuaneus, Tyana, Tyane في كبادوكيا. ويقول .Ox. Clas Dict إنه ولد في بواكير العصر المسيحي، وعاش حياة زهد وسياحة وزار بلاداً بعيدة بما فيها الهند، ونسبت إليه قوًى خارقة. كانت حياته مهددة من قِبَل الإمبراطور الروماني نيرون ثم دومتيان، ويقال إنه تنبأ بمقتل الأخير عن طريق الكشف. وإذا كانت المعلومات عنه قليلة فإنه لا يشك في وجوده ودعوته إلى الفيثاغورية الجديدة، وقد قارنه بعض الكُتَّاب من خصوم النصرانية بالمسيح مما أثار ردوداً قوية. وهناك جملة شذرات من رسائله، مشكوك فيها، تنسب إليه حفظها الزمن.

وجاء في (الفهرست): «ويُقال إن بليناس أول من أحدث الكلام على الطلسمات، وكتابه في ما عمله بمدينته وبممالك الملوك من الطلسمات معروف مشهور». =

= ويورد بدوي (ص ١٧٤) أنه ينسب إلى «بليناس» كتاب بعنوان (سر الخليقة وسُنّة الطبيعة). وفي النص الذي نشره د. بدوي «وصنعة الطبيعة» وليس «وسُنّة». (انظر: الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص١٧٤، وقارن نفس المصدر ص ١٨٥) وفي هذه الصفحة يكتب الاسم «بلينوس» (وليس «بليناس») ويلقب بالحكيم صاحب الطلسمات والعجائب. لعله أُلّف في عهد المأمون ونسب إلى بليناس، وقد درسه «بول كراوس» في الجزء الثاني من كتابه (جابر بن حيان)، ونشر د. بدوي استهلاله وخاتمته المتصلين بصورة هرمس. والملاحظ في ما يتصل بالنص الذي نشره د. بدوي أن بليناس ذاته تحول إلى هرمس (!) إذ يتكلم باسمه: «أقول على كتابي هذا، وأصِف الحكمة التي أُيِّدت بها لتسمعوا حكمتي»... إلخ. (انظر: بدوي؛ ص١٧٤-١٨٧). وهو يحكي عن نسبه وما جرى له: «إني كنت يتيماً من أهل طوانة، لا شيء لي. وكان في بلدي تمثال من حجر قد أقيم على عمود من خشب، مكتوب على صدر التمثال: أنا هرمس المثلث بالحكمة؛ عملت هذه الآية جهاراً وحجبتها بحكمتي، لئلا يصل إليها إلا حكيم مثلي». ثم يحكي كيف أدخله (طباعه التام) السرب المظلم «فأخذت اللوح والكتاب مطمئناً.. ثم خرجت من السرب، فنقلت من الكتاب سرائر الخليقة وعلم علل الأشياء، وأدركت من اللوح صنعة الطبيعة فارتفع اسمي بالحكمة، وعلمت الطلسمات والعجائب.... ولذلك سُميت: هرمس المثلث بالحكمة» (ص ١٨٨ - ١٩٠).

ونشر بول كراوس الأجزاء الأول والثاني والرابع (من «كتاب الأحجار» على رأي بليناس) لجابر بن حيان، وهو كتاب في علم الموازين، يزعم جابر أنه نقله عن بليناس، تختلط فيه علاقات الموازين بالحروف والأحجار وخواص المعادن، والكواكب، والإيقاعات، والأدوية والنباتات، والمصطلحات الفلسفية، كما يتداخل كلام جابر وما ينسب إلى بليناس. (كراوس؛ مختار رسائل جابر بن حيان، ص ١٢٦ - ٢٠٥).

الفصل الثاني

من الباب الرابع

في صفة (القلم البرياوي) لسوريد الحكيم[٧٩]، وهو عجيب

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط ظ

ع غ ف ق ك ل م

ن ه و لا ي

---

(٧٩) لعله ذاته «سوريدوس» الذي يعده ابن النديم ضمن أوائل الأطباء، يلي أسقلبيوس الأول (الفهرست ص ٣٩٩). والأسماء التي يوردها، نقلا عن يوحنا النحوي، يونانية بأجمعها. غير أن تسمية قلم «سوريد الحكيم» عند ابن وحشية بـ «القلم البرباوي» تعني أنه يتحدث عن الهيروغليفية، وقد يكون ما نقله (أو وضعه) محاكاة للخط الهيراطيقي Heratic (الكهنوتي) أو الخط الديموطيقي Demotic (الشعبي) المتطورين عن الكتابة الهيروغليفية مع إضافات حروف يونانية، وإن كنا لا نرى قريب شبه بين هذين الخطين و«قلم سوريد» هذا. =

= أما عن التسمية فقد تكون ذات صلة بما في اليونانية Seriadikege (= في الإنكليزية Seriadic land = البلاد السريادية، أو: بلاد السرياد) أي «مصر» كما جاء عند مانيثو (ص ٢٠٨) نسبة إلى Seirios (نهر النيل - عربيتها: سَريّ). وقد جاء على لسان سنكلّوس: «ويبقى الآن أن نقدم خلاصات موجزة في ما يتصل بأسر مصر الحاكمة [منقولة] عن أعمال مانيثو السمنودي. ففي عصر بطليموس فيلادلفوس، نصّب [مانيثو] كاهنًا أكبر لهياكل مصر الوثنية، وكتب من نقوش في البلاد السريادية، كتبها - كما يقول - باللغة والحروف المقدسة (تحت)، أول الهرامسة، وتُرجمت بعد الطوفان. وحين رُتّب العمل في كتب على يد أغاثاذيمون Agathodaemon، ابن هرمس الثاني ووالد «تات» Tat، في معابد مصر، أهداها مانيثو إلى الملك المذكور آنفًا بطليموس الثاني في مؤلفه (كتاب الشعرى) Bibliô tes Sôtheos». (ص ٢٠٩).

ونجد في (أخبار الزمان) لأبي الحسن المسعودي المتوفّى سنة ٣٤٥هـ. حديثًا مطولا عن الفرعون «سوريد» الذي كان ملكًا كاهنًا على وادي النيل، وتُنسب إليه أعمال سحرية وكيميائية وطلسمية خارقة، كما ينسب إليه بناء الأهرام. «وذكرت القبط أن عليها (أي الأهرام) كتابًا منقوشًا تفسيره بالعربية: أنا سوريد الملك بنيت هذه الأهرام في وقت كذا من الزمان، وأتممت بناءها في ست سنين. فمن أتى بعدي وزعم أنه ملك مثلي فليهدمها في ستين سنة، وقد علم أن الهدم أيسر من البنيان، وإني قد كسوتها ديباجًا فليكسها من أتى بعدي حصيرًا». (انظر: أخبار الزمان، ص ١٥٧ - ١٧٠).

لاحظ الترتيب الألفبائي مع إضافة «لا» (لام ألف، المكون في الواقع من «ل» + «ا») وعدم وجود حرف للرمز قبل الأخير - ما بين «لا» و«ي».

الفصل الثالث

من الباب الرابع

في صفة القلم الذي وضعه الحكيم (فرنجيوش) الفيلسوف[٨٠] وقد لغّز به كتب الحكمة

ا ب ت ث ج ح خ د ذ س

ش ص ض ط ظ ع غ ف ق

ق ك ل م ن ه و لا ي

---

(٨٠) لم أعثر في ما بين يدي من مراجع على ما يلقي الضوء على «فرنجيوش» هذا الذي وُصِف بالحكيم الفيلسوف. وأقرب اسم إليه هو Phrynichus ويورد (معجم أكسفورد الكلاسيكي) ثلاثة يحملونه؛ أحدهم شاعر مأساوي أثيني في ما بين القرنين ٦ – ٥ ق.م. والثاني شاعر ملهاة أثيني أيضًا (القرن ٥ ق.م). والثالث يدعى Phrynichus Arabius يوناني عاش في عصر الإمبراطور الروماني المتفلسف «ماركوس أوريليوس» (القرن ٢ بعد الميلاد). كان يشتغل بالخطابة ومعجميًا شديد الاهتمام بأصول اللغات ولغة «أتيكا» Attica بصورة خاصة.

الفصل الرابع

من الباب الرابع

في القلم المعلق الذي وضعه الحكيم (بطليموس) اليوناني[٨١]

كما ترى:

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	س

ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف	ق

ق	ك	ل	م	ن	ه	و	لا	ي

(٨١) المقصود هو بطليموس الذي يذكره ابن النديم (الفهرست، ص ٣٧٤ - ٣٧٥) ويقول إنه عاش في أيام أدريانوس وأنطونينوس (Hadrianus - إمبراطور روماني ١١٧ - ١٣٨م. و Antoninus إمبراطور روماني كذلك ١٣٧ - ١٦١م.) وفي زمانهما رصد الكواكب وعمل لأحدهما كتاب «المجسطي» (Almagest في اللغات الأوروبية نقلا عن العربية. أما في اليونانية فهو é megisté أما عنوانه الأصلي فهو Mathematiké Suntascis وهو أول من عمل «الإسطرلاب» الكُرِي والآلات النجومية والمقاييس والأرصاد، ويُقال إن أستاذه كان «أبرخس» (Hipparchus - القرن الثاني ق.م. *فلكي، وضع بعضاً من أسس علم النجوم وآلاته، وجغرافي، له مؤلفات لم يبق منها* إلا شذرات عند بطليموس). وقد نال كتاب «المجسطي» عناية فائقة، وترجم مرات، ويذكر ابن النديم جملة من المؤلفات المنسوبة إلى بطليموس هذا ترجمت إلى العربية لعل أشهرها (كتاب جغرافيا في المعمور وصفة الأرض) «نُقل للكندي نقلا رديئا، ثم نقله ثابت [بن قرة]، إلى العربي نقلا جيداً، ويوجد سرياني» - أي في نسخة باللغة السريانية (ص ٣٧٥).
تحدث عنه The Ox. Clss Dict. بتفصيل، ووصفه بأنه: فلكي، رياضي، جغرافي. اسمه كاملا Claudius Ptolimaeus - ازدهر ما بين الأعوام ١٢٧ - ١٤٨م. - أي في عهدي أدريانوس وأنطونينوس كما ذكر ابن النديم. وله مؤلفات كثيرة في علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا، أغلبها مفقود الأصل ولا توجد إلا ترجماته العربية أو في نص لاتيني مترجم عن العربية أيضاً. وأهم مؤلفاته (الجغرافيا) به خرائط ومعلومات عن القارات والبحار والبلدان، بعضها دقيق وكثير منها مشوش أو مغلوط لأنه اعتمد على نَقَلة غير موثوق بهم. ومن أكثر آرائه إثارةً قوله إن وراء «بحر الظلمات» (المحيط الأطلسي) توجد أراضٍ شاسعة.. هي القارة الأمريكية التي «اكتشفت» منذ نحو خمسة قرون فقط.

الفصل الخامس

من الباب الرابع

في صفة القلم المربوط للحكيم (مرقونس)[٨٢] وقد رمّز به كتب الطلسمات

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

س ش ص ض ط ظ ع غ ف

ق ك ل م ن ه و لا ي

---

(٨٢) في (الفهرست) هو من جملة «الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة» في باب أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين، إلى جانب: هرمس، وأغاذيمون، أفلاطون، وديمقراط، وكيماس – الذين يورد أقلامهم ابن وحشية.

الفصل السادس

من الباب الرابع

في صفة القلم الجرجاني[٨٣]

للحكيم (مريانوس)[٨٤]

ا ب ت ث ج ح خ

د ذ ر ز س ش ص

ض ط ظ ع غ ف ق

ك ل م ن ه و ي

(٨٣) نسبة إلى «جرجان» في ما وراء النهر.

(٨٤) جاء على لسان جابر بن حيان في (كتاب الراهب): «واعلم أن هذا الراهب قد بلغني أمره زمانًا بعد صحبتي لأستاذي حربي - قدَّس الله روحه - فكنت مشتاقًا إلى رؤيته، وذلك أنه بلغني أنه أخذ العلم عن مريانس الذي كان خالد بن اليزيد أنفذ في طلبه ووضع عليه العيون والأرصاد حتى أخذه من طريق بيت المقدس، وكان يهدي إليه في كل سنة ذهبًا كثيراً، وأنه لما مات خلف هذا الراهب» (مختار رسائل جابر بن حيان، ص ٥٢٩).

الفصل السابع

من الباب الرابع

في صفة القلم النبطي القديم(٨٥)

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز

س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن ه و

لا ي

---

(٨٥) رأينا في الفصل الثاني من الباب الثاني «القلم النبطي القديم» كذلك. وهما مختلفان في الترتيب، ذاك يتبع الترتيب الأبجدي وهذا يتبع الترتيب الألفبائي، مع ملاحظة أن الحروف العربية الثمانية والعشرين تامة في الاثنين، كما أنهما مختلفان في شكل الرموز اختلافًا كاملا. ولعل ثمة تصحيفًا في النسخ لأحد القلمين، فيكون «القبطي» - بالقاف بدلا من النون - مثلا، رغم أنه لا صلة برموز القلمين هنا والحروف القبطية. لكننا قد نلمح شيئًا من التماثل بين القلم النبطي القديم الأول (الفصل الثاني من الباب الثاني) والقلم النبطي حسب ما يورده بعلبكي (ص ١٦٧ - ١٦٨. انظر الشكل).

الفصل الثامن

من الباب الرابع

في صفة القلم الأحمر

الذي وضعه الحكيم (مغنيس) الفيلسوف[٨٦]

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن ه و لا ي

(٨٦) لم أعثر على فيلسوف باسم «مغنيس». ولعله مأخوذ عن اسم Magnes الذي يذكره «أرسطو» في كتابه عن (فن الشعر) باعتباره واحداً من أقدم الشعراء الأثينيين، عاش في النصف الأول من القرن الخامس ق.م.

الفصل التاسع

من الباب الرابع

في صفة القلم الطلسمي

للحكيم (غاميغاشير)[٨٧] الفيلسوف اليوناني

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز

س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن ه و

لا ي

(٨٧) لم أجد في ما توفر لدي من مراجع ما يعرف بهذا «الفيلسوف اليوناني» كما وُصِف.

الفصل العاشر

من الباب الرابع

في صفة القلم الرمزي الذي وضعه الحكيم (هلياوش) اليوناني[٨٨] واصطلح عليه في كتبه:

ا ب ج د ه و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

(٨٨) يبدو الاسم شبيهًا بما في اليونانية «هليوس» Helios. وفي النقولات اليونانية عن (تاريخ مانيثو) يذكر أن معنى الاسم: الشمس. وفي هذا التاريخ الأسطوري نجد «هليوس» (الذي يقابل «رع» في المصرية القديمة، باعتباره ابن «هيفاستوس» Hephaestus (=بتاح، أي «الفتّاح» = الخالق - عند المصريين) الذي كان أول إله / ملك حكم وادي النيل، في عهد حكم الأرباب لمصر. ويقول «يوسبيوس» Eusebius في نقله عن «مانيثو» إن «هليوس» اسم إنسان تسمّى باسم إله (صفحات: ٣ و ١٥ و١٧ و٢٣ و١٩٩ و٢٢٧).

عند اليونان كان «هليوس» إلهًا للشمس، أو هو الإله / الشمس، الذي تستمد منه بقية الكواكب والكائنات وجودها. وكان مركز عبادته الأهم في جزيرة «رودس». ورغم أن المعبودات اليونانية كانت ممثلة في (أرباب الأولمب) باعتبارها آلهة تشبه الإنسان في شكلها وسلوكها وتتميز بقوتها كما تمتاز بخلودها، فإن الإله / الشمس نال حظًا من العناية في التراث الشعبي على الأقل. بل إن اسم بلاد اليونان القديم Hellas (والذي استعيد أخيرًا اسمًا رسميًا لهذه البلاد) واسم Hellen أبي الهلّينيين Hellenes، على صلة وثيقة بـ Hellas هذا. وفي العربية: «هالة» = الشمس.

الفصل الحادي عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (قسطوجيس) اليوناني[٨٩]

وقد كتب بهذا القلم ثلاثمائة وستين كتابًا في علم الصنعة الإلهية، وفي علم الطلسم، والنيرنج والسحر، ودعوات الكواكب، والنجوم، وتسخير الروحانية:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

---

(٨٩) لم أعثر له على ترجمة.

الفصل الثاني عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (هرمس) أبي (طاط)[٩٠]

الذي كتب الصنعة الشريفة، وصنع بإقليم الصعيد كنوزًا وبرابي ونواويس كاهنية له ولولده، ورصدها ورمَّزها بهذا القلم، الذي استخرجه من السرب المظلم[٩١]:

ا ب ج د ه و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

---

(٩٠) في «تاريخ مانيثو» (المنحول) نقلا عن «سنكلّوس» أن والد «طاط» Tat هو «أغاثوداعون» Agathodaemon ابن «هرمس الثاني» (Deuterou Ermou) – ويعرفه «وادّل» بأنه ذاته «هرمس المثلث العظمة» Hermes Trismegistus (ص ٢٠٩) بينما نجد في نفس المصدر أن «تُحُت» هو «هرمس الأول». وينقل «سنكلّوس» نص رسالة تنسب إلى مانيثو موجهة إلى «بطليموس فيلادلفوس» (بطليموس الثاني) يقول فيها: «... طاعة لأمرك سأضع أمامك (الكتب المقدسة) التي درستها، والتي كتبها جدك الأعلى هرمس تريسمِجتوس». وهكذا هي روايته عن ترجمة الكتب التي ألفها «هرمس الثاني». (ص ٢١١).

وفي (الفهرست): «وحكى إسحاق الراهب في (تاريخه) أن بطولوماوس فيلادلفوس، من ملوك الإسكندرية، لما ملك فحص عن كتب العلم وولّى أمرها رجلا يعرف بـ (زميره) فجمع من ذلك، على ما حكى، أربعة وخمسين ألف كتاب ومائة وعشرين كتابًا، وقال له: أيها الملك! قد بقي في الدنيا شيء كثير في السند والهند وفارس وجرجان والأرمان وبابل والموصل والروم». (ص ٣٣٤).

(٩١) يذهب د. عبدالرحمن بدوي إلى أن فكرة السَّرَب، أو السرداب وهو المكان الذي فيه الإمام المستور عند الشيعة، إلى جانب اللوح (المحفوظ) والكتاب، من إضافات الروح العربية إلى صورة هرمس (=إدريس). (الإنسانية والوجودية؛ ص ١٧٢).

الفصل الثالث عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (قلفطريوس)

صاحب السيمياء والقلفطريات[٩٢] والطلسم والنيرنجات[٩٣] والسحر والدك[٩٤] والسعيدة[٩٥]، وقد تداولت الحكماء والفلاسفة هذا القلم في كتبها وعلومها دون غيره من الأقلام لكثرة خواصه:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

---

(٩٢) من الواضح أن اسم الحكيم «قلفطريوس» موضوع لكي تنسب إليه «القلفطريّات»، التي تأتي في مصادر أخرى: «فلقطريات». ويتحدث (رينهارت دوزي) عن «القلم القلفطيري» ويعرِّفه بأنه: نوع من الكتابة الطلسمية، تحريف لكلمة «فلقطيرات» (بإسباق الفاء) عن اليونانية Phylakteria التي جاءت منها الفرنسية Phylactère. ويذكر معجم (روبير) الاشتقاقي للغة الفرنسية أن هذه الأخيرة مأخوذة عن اللاتينية واليونانية، وأنها في العبرانية Tephêlin وتعني: علبة فيها حرز، أو طلسم، في رق يحوي آيات من التوراة يعلقها اليهود المتدينون على أذرعهم أو على جباههم في صلاة الصبح. =

= أما في الإنكليزية فنجدها Phylactery وتعرَّف بأنها: علبة صغيرة من الجلد تحوي نصوصًا عبرية مكتوبة على رق من الجلد، يعلقها بعض اليهود لكي تذكرهم بمراعاة الشريعة. تميمة. حرز. من اليونانية Phulakterion = حرز. من philasso = حرّز، حصَّن، رعا (Ox. Concise Dict.).

وصحيح أن الجذر (فل) في اليونانية يؤدي في بعض اشتقاقاته إلى معنى الحفظ والصون والرعاية، وهي من خصائص التميمة والحرز، كما كان المعتقد. وهنا ننتبه إلى ما اشتق من الجذر ذاته في اليونانية: phullon (ورقة كتاب) Phulladion (كتيِّب) ونحوهما. ولا ننسى أن ورق الكتاب كان في القديم يتخذ من جلد، هو الرق الذي يكتب فيه اليهود التمائم تعلق للحفظ والحرز، وهذا هو سر العلاقة بين «الجلد» و«الحرز» (في العبرانية Tephêlin).

هذا الجذر «فل» نجده في العربية في مادة (فلل): «أديم مفلفل: نهكه الدباغ» (لسان العرب). ولا بد للأديم (الجلد) الذي يكتب عليه أن يدبغ، بل أن ينهك بالدباغ حتى يطرى وتسهل الكتابة عليه.

والتميمة، أو الحرز، عبارة عن وعاء يحوي الطلاسم والكتابات، ولعل هذا هو الذي أدى إلى اشتقاق كلمة Phiala في اللاتينية التي يترجمها معجمها الاشتقاقي بالفرنسية coupe (قدح) مستعارة من اليونانية phialè وسرت في الإيطالية والفرنسية fiala و fiola ونجدها في السلتية fiol.

نحن نجدها في البربرية في صورة مؤنثة «تافِلالتْ» و«تافِلاتْ» (=ت. فل. ت) بمعنى «جرَّة». وتأتي مذكَّرة (أفِلال) - واللام الثانية مزيدة - وتجمع جمع تأنيث (تفلالن) وجمع تذكير (إفِلالن). وينبغي ألا ننسى أن القدح والجرة ونحوهما أوعية للسوائل مثلها في ذلك مثل القربة التي تتخذ من جلد يحفظ فيها الماء واللبن، وكذلك النِّحي الذي يحفظ فيه السمن والزيت وما إليهما بسبيل، وكلها من جلد الحيوان.

وفي الدارجة الليبية: الفيلالي = جلد جيد تصنع منه النعال وأكياس النقود وأوعية حفظ الجوهرات وذهب الزينة، وقد تكون النسبة إلى مدينة «تافيلالت» المغربية لشهرتها به.

من جهة أخرى فإن اليونانية phulakterion تقابل في اللاتينية بـ amùletum (الفرنسية amulette والإنكليزية amulet) بمعنى «طلسم» في اللاتينية التي يقول معجمها الاشتقاقي إن أصلها غير معروف (ص٣٠). وكذلك تفعل معاجم الإنكليزية التي عنت فيها هذه الكلمة: تميمة تلبس اتقاء الشرور والأمراض والسحر، أو استجلابًا لنفع، تكون على هيئة خرزة =

= أو نحوها منقوشة بكتابات أو رموز طلسمية كان يعتقد فيها النفع ودفع الضر. وهي معروفة في الحضارات القديمة والحديثة على حد سواء.

ونرى أن اللاتينية amulet(um) ليست إلا العربية «حمالة» أو «حميلة» وهي «العلاقة»، أي السير (من جلد) يقلّده المتقلّد، كعلاقة السيف (لسان العرب: حمل). وهذا هو حال التميمة التي تعلّق (= تحمل) في العنق أو على الساعد أو في الشعر بسير يربطها، فتكون «الحمالة» = amulet(um). وجاء في مادة (تمم): التميمة؛ خرزة رقطاء تُنظم في السَّيْر ثم يعقد في العنق، وهي التمائم والتميم، قلائد يُجعل فيها سيورٌ وعُوَذٌ تعلّق على الإنسان. ومنه قول سَلَمةَ بن الخرشب:

تَعَوَّذُ بالرُّقَى من كل خَبْـل وتُعقـد في قلائدها التميمُ

وقول رفاع بن قيس الأسدي:

بلاد بهـا نيطت عليَّ تمائمي وأول أرض مسَّ جلدي ترابُها

وقول الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفـارها ألفيت كل تميمة لا تنفـع

(٩٣) جمع «نيرنج»، وهي أُخَذٌ تشبه السحر وليست بحقيقته، من الفارسية «نيرنك» ومعناها: الحيلة والمكر والسحر والطلسم، والكلمة مركبة من: نو (جديد)+رنك (لون)= اللون الجديد، أو: الهيئة الجديدة. وهي في السنسكريتية nava ranga (أدي شير؛ الألفاظ الفارسية المعربة، ص ١٥٥).

وفي معجم الفارسية: نَيْرَنْكْ = افتتان، جاذبية، سحر، خداع، معجزة.

(٩٤) يقول ابن النديم إن «ده أك» بالفارسية تعني: عشر آفات، فجعلته العرب «الضحَّاك» (الفهرست، ص ٣٣٢). ولعل «الدكّ» هنا تفيد الأمراض، بمعنى علاجها عن طريق التمائم ونحوها، لكنه يجعل «الدك» من جملة كتب الشعبذة والطلسمات والنيرنجات إذ يذكر «كتاب الخفة والدَك والقف» لقطب الرحا (ص٤٣٤).

(٩٥) لا ندري ما إذا كانت ذات صلة بالجذر (سعد) الذي يفيد: الصاحب، الموافق - حسب ملحق «دوزي» (ص ٦٥٣) - أي: القرين. وهو هنا مختص بالروح. أم أن المقصود ما ورد في مادة «سعد» في (لسان العرب) من الحديث عن «السُّعود» وهي الكواكب التي يُقال لكل منها «سعد»، صارت عند ابن وحشية «السعيدة»، وهذا هو الأقرب للاحتمال. وهي عشرة أنجم، أربعة منها ينزل بها القمر، وكل سعد منها كوكبان.. إلخ (في نفس المادة تفصيل يرجع إليه). ومعنى هذا أن هذا القلم عُمّي به علم الفلك أيضاً إلى جانب العلوم المذكورة الأخرى.

الفصل الرابع عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (سيوريانوس)[٩٦]

الذي ألف كتب الفلك وأسرار النجوم، والطلسمات وخواصها، والرصد، وعمل خواتيم الكواكب وتسخير روحانياتها وجلبها:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت ث خ

ذ ض ظ غ

---

(٩٦) عند ابن النديم «سوريانوس» - من مفسري كتب الفيلسوف (أرسطو) في المنطق وغيره (ص٣٥٧). ولعل المقصود: «سورنوس» - الحكيم، لا يعرف موضعه. وله من الكتب: كتاب الحقن، نقل إسطاث وإصلاح حنين (الفهرست، ص ٤٠٨). ولدينا «سورانوس» Soranos - من إفسوس. وهو طبيب يوناني عاش في عصر الإمبراطورين الرومانيين «تراجان» و«هدريان» (٩٨ - ١٣٨م). وكان من أمهر الأطباء في ذلك العصر. له نحو العشرين كتاباً عن تاريخ الطب والعقاقير، وبصورة خاصة عن التوليد والعناية بالوليد. كانت له نظرة شاملة إلى أسباب العلل مع عدم إهماله العوامل الفردية، وبيَّن صور الأمراض وتطور العلة. وكانت كتبه المترجمة إلى اللاتينية تُقرأ في الغرب بشكل واسع.

الفصل الخامس عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (فيلاوس)[٩٧]

الذي وضع الدخنات العجيبة، والتراكيب الغريبة، والطلسم، والنيرنج، والسحر، وصنع كنزاً بالأهرام، ورصده بالأرصاد العجيبة:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

(٩٧) عند ابن النديم «فاليس» الرومي، أورد من مؤلفاته: كتاب (المدخل إلى علم صناعة النجوم)، كتاب (المواليد)، كتاب (المسائل)، كتاب (المسائل) الكبير، كتاب (الزبرج)، كتاب (السلطان)، كتاب (الأمطار)، كتاب (تحويل سني العالم)، كتاب (الملوك). (الفهرست، ص ٣٧٦).

الفصل السادس عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (ديسقوريدوس)[٩٨]

وهو المشجر[٩٩] الذي كتب به كتاب الأعشاب والنبات، وخواصها ومنافعها ومضارها وأسرارها، وقد تداوله الحكماء من بعده في الكتب:

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك

ل م ن س ع ف ص ق ر ش

ت ث خ ذ ض ظ غ

(٩٨) Dioscorides. كان طبيبًا في الجيش الروماني، عاش في عصر الإمبراطورين كلاوديوس ونيرون (٤١ - ٦٨م). عرف بمهارته في علم الصيدلة ودرس موضوع اهتمامه منذ شبابه المبكر وترحل كثيراً قبل تأليف كتابه المشهور (Materia Medica) الذي يتحدث عن العلاج بنحو ٦٠٠ نبات و ١٠٠٠ عقار تتخذ من الحيوان والمعادن. وقد غطى مؤلفه على ما سبقه في المشرق والمغرب على حد سواء.

يورد عنه ابن النديم: «ديسقوريدس العين زربي (= Anazarbus) ويُقال له (السايح في البلاد). ويحيى النحوي يمدحه في كتابه في التاريخ ويقول: تفديه الأنفس، صاحب النفس الزكية، النافع للناس المنفعة الجليلة، المتعوب المنصوب، السايح في البلاد، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار، والمصور لها المعدد لمنافعها قبل المسألة عن أفاعيلها. وله من الكتب: كتاب الحشائش، خمس مقالات، وأضاف إليها مقالتين في الدواب والسموم. وقد قيل إن المقالتين منحولتان إليه». ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٩٩) عند «دوزي» أن المعني بصفة «المشجر»: الكتابة الصينية - لأنها متشابكة مثل أغصان الشجرة. وسيرد في الفصل ٢٤ من الباب الرابع صورة (القلم المشجر والطبيعي لأفلاطون الحكيم). ونلاحظ أن مبدأ القلمين واحد وإن اختلفا في عدد الخطوط ووضعها. ويذكر ابن الدريهم (القمر المشجر) في رسالته (مفتاح الكنوز) «وهو مبنيٌ على كلمات (أبجد) يخط خطًا. فإن كانت الكلمة الأولى عمل له شعبة على اليمين، أو الثانية شعبتين، هكذا إلى الثامنة. فإن كان أول حرف من الكلمة شعبة من اليسار، وإن كان ثانيها خطّ شعبتين. هكذا إلى الرابع، إذ ليس في كلمات (أبجد) أكثر من أربعة أحرف. (علم التعمية... ص ٣٣٥).

الفصل السابع عشر

من الباب الرابع

في صفة القلم (الداودي)[100]

وهذا القلم كثير الاستعمال ببلاد الهند، يستعمله الحكماء في كتب الطب والحكمة وكتب السياسة وهو مشهور:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف

ق ك ل م ن ه و لا ي

---

(١٠٠) تبدو نسبة هذا القلم إلى الديانة «الداوية» أو «الداودية» قريبة إلى الاحتمال. وهي ديانة انبثقت عن مذهب سلوك في الحياة نادى به فيلسوف صيني أواخر القرن السابع ق.م يدعى «لاوتسيو» Lao-Tseu ومعناه: المعلم القديم. كان معاصراً لكونفشيوس ويُقال إن هذا تتلمذ على يديه وخالفه في المذهب. كان «لاوتسيو» أميناً لمكتبة جو الملكية، واعتزل الوظيفة ودعا إلى العودة إلى الطبيعة وبساطة العيش ونبذ العمل والتفكير المعقّد، كما نادى بالقناعة واعتبار الحياة وجوداً مؤقتاً لا معنى له نهايته الموت والعدم. ترك ثلاثة كتب أهمها كتاب داودي شنك Tao-te-cing أي «الطريق إلى الفضيلة» ومن هنا جاءت التسمية «الداودية» التي تكتب في بعض المراجع العربية «الطاوية» و«الداوية». (انظر للتفصيل: د. محمد العريبي؛ الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى. ص ٢٤٦ - ٢٦٣، وكذلك: حسن نعمة؛ ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص ١١٣).

الفصل الثامن عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (ديمقراطيس)(١٠١)

وهذا القلم كان مقبولا عند حكماء اليونان، يلغّزون ويرمُزون به كتبهم، ويزعمون أن هذا القلم أهدته له روحانية كوكب عطارد وهو في السرب المظلم:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و ي

---

(١٠١) Democritus – من «أبديرا» Abdera في بلاد اليونان. أواسط القرن الخامس إلى أواسط القرن الرابع قبل الميلاد. يُقال إنه تعلم العلوم الإلهية والتنجيم من سَحَرة فارس، كما يُقال إنه رحل إلى مصر ليتعلم الهندسة، كما زار بلاد فارس والهند. وكان يعرف بلقب «الفيلسوف الضاحك» بسبب نظرته المتفائلة إلى الحياة ومذهبه في المرح وأنه ينبغي ألا تشغلنا الرهبة من الموت عن متعة الحياة. وهو كانت له آراء في: الأخلاق، والطبيعيات، والرياضيات، والموسيقا، سجلها في كتب لم يبق منها سوى شذرات. ورغم أن أفلاطون لا يذكر ديموقريطس بالاسم، فقد أورد آراءه، في حين نرى أرسطو يذكره كثيراً بتوقير كبير. على أن أهم ما أثر عن ديموقريطس نظريته الذَّرِّيَّة التي يشارك فيها الفيلسوف ليوكبوس Leucippus.

الفصل التاسع عشر

من الباب الرابع

في صفة قلم حكماء الأقباط

وأكثر ما يرمّزون به كتب الدفاين والمطالب والكنوز والخبايا وكتب الصنعة الشريفة الإلهية، وهذا القلم مخترعه (قفطريم)[102] من أولاد نوح عليه السلام، وقد يستعمل في الحساب:

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل

م ن س ع ف ص ق ر ش ت

ث خ ذ ض ظ غ

---

(١٠٢) انظر: الفصل العاشر من الباب السابع - في ما يلي.

الفصل العشرون

من الباب الرابع

في صفة القلم الفرغاني (١٠٣)

وهذا القلم اخترعه سبعة من حكماء الروم، وكتبوا به كتبًا كثيرة في علم السيمياء والكيمياء والطب، وكان رئيسهم (ديوجانس الأكبر) ملك الروم(١٠٤)، واشتهر في زمانه، ونُسِي.

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع

ف ص ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

---

(١٠٣) يرد اسم محمد بن كثير الفرغاني في «الفهرست» من جملة المنجمين، كما يرد أبو القاسم عبدالله بن أماجور، من أولاد الفراغنة. (ص ٣٨٩ - ٣٩٠). لكن من المستبعد أن تكون ثمة صلة بين (فرغانة) ما وراء النهر، في الشرق، و(القلم الفرغاني) الذي «اخترعه سبعة من حكماء الروم... وكان رئيسهم، ديوجانس الأكبر، ملك الروم» حسب قول ابن وحشية. ولعل ثمة خلطًا ما بين «فرغانة» و«فروغيا» Phrygia (تنطق حديثًا: فروجيا) وهي التي كانت مملكة ثم صارت ضمن المقاطعات اليونانية في آسيا الصغرى على بحر مرمرة، فهي من بلاد الروم.

(١٠٤) أما رئيس الحكماء السبعة، ملك الروم، ديوجانس الأكبر، فقد يكون المعني «ديوجنيس الأبولوني» Diogenes of Appolonia - وهو من «فروغيا» - الفيلسوف، معاصر أنكساغوراس (أواسط القرن الخامس ق.م) الذي كان من أتباع المدرسة الأيونية مع إضافات من أنكساغوراس وليوكيبُّوس. ومن مؤلفاته: عن الطبيعة، ضد السوفسطائيين، الظواهر الجوية، طبيعة الإنسان. وقد أحيا ديوجنيس تعاليم الفيلسوف أنكسمنيس القائلة بأن أصل الوجود (العنصر الأول) هو الهواء مسبغًا عليه صفات العقل أو الإدراك والألوهية والقوة التامة. والهواء أيضًا هو عنصر الروح والإدراك في المخلوقات الحية، ويختلف في درجات الحرارة باختلاف أنواع المخلوقات وأفرادها. وكانت له نظريات في التولد والتنفس والدم مهمة في تاريخ الطب. أما في علم الهيئة فكانت آراؤه تقليدية تقول إن الأرض مسطحة دائرية الشكل، أما الأجرام السماوية فهي مكونة من حجارة مشحونة بالنار.

الفصل الحادي والعشرون

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (زوسيم) العبري(١٠٥)

وهو القلم الذي اصطلح عليه حكماء العبرانيين من القدماء، ورمَزوا به كتب الحكمة الشريفة، وكانت موجودة في القدس:

ا ب ت ث ج ح خ

د ذ ر ز س ش ص ض ط

ظ ع غ ف ق ك ل

م ن ه و ي

---

(١٠٥) لدينا ثلاثة أشخاص يدعى كل منهم «زوسيم» Zosimus ، أحدهم مؤرخ يوناني من القرن الخامس الميلادي، والآخران يحسبان من السوفسطائيين، يدعى أولهما: زوسيم العسقلاني (Zosimus of Ascalon) وثانيهما: زوسيم الغزّاوي (Zosimus of Gaza).

ولا ندري إن كان ثمة صلة بين اسم «زوسيم» (زوسموس) هذا و«ذيسموس» الذي يسلكه ابن النديم ضمن (أهل الصنعة) «وله من الكتب: كتاب المفاتيح، في الصنعة، يحتوي على عدة كتب ورسائل على ترتيب؛ أولى وثانية وثالثة، ويعرف بـ (السبعين رسالة)». (ص ٤٩٦) كما يعده من جملة الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة وهم: هرمس، أغاذيمون، أنطوس، ملينوس، أفلاطن، ذيسموس... (ص ٤٩٧).

نلاحظ في هذا القلم تشابه أصول رموز حروف: ا. ب. ت. ث. وحروف ج. ح. خ. وحروف: د. ذ. وحروف: س. ش. وحروف ص. ض. وحروف: ط. ظ. وحروف: ع. غ. وحروف: ف. ق. فهي تتفق في الأصل ويميز بينها بزيادات أو مخالفات، مما يماثل الحال في الحروف العربية.

جاء في (الفهرست) - طبعة المكتبة التجارية - اسم «روسم» بالراء، ولعل الصواب بالزاي (زوسم)، من جملة أسماء الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة، دون تحديد هويته.

الفصل الثاني والعشرون

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (مارشول)(١٠٦)

صاحب العجائب والغرائب، الذي ألف في العلوم والفنون

ا ب ج د ه و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق ر

ش ت ث خ ذ ض ظ غ

---

(١٠٦) يتفق هذا الاسم مع الاسم المستعمل عند الرومان Marcellus الذي تحمله شخصيات عديدة بعضها قادة عسكريون ورجال حكم، وأقربها «مارشول الصيدي» Marcellus of Side (وهي مدينة في تركيا الآن)، الذي كان طبيباً وشاعراً، كتب باليونانية، ازدهر في عهد الإمبراطور هدريان (أواسط القرن الأول الميلادي) وألف، فيما يُقال، اثنين وأربعين كتاباً أهمها منظومة في الطب، مفقودة الأصل، وبعض الكتابات التي حفظت لنا أجزاء صغيرة منها في كتب من تلاه.

الفصل الثالث والعشرون

من الباب الرابع

في صفة قلم الحكيم (أركغانيس) اليوناني(١٠٧)

صاحب التراكيب العجيبة، والأخلاط والدخن الغريبة، وأعمال الترياقات الملوكية، والأدوية العجيبة الفعل والتأثيرات:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن و ي

(١٠٧) Archigenes = أركيغنيس الأفامي - نسبة إلى «أفاميا» في سورية. كان طبيبًا شهيرًا في روما في عهد الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧م.) وكان المبدأ الأساسي في معالجاته مقاومة الطبائع المشؤومة (Duskrasiai). وله مؤلفات في الطب والصيدلة، وإحدى عشرة رسالة في النصائح الطبية، فقدت كلها سوى بعض الشذرات.

وفي (الفهرست) يجعل ابن النديم من جملة كتب جابر بن حيان في (الصنعة): كتاب مصححات أركاغانيس (ص ٥٠٢).

وقد يكون اسم «أرجيجانس» الذي يرد ضمن (المتطببين) تحريفًا آخر لاسم Archigenes وكان «قبل جالينوس، وقد ذكره في كتبه فتناوله وقطعه (؟) وله من الكتب كتاب...» (الفهرست، ص ٤٠٢) واسم الكتاب ساقط في النص.

وجاء في نفس المصدر (ص ٤٠٧) اسم «أرسيجانس» وهو «أقدم من جالينوس. وله من الكتب: كتاب طبيعة الإنسان، مقالة مجهولة النقل».

الفصل الرابع والعشرون

من الباب الرابع

في صفة القلم المشجر الطبيعي لأفلاطون الحكيم[١٠٨]

ذكر أنه جُرِّب، لكل حرف خواص ومنافع لأمور شتى:

ا ب ج د ه و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ ع ه

(١٠٨) انظر فيما سبق: الفصل الثالث من الباب الثالث. ومع ملاحظة وجود رموز (حروف) لا توجد في اللسان اليوناني، كالحاء والطاء والعين والقاف والضاد والظاء. نلاحظ أيضًا تكرار حرفي العين والهاء - وهما آخر رمزين مع أنهما ذكرا فيما سبق، مما يرفع العدد إلى ثلاثين رمزًا وهذا لا يتفق مع عدد الحروف اليونانية ولا العربية كذلك. ولا يتفق رمز أي منهما في السطرين الأول والثاني مع أي من الرمزين في السطر الأخير.



الباب الخامس

من كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)

في معرفة أقلام الكواكب السبعة[109] من زحل إلى القمر

(١٠٩) وتدعى أيضًا: الكواكب السيارة: زحل والمشتري والمريخ والشمس والزُهرة وعطارد والقمر – وهي بالفارسية: كيوان، هرمز، بهرام، خور، ناهيد، تير، ماه. وسميت الكواكب السبعة السيارة تمييزاً لها عن الكواكب الثابتة وهي النجوم كلها التي في السماء، وسميت ثابتة لأنها تحفظ أبعادها على نظام واحد ولا تسير عرضًا. (الخوارزمي؛ مفاتيح العلوم، ص ١٢٢ – ١٢٣).

الفصل الأول

من الباب الخامس

في صفة معرفة قلم كوكب زحل

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

الفصل الثاني

من الباب الخامس

في صفة قلم كوكب المشتري وهيئته كما ترى.. فافهم

ا ب ج د ه و ز ح

ط ي ك ل م ن س ع

ف ص ق ر ش ت ث خ

ذ ض ظ غ

الفصل الثالث

من الباب الخامس

في صفة قلم الحكيم (بهرام)[١١٠]،
وهو قلم كوكب المريخ كما تراه

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ ض

ظ غ

(١١٠) «بهرام» هو اسم كوكب المريخ بالفارسية.

الفصل الرابع

من الباب الخامس

في صفة قلم كوكب الشمس، سلطان الفلك

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

الفصل الخامس

من الباب الخامس

في صفة قلم كوكب الزهرة (أناهيد)
مطرية الفلك[111] كما ترى

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك

ل م ن س ع ف ص ق ر

ش ت ث خ ذ ض ظ غ

---

(١١١) «أناهيد» اسم كوكب الزهرة في الفارسية، وكان تسمَّى به الجواري في العصر العباسي كما جاء في كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني.

أما وصفها بـ«مطرية الفلك» فلعل كلمة «مطرية» محرفة عن الفارسية «مادر»، «ماذر» بمعنى «أم»، فهي «أم الفلك» - أو «الأم» بالمعنى المطلق. وكان نجم الزهرة قد عُبِد عند البابليين تحت اسم «عشتر» (عشتار) وعرف عند اليونان باسم «أفروديت» ولدى الرومان باسم «ڤينوس»، ممثلا للأمومة (انظر لمزيد من التفصيل: سيد القمني؛ الأسطورة والتراث، ص ٥٣ وما بعدها).

الفصل السادس

من الباب الخامس

في صفة قلم كوكب عطارد وهو (هرمس) كاتب الفلك[112] : كما ترى

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

(١١٢) عطارد هو ذاته «هرمس» Hermes عند اليونان. وهو Mercury عند الرومان، كان رسول الآلهة وإله التجارة.

الفصل السابع

من الباب الخامس

في صفة قلم كوكب القمر كما ترى

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

الباب السادس

من (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)

في ذكر أقلام البروج الاثنى عشر(١١٣) من الحمل إلى الحوت

(١١٣) البروج الاثنا عشر: الحمل (ويسمى: الكبش) والثور والجوزاء (وتسمى: التوأمين) والسرطان والأسد (ويسمى: الليث) والسنبلة (وتسمى: العذراء) والميزان والعقرب والقوس والجدي (ويسمى: التيس) والدلو والحوت (ويسمى: السمكة) وهي في وسط الفلك (الخوارزمي؛ مفاتيح العلوم، ص ١٢٣).

الفصل الأول

من الباب السادس

في صفة قلم برج الحمل
الناري الربيعي المنسوب للمريخ(١١٤)

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

(١١٤) منذ أيام المؤرخ المصري «مانيثو» (القرن ٣ ق.م). كان المريخ (عند اليونان Ares ولدى اللاتين Mars) يدعى «النجم الناري» (Waddell; Manetho, p. 23).

الفصل الثاني

من الباب السادس

في صفة قلم برج الثور وكوكبه الزهرة

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ض

ق ر ش ت ث خ ذ ض

ظ غ

الفصل الثالث

من الباب السادس

في صفة قلم برج الجوزاء وكوكبه عطارد

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ض

ق ر ش ت ث خ ذ ض

ظ غ

الفصل الرابع

من الباب السادس

في صفة قلم برج السرطان وكوكبه القمر

ا ب ج د ه و ز ح ط ي ك

ل م ن س ع ف ص ق ر ش

ت ث خ ذ ض ظ غ

الفصل الخامس

من الباب السادس

في صفة قلم برج الأسد وكوكبه الشمس

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

الفصل السادس

من الباب السادس

في صفة قلم برج السنبلة وكوكبه عطارد

ا ب ج د ه و ز ح

ط ي ك ل م ن س ع

ف ص ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

الفصل السابع

من الباب السادس

في صفة قلم برج الميزان

ا ب ج د ه و ز

ح ط ي ك ل م ن س ع

ف ص ق ر ش ت ث خ

ذ ض ظ غ

الفصل الثامن

من الباب السادس

في صفة قلم برج العقرب

وهذا القلم من جملة الأقلام المكتومة في ذخائر الكلدانيين، وقد رمّزوا به كتب الأرصاد والأسرار التي تتعلق بكوكب المريخ، الذي فاضت به روحانية (مارشمينا)[115] على الكاهن العارف (أربياسيوس) النبطي[116].

ا ب ج د ﻫ و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

تم قلم برج العقرب

(١١٥) «مار» بالسريانية تعني «سيد». واضح أن لاسم «شمينا» صلة بالمعبود القديم «شمن».

(١١٦) يذكر ابن النديم في «الفهرست» (ص ٤٠٦): أوريباسيوس. ويقول إنه «لا يعلم أهو قبل جالينوس أو بعده، لم يمر ذكره في تاريخ الأطباء، والذي له من الكتب: (كتاب إلى ابنه اسطاث) تسع مقالات، نقل حنين. (كتاب إلى أبيه أونافيس)، أربع مقالات، نقل حنين. (كتاب تشريح الأحشاء)، مقالة. (كتاب الأدوية المستعملة)، نقل اصطفين بن بسيل. (كتاب السبعين مقالة)، نقلها حنين وعيسى بن يحيى إلى السريانية».

ويُعَدُّ «أوريباسيوس» عند ابن النديم من اليونانيين، غير أن نقل بعض مؤلفاته إلى السريانية قد يكون السبب في جعله عند ابن وحشية نبطيًا مع تحريف اسمه قليلا إلى «أربياسيوس».

الفصل التاسع

من الباب السادس

في صفة قلم برج القوس وكوكبه المشتري

ا ب ج د ه و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

تم قلم برج القوس

الفصل العاشر

من الباب السادس

في صفة قلم برج الجدي وكوكبه زحل

وهذا القلم مما اختص به حكماء بابل والفرس وأخفوه، ثم ظهر بعد انقراضهم في كتب أسرارهم وخبايا كنوزهم التي نهبتها اليونان(١١٧)، ثم استعمله حكماء مصر في علم الفلك:

ا ب ج د ه و ز ح

ط ي ك ل م ن س ع

ف ص ق ر ش ت ث خ ذ

ض ظ غ

---

(١١٧) يتردد في المصادر العربية كثيراً اتهام الإسكندر الأكبر بنهب كنوز فارس المادية والعلمية بعد أن اكتسحها في زحفه الشهير على العدو التقليدي لليونان واستيلائه على الهند ومصر بعد ذلك في الثلاثينيات من القرن الثالث ق.م. كما يُقال إنه تملك آثار بابل ومخلفاتها كذلك.

الفصل الحادي عشر

من الباب السادس

في صفة قلم برج الدلو وكوكبه زحل

وهو من جملة الأقلام المنسوبة للكلدانيين والصابئين، وبه رتبوا كتب صلواتهم ودعواتهم وأسرار نواميسهم الخاصة، مما فاضت به عليهم روحانيته(١١٧م):

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ

غ ني ريم

(١١٧م) تقابل كلمة «روحانية» كلمة «رب» عند الخوارزمي الذي يقول: إن للأيام سبعة أرباب. فرب يوم الأحد الشمس، ويوم الاثنين للقمر، والثلاثاء للمريخ، والأربعاء لعطارد، والخميس للمشتري، والجمعة للزهرة، والسبت لزحل (مفاتيح العلوم، ص ١٣٢). وهذا يشبه ما نجده في الإنكليزية مثلا: Sunday (يوم الشمس = الأحد)، Monday (يوم القمر = الاثنين).. إلخ. وكلمة «رب» تقابل «إله» عند اليونان والرومان؛ إذ حسبوا لهذه الأجرام آلهة (أربابًا) لها وظائف معينة، وأسماء خاصة بها، غير أن كلمة «روحانية» أدت عند المؤلفين العرب معنى «القرين» أو: الروح الموكلة بكوكب ما، أو بأثر ما كما هو حال روحانيات الأهرام والبرابي عند المسعودي، تحميها، وصوروها بصور مختلفة؛ فروحاني الهرم الجنوبي في صورة امرأة عريانة، وروحاني الهرم الشمالي غلام أمرد أصفر عريان، وروحاني الهرم الملوّن في صورة شيخ نوتي (ملاح)، «وأما بربا أخميم فمعروف عند أهلها أن روحانيها غلام أسود عريان. وروحاني بربا سميرا هو في صورة شيخ طويل أشيب صغير اللحية». وهكذا بقية البرابي (انظر: أخبار الزمان، ص ١٧٠).

الفصل الثاني عشر

من الباب السادس

في صفة قلم برج الحوت

ا ب ج د ه و ز ح ط ى

ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

تم الباب السادس في ذكر أقلام البروج الاثنى عشر بأصولها ، كما قد اصطلح عليه القدماء، مما وجدناها في كتبهم وذخائرهم، ووضعناها في هذا الكتاب ؛ ليقتبس منه كل طالب لبيب ما يخصه من الأسرار والنكت.



الباب السابع
من (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)

في ذكر أقلام الملوك التي تقدمت من ملوك السريان، والهرامسة، والفراعنة، والكنعانيين، والكلدانيين، والنبط، والأكراد، والكسدانيين، والفرس، والقبط

الفصل الأول

من الباب السابع

في صفة قلم الملك (بردويس) السرياني[118]

وقد رمّز جميع كتبه وأسراره بهذا القلم الذي اخترعه من دقائق الحكمة الإلهية والنواميس الطبيعية، وهذه صفته كما ترى:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن ه

و لا ي

---

(١١٨) لم أعثر على ذكر لهذا «الملك» السرياني في المراجع التي بين يدي، ولعل الاسم مبتدع وكذلك وصفه بالملك. أو لعل الإشارة كانت إلى يعقوب بارادوس Jacob Barados الذي كان إمام السريان الغربيين الخاضعين للإمبراطورية اليونانية، وهو القائل بوحدة طبيعة المسيح، وعرف أتباعه باليعاقبة، في مواجهة النساطرة أتباع نسطور القائل بازدواج طبيعة المسيح أي جمعه بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية، وكانوا خاضعين لسلطة الإمبراطورية الفارسية. وكانت لهجة الفريقين واحدة، تسمى السريانية المنبثقة عن الآرامية، حتى القرن الخامس للميلاد حيث نشأ الخلاف المشهور وتبع ذلك انقسام في المذهب وانقسام أدبي ولغوي. (انظر: علي عبدالواحد وافي؛ فقه اللغة، طبعة ٦. ص ٥٦ – ٥٧).

الفصل الثاني

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (رسيوت)[119] الفرعوني المصري، الذي وضع الأرصاد والطلاسم العجيبة وكلها بهذا القلم القديم الوضع

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز

س ش ص ض ط ظ ع غ ف

ق ك ل م ن ه و ي

(١١٩) في نشرة همّر «زسوت» بالزاي وفي مخطوط باريس بالراء ولعله الأصوب. وبافتراض أن هذا الاسم مصري فإن لدينا من الجذر «رس» في المصرية القديمة:

(أ) «ر س و ت»: قنوات نبات البوص أو القصب / اليراع الذي يكتب به.

(ب) «ر س و ت»: حراس الليل، الساهرون - لصلة الطلاسم بالليل.

(جـ) «ر س و ت»: حلم، رؤيا - ولهما صلة بالنبوءات.

(د) «ر س و ت»: أرض الجنوب، صعيد مصر - حيث المعابد. (معجم بدج، ص ٤٣١ - ٤٣٢).

الفصل الثالث

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (كيماس)[120] الهرمسي الذي كتب في علم الفلك نحو مائتي كتاب وفي الأسرار الطبيعية، وفي خواص النبات والعقاقير، وصفته هكذا

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف

ق ك ل م ن ه و لا ي

---

(١٢٠) في (الفهرست، ص ٤٩٧) أن «كيماس» من الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة، ولا يضيف شيئًا.

وجاء على لسان ابن النديم ما نصه: «قرأت في بعض التواريخ القديمة: لم يكن اليونانيون يعرفون الخط القديم حتى ورد رجلان من مصر يسمى أحدهما (قيمس) والآخر (أغنور) معهما ستة عشر حرفًا، فكتب بها اليونانيون. ثم استنبط أحدهما أربعة أحرف فكتب بها. ثم استنبط آخر يسمى (سمونيدس) أربعة أخر، فصارت أربعًا وعشرين». ص (٢٣).

ويبدو أن اسم «كيماس» (وعند ابن النديم «قيمس») تحريف لاسم «قدموس» (في اليونانية Kadmus) الذي يعني: (القادم) من الشرق = الشرقي. ففي الأساطير اليونانية أن الإله «بوسيدون» Poseidon اقترن بالربة «ليبيا» Lybia فولد لهما Belus (بعل) الذي صار ملكًا على أفريقيا وبلاد العرب و«أغينور» Agenor الذي صار ملكًا على كنعان ومقره مدينة =

= (صور). وقد رُزِق الأخير بابنة جميلة اسمها Europa (التي دعيت باسمها قارة «أوروبا») أحبها الإله «زيوس» Zeus واختطفها، فأرسل «أغينور» ابنه «قدموس» للبحث عن أخته. ومضى هذا إلى بلاد اليونان لهذه الغاية، لكنه أخفق في مهمته. ويبدو أن المقام طاب له، فأسس مدينة باسمه Kadmea التي دعيت بعدئذ Thebes (طيبة)، وتزوج من فتاة تُدعى «هرمونيا» Hermonia ابنة Ares Aphradite وفي حفل زواجه حضر الأرباب تكريمًا له، ومن بينهم Hephaetus (= تحوت) و Hermes (هرمس). ومن أهم ما ينسب إلى قدموس الكنعاني أنه علم اليونانيين الكتابة بأن أدخل إلى بلادهم الحروف الكنعانية. (Who is Who in Mythology).

هذه الأسطورة تشير بوضوح إلى تأثر الوجود اليوناني القديم بما كان على شواطئ البحر المتوسط الشرقية والجنوبية كما تشير إلى تداخل الأعراق والمعبودات والثقافات على هذه الشواطئ، انتقلت إلى اليونان. فهيرودوت يقول بجلاء إن جميع معبودات اليونان جاءتهم من كنعان ومصر، وإن أطلقت عليها أسماء أخرى، ويقول عن «بوسيدون» بالذات إن الليبيين وحدهم كانوا يعبدونه باعتباره إلهًا للبحر. ويمكننا أن نلحظ الجذر العروبي «صيد» في هذا الاسم الذي أدى إلى «صيدون»، وأطلق على المدينة الكنعانية Sidon (= صيدون / صيدا) والصيغة الأخيرة (صيدا) آرامية بالفتحة في آخرها، علامة التعريف (=الصياد؟). أما الباء المهموسة في أولها في الصيغة اليونانية Posidon فالأغلب أنها أداة التعريف "pa" في المصرية القديمة. وهو اقترن بـ«ليبيا»، وتطلق التسمية قديمًا على ما غرب وادي النيل حتى المحيط الأطلسي، مما يبين علاقة بلاد الشام بشمال أفريقيا منذ القدم. ونتج عن هذا الاقتران ولدان أحدهما «بعل» - وهو اسم عروبي يعني «السيد» ثم «الإله» - حكم وادي النيل وليبيا وبلاد العرب (شبه الجزيرة العربية) و«أغينور» الذي تمركز على ساحل الشام في عاصمته «صور». ويتم الربط بين «أوروبا» وبقية سواحل البحر المتوسط باختطاف أكبر الأرباب اليونانية (زيوس) ابنة «أغينور» المدعوة «إيوروبا». أما «قدموس» - ولا ننسى أن جده «بوسيدون» وجدته كانت «ليبيا» - فيرمز إلى انتقال المعرفة العروبية إلى بلاد اليونان، فهو «مهندس»، يبني المدن، و«كاتب» يعلم الكتابة. ولنلاحظ أن المدينة التي بناها أطلق عليها اسمه أولا ثم سميت «طيبة» وهو نفس اسم عاصمة مصر الشهيرة. ومن الدلالات كذلك أن يحضر زفافه رب المعرفة والكتابة المصري «تحوت» في صورته اليونانية «هيفاستوس» و«هرمس» الذي اكتسى صبغة يونانية هو أيضًا وأهدى قيثارة، باعتباره رسول الآلهة الشادي. =

= وإذا كان ابن النديم قد جعل، في ما قرأ في بعض التواريخ القديمة، من «قدموس» (عنده: قيموس) و«أغينور»، رجلين وردا على اليونان من مصر، بينما تقول الرواية اليونانية إن «قدموس» ابن «أغينور»، كنعاني، فإن كنعان ومصر لم تنفصلا في مسألة تعليم اليونانيين الخط؛ إذ إن ثمة قولين كانا متداولين في هذا الشأن، عند القدماء، يذهب أحدهما - وقد تزعمه أفلاطون في محاورتي (فيلبوس) و(فايدروس) - إلى أن أصل الكتابة من مصر، ويرى الثاني أن الأصل من كنعان. لكن ثمة رأيًا توفيقيًّا آخر يقول إن أصل الكتابة مصري نقله الكنعانيون وهم بدورهم نقلوه إلى اليونانية (انظر للتفصيل: Drivers; The Semitic Writing, pp. 128 - 132).

أما ما يذكره ابن النديم من أن الرجلين حملا معهما ستة عشر حرفًا كتب بها اليونانيون، ثم استنبط أحدهما أربعة أحرف فكتب بها، ثم استنبط آخر يسمى «سيمونيدس» أربعة أحرف أخرى، فصارت أربعة وعشرين حرفًا، ففيه نصيب من الصحة كبير، فقد أثبت البحث العلمي أن اليونان نقلوا أبجديتهم عن الكنعانيين، ولكنهم أدخلوا على الأبجدية الكنعانية بعض التعديلات والإضافات في ثلاثة مواطن:

١ - طريقة كتابة الصوائت (Vowels): إذ عمدوا إلى الحروف الكنعانية التي هي الواو والياء والحاء، فاتخذوا من الأول علامة للضمة، ومن الثاني علامة للكسرة، ومن الثالث علامة للكسرة الممالة. أما الفتحة فكان حرف الألف رمزها وهو في الوقت نفسه يمثل الهمزة أو الألف المهموزة في أول اللفظ. وهم استعملوا رمز العين لما أسموه O mikron أي الضمة المفتوحة القصيرة (O) واستحدثوا شكلا قريبًا منه للضمة المفتوحة الطويلة دعوه o (ö) mega.

٢ - زيادة عدد من الأشكال الكتابية. فقد وضع اليونان عددًا من الأشكال لكتابة الصوامت التي لم يجدوا لها في الكتابة الكنعانية مقابلا وعدد حروفها ٢٢ حرفًا. ومن هذه الأشكال الشكل Φ الذي يمثل الصوت الصامت المهموس P (= ف). والشكل X للصوت الصامت المهموس k (= خ). والشكل Ψ المركب من (p+s) (= ps) وليس في اللغات العروبية مثل هذا الصوت.

٣ - تعديل أحرف الصفير. فقد عدَّل اليونانيون رمز الزاي الكنعاني لينطق زايًا يونانية (Zeta). واستخدموا حرف السين للصوت «كْسْ». وكذلك فعلوا برمز حرف الصاد الذي لا يوجد في اللسان اليوناني. (بعلبكي؛ الكتابة العربية والسامية، ص ٢١٢ - ٢٢٧).

الفصل الرابع

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (مهراريش)[١٢١]

وكان كاهنًا بارعًا في العلوم الحكمية، والنواميس الإلهية، وألَّف كتبًا كثيرة في سائر الفنون، وهذا القلم من جملة أقلامه كما ترى:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن ه و ي

(١٢١) في (الفهرست، ص ٤٩٧) ضمن أسماء الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة: «مهدارس».

الفصل الخامس

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (طبرينوس) الكاهن[١٢٢]
وهو من جملة الأقلام
التي كان الفراعنة يكتبون بها على النواويس

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و ي

(١٢٢) في اللاتينية توجد أسماء: Tiberianus و Tiberias و Tiberius – وهي أسماء رومانية. أما أن يتخذ أحدها اسم علم لكاهن من الفراعنة يكتب بها على النواويس فقد يكون ابتداعًا أو إشارة إلى عهد حكم الرومان مصر حيث اتخذ بعض أهلها أسماء لاتينية.

الفصل السادس

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (ديوس موس) المصري[١٢٣]
أحد الفراعنة المشهورين بالكهانة والسحر
وأنواع الطلسمات والنارنجات، وهذه صورته هكذا

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز

س ش ص ض ط ظ ع غ ف

ق ك ل م ن ه و ي

---

(١٢٣) من جملة «أسماء كتب ألفها الحُكماء» في (الفهرست، ص ٤٩٨): كتاب دوسيموس إلى جميع الحكماء في الصنعة.

ويدخل المقطع «ديوس» Dios في بعض الأسماء اليونانية من مثل: «ديوسكوريدس» Dioscorides. ويأتي اسمًا مفردًا. كما نجده في صورة «ثيوس» Theos وهو يشير إلى إله يلحق اسمه بهذا المقطع.

غير أن تحديد ابن وحشية لهذا القلم بأنه قلم ملك مصري، أحد الفراعنة، يذكرنا باسم الفرعون «تحوتموس» (= تحتمس = تحت موس) في اللسان اليوناني Thothmos – وقد وصف هنا بأنه من «المشهورين بالكهانة والسحر وأنواع الطلسمات والنارنجات». وهو في المصرية القديمة «ضحوتي. مس.»: ضحوتي (=القمر) + أمشي (=ولد) = ابن القمر.

وقد حمل هذا الاسم أربعة من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة ما بين ١٤٩٣ – ١٣٩١ ق.م. أعرفهم (تحتمس الثالث) وترك كل منهم آثارًا ممثلة في معابد وتسجيلات عن أعماله، كما اكتشفت مومياءاتهم وعثر على تماثيل ونصب كثيرة لهم. وكانت لتحتمس الأول والثالث بصفة خاصة غزوات شرقي وادي النيل بلغت بلاد الرافدين، مما أدي إلى صلات سياسية واقتصادية ودينية ما بين تلك البلاد ووادي النيل.

الفصل السابع

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (برهميوس)[١٢٤] المصري

هذا القلم من قديم الزمان كان سحرة فرعون ومصر تستعمله، ثم انتقل إلى كهنة بلاد الهند والصين:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن ه

و ي

---

(١٢٤) ما دام أصل الاسم مصريًا فقد يكون «با. رع. مس»، وهو مكون من «با» (أداة التعريف في المصرية القديمة) + «رع» (إله الشمس، أو الشمس ذاتها) + «مس» (ولد).

ويبدو أن خلطًا وقع بين «با رع مس» المصري و«براهما» Brahma الهندي حين انتقل هذا القلم إلى بلاد الهند والصين فصار «برهميوس»، بتعاقب العين والهاء.

الفصل الثامن
من الباب السابع
في ذكر قلم الملك (صا ا ا) الكاهن[125]

وهو من السحرة السبعة الذين كانوا ملوكًا وحكماء وكهنة وسحرة وفلاسفة بمصر، وملكوها وعمّروها، وبنوا فيها مدنًا عظيمة إلى الآن:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع

غ ف ق ك ل م ن ة و

لا ي

---

(١٢٥) هكذا في النص المنشور، وعند ابن النديم (صا) من أولاد هرمس البابلي الذي «اختُلف في أمره فقيل إنه كان أحد السدنة السبعة الذين رتبوا البيوت السبعة... وقيل إنه انتقل إلى مصر بأسباب وأنه ملكها، وكان له أولاد عدة، منهم: طاط، وصا، وأشمن، وأثريب، وقفط» (ص ٤٩٤).

ومن الممكن التعرف على أربعة من هذه الأسماء الخمسة في الآثار المصرية، في ما عدا «أثريب» الذي يبدو كلدانيًا أو بابليًا. =

= وقد سبق ذكر «طاط» باعتباره ابن أغاثودايمون الذي هو بدوره ابن هرمس الثاني عند (مانيثو). أما في (كتاب الراهب) لجابر بن حيان فإن «طاط» كان ابن «هرمس المثلث بالحكمة» حين سأل الراهب أن يعلمه الصنعة «فقال لي: بطريقة هرمس المثلث بالحكمة؟ فقلت له: أي طريقة؟ فقد عرفت أكثرها. قال: بطريقته إلى ابنه طاط في كتابه». (مختار رسائل جابر بن حيان، ص ٥٣٠). ويذكر ابن النديم من (كتب هرمس في الصنعة): «كتاب هرمس إلى ابنه في الصنعة... كتاب إلى طاط في الصنعة» (الفهرست، ص ٤٩٦).

وأما «أشمن» فيقترب من اسم بلدة «أشمون» أو «الأشمونين» في مصر (في المصرية القديمة «خ م ن»، «ش م ن» العربية «ثمن») وهي كانت مقر عبادة الأرباب «الثمانية» المقدسين.

و«قفط» مأخوذة عن اليونانية Aegypt(os)، وهذه عن المصرية القديمة «ح ت. ك ا. پ ت ح» (حت كا پتاح) أي: «بيت روح پتاح» - أو: بيت مجد فتاح. العربية: حيط/حوط جاه (الـ)ـفتّاح. باعتباره پتاح (فتاح) إله الخلق، مفتتحه وهو اسم مدينة صارت تطلق على مصر كلها فيما بعد.

وتبقى «صا». وقد نقرنها باسم مدينة «صا» الشهيرة التي عرفت عند اليونان في صورة «سائيس» Saïs (وهي الآن تسمى: صا (الحجر) وينسب إليها: الصاوي) وكانت مقر عبادة الربة الليبية/المصرية (نيث) ومقر حكم الأسرتين الرابعة والعشرين والسادسة والعشرين، وكانت مركزاً مرموقاً للعلوم الدينية حتى أشاد بها أفلاطون وغيره. (فيرنوس ويويوت؛ الفراعنة، ص ١٦٢ - ١٦٣). وذلك اتساقاً مع «أشمن» و«قفط» - ويشجعنا على هذا الربط ما نلاحظه من صلة بين (صا) والسحرة/الملوك من جهة وبناء المدن العظيمة «إلى الآن» في قول ابن وحشية، من جهة أخرى. والملاحظ أن اسم هذه المدينة يكتب في الهيروغليفية «ساو» (= صاو) ولعل هذا سبب كتابتها «صاا» عند ابن وحشية.

على أن المقطع «صا» (=سا) يأتي في مقدمة أسماء فراعنة كثيرين لا سيما في الأسرة الخامسة في الألف الثالثة ق.م. من مثل «سا. حر. رع» الذي جرى على أقلام الكتاب «ساحوري». وهذا المقطع (سا = صا) يعني في المصرية القديمة «ابن» أو للنسبة - يقابل العربية «ذو».

وفي (العهد القديم) يأتي اسم «سوا»، ملك مصر الذي طلب هوشع الإسرائيلي عونه في مواجهة شلمانصر ملك أشور، فلم ينفعه بشيء، ثم قام «سوا» بحملة ضد أشور فهزمه سرغون، خليفة شلمتاصر، عند مدينة رفح سنة ٧٢٠ ق.م. (قاموس الكتاب المقدس، ص ٤٩٠).

الفصل التاسع

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (بلبيس)(١٢٦)

الذي بنى مدينة طولها أربعة فراسخ، وصنع فيها عجائب كثيرة، وكتب بهذا القلم كتبًا كثيرة، وهو هذا:

ا ب ت ج ح خ د ذ ر ز

س ش ص ض ط ظ ع غ ف

ق ك ل م ن ه و ي

---

(١٢٦) الأرجح أن اسم الملك «بلبيس» هذا «الذي بنى مدينة» ذو صلة باسم مدينة «بلبيس» المصرية في دلتا النيل. ولعل اسمها الأصلي «پر. بس» (بربيس)؛ فإن اللام كثيراً ما تحل محل الراء، والعكس، في الهيروغليفية. أما «پر» فمعناها «بيت» وأما «بس» (بيس) فهو اسم رب الموسيقا والمرح عند قدماء المصريين يُمثل عادة في صورة هر (العربية: بسّ). وذلك قياسًا على «پر إمن» (بيت أمون، التي صارت «بلمون») و«پر إسر» (بيت أوزيريس، التي صارت «أبو صير») و«پربست» (=«بوباست» في القبطية و«بوباستس» عند اليونان، وهي اليوم: (تل) بسطة. و«بست» مؤنث «بس» = بسّة، أي: هرة). وفي (معجم بدج) نحو تسع صفحات لأسماء مدن وقرى ومواقع تبدأ بالمقطع «پر» يتبعه اسم إله من الآلهة المصرية أو اسم شخص (Budge; An Egyptian Hierolyphic Dict., pp 985 - 994).

أو لعل الأصل هو «بعل بس» أي: الرب بس. والعين في «بعل» سهلة السقوط، إذ نجد في الأكادية «بِلُ» = بعل. فكانت «بل بس» = بلبيس.

الفصل العاشر

من الباب السابع

في ذكر قلم الملك (قفطريم)[١٢٧] المصري

صاحب الطلسمات والأرصاد العجيبة، والصور والكنوز الغريبة

وكان هذا القلم كتب به جميع العلوم، وهذه صورته:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر

ز س ش ص ض ط ظ ع غ

ف ق ك ل م ن ه و ي

---

(١٢٧) لدينا قلمان مختلفان شكلا وترتيبًا. الأول يذكر في الفصل التاسع عشر من الباب الرابع، وهو (قلم حكماء الأقباط) ومخترعه «قفطريم» من أولاد نوح، اتبع فيه الترتيب الأبجدي. والثاني يأتي في الفصل العاشر من الباب السابع، ويدعى (قلم الملك قفطريم المصري)، وهو مرتب ألفبائيًا.

ولا يوجد في الآثار المصرية اسم «قفطريم» باعتباره ملكًا أو كاهنًا. ولكننا نلمح صلة بمصر إذا قبلنا أن هذا الاسم ليس إلا تحريفًا لاسم «كفتوريم»، وأن القلم الأول لحكماء الأقباط ومخترعه من أولاد (حام) والثاني من اختراع ملك مصري.

جاء في التوراة (سفر التكوين، الإصحاح: ١٠) أن أبناء نوح كانوا: سام وحام ويافث. وبنو حام: كوش ومصرايم وفوط وكنعان. ومصرايم ولد: لوديم وعناميم ولهابيم ونفتوحيم وفتروسيم وكسلوحيم، الذين خرج منهم: فلشتيم وكفتوريم (ولنأخذ في الاعتبار أن هذه الأسماء جاءت في صيغة الجمع العبرانية تدل على شعوب وليس على أفراد). =

=وقد حاول السير آرثر إيڤانز (Sir Arthur Evans; Scripta Minoa, pp. 78) الربط بين جزيرة كريت التي كانت تدعى «كفتور» Kaphtor والتي اعتبرها، وبعض الباحثين الآخرين، مقر الفلسطينيين (فلشتيم) الأصلي قبل دخولهم أرض فلسطين، وبين ما يرد في التسجيلات الهيروغليفية المصرية عن «كفتو» وطن الكفتوريين (كفتيو) الإيجي «والتسجيلات المصرية تعطي أسماء كفتوية لأغراض التمارين المدرسية» (نفس المصدر).

ويبدو أن السير إيڤانز اعتمد في مقارنته على ما جاء في التوراة (سفر أرميا، الإصحاح: ٤٧ : ٧) عن «الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور». وهذا غير لازم، إذ من المعروف أن نصوص التوراة اليهودية تحاول إبعاد أعدائها عن (الدائرة الساميَّة) التي ينتمي إليها اليهود، كما فعلوا ببني كنعان - أعدائهم التقليديين - الذين «طردوهم» من هذه الدائرة «المميزة» وألحقوهم بالدائرة الحاميَّة - المحتقرة لديهم.

وعلى كل حال، فإنه ما من شك في الصلة الوطيدة بين الحضارات المينوية في جزيرة كريت (كفتور < كفتوريم) ومصر، بل صلة الأخيرة بعالم بحر إيجة والجزر اليونانية ما قبل العصر الهليني.

(انظر لمناقشات موسعة: Jean Vercoutter; L'égypte et le monde égeén prêhellénique, نشر المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٦م).



الباب الثامن

من كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام)

في ذكر أقلام الهرامسة[١٢٨]

مما اطلعنا عليه في كتب القدماء، لأن الهرامسة كل منهم وضع قلمًا بحكمته وقوة فهمه؛ ليكتم به علومه وأسراره؛ لئلا يطلع عليها غير أبناء الحكمة، فلذلك قَلَّ في زماننا من يعرفها؛ لأنهم وضعوها على هيئة الرسم والمثال، بأنواع الآلات، والأشجار، والنبات، والحيوانات، والطيور، وبعض أجزاء منها، وبعض صور من الكواكب والنجوم. فلذلك لا تُعَد كثرةً ولا تُحْصى، مثل أقلام بلاد الهند والصين؛ فإن لهم أقلامًا ليست كترتيبنا على حروف «ألف باء»... إلخ، بل لهم في ذلك اصطلاحات لا تشبه رأي أصحاب الخطوط والأقلام، وإنما خالفونا في الرسم والترتيب لعلة ما، وهي أنهم عرفوا الأشياء الطبيعية بحسب عقولهم كما ينبغي، ورأوا أن يرتبوا لكل مادة منها شكلا مناسبًا لماهيته، يدل بصورته على تلك الذات[١٢٩].

وأما المذهب الثاني فقد اعتمدوا في رسمها على القواعد الهندسية، واستنباطها بعضها من البعض؛ كالكوفي من السرياني، والعبراني من الكلداني، واللاتيني من اليوناني، وغيرها من الأقلام الأصلية[١٣٠]. وأما الأقلام الفرعية فإنها في الغالب على

---

(١٢٨) جمع «هرمس»، والمقصود أتباعه أو أبناؤه. وسنرى ابن وحشية يذكر قلم الحكيم «هرمس الأكبر» ويأتي بنماذج من رموزه مبتدئًا برموز (الآثار العلوية)، ثم يقدم مراتب الرموز الهرمسية الثلاثة: ١) للأسماء الحيوانية، ٢) ذوات المفردات النباتية. وهنا يتحدث عن أربع مراتب من الهرامسة: الهوميَّة، والبيناولوزية، والإشراقية والمشائية، ذاكرًا أنسابهم ومعتقداتهم وطقوسهم. بعدها يعود لاستكمال مراتب قلم (هرمس الأكبر) فيورد رموز المفردات النباتية، وأخيرًا ٣) صور الأشكال المعدنية التي اصطلح عليها الهرامسة الإشراقية والمشائية.

(١٢٩) هذا ما يعبر عنه حديثًا بالعلامات التصويرية (ideograms, logograms) أي تصوير الكلمة أو الفكرة بشكل «مناسب لماهيته» كما هو تعبير ابن وحشية، وهو الواقع في الرموز الهيروغليفية المصرية الأولى (كما هو الحال في «صلاية نارمر») قبل أن تتطور إلى النظام المقطعي ثم إلى النظام الهجائي.

(١٣٠) المقصود هنا الكتابة الهجائية.

هذا النمط، فمن أراد أن يطلع على حقائق فن الأقلام فليراجع كتاب (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) لجابر بن حيان الصوفي، فإنه استوفى ما يلزم هذه الصناعة من اللوازم تفصيلا وإجمالا، وإنما مقصودنا في هذا الكتاب ذكر ما اشتهر من أقلام الهرامسة مما رأيناه، وأما رموزهم الخاصة فلم يعرفها أحد في زماننا هذا. والله الموفق للصواب.



(واجهتا لوحة نارمر (مينا) الشهيرة من مرحلة الكتابة التصويرية - حوالي ٣٢٠٠ ق.م)

الفصل الأول

من الباب الثامن

في ذكر قلم الحكيم (هرمس الأكبر)[١٣١] .

وهو القلم المكتوب على البرابي والأهرامات والنواويس والأحجار والهياكل القديمة، من زمن الفراعنة الأُوَل، واعلم أن هذا القلم ليس كسائر الأقلام مرتبًا على الحروف، بل هو رموز وإشارات مستخرجة بحسب ما اصطلح عليه (هرمس الأكبر)، وهي رسوم وأشكال لا تُعَد ولا تُحصى، وإنما وضعوا لها قاعدةً يستدل بها على ذلك الشيء المط(لوب)، مثاله: يجعلون صورة شكل يدل على أنه اسم الله تعالى مطلقًا، فإذا أضافوا (إليه) شيئًا من أسماء الصفات ألحقوا بذلك الشيء الأصلي جزءاً من شكل آخر، وأتموه بحسب ما أرادوا على هذا الوصف[١٣٢]، وعلى هذه القاعدة الآتي بيان مثالها كما ستراه، وقد جعلناه على ثلاثة مراتب دون العلويات، **فأولا** نبدأ بالآثار العلوية، وصور أشكالها الدالة على أسماء ذواتها بلسانهم الهرمسي كما وجدناه، وهذه صورتها كما ترى:

---

(١٣١) «هرمس الأكبر» أو «هرمس الأول»، عند الكلدانيين، سبق «هرمس الثاني» - الذي يدعى «ذواناي» كما يسمى «المثلث بالحكمة» أو «المثلث بالنعمة» أو «المثلث بالعظمة» - بألف عام. وسَيلي الحديث عنه. ويقابل «هرمس الأكبر» هذا المعبود المصري العتيق «تحوت» (ضحوتي. عند اليونان «ثوث» Thoth).

(١٣٢) هذا صحيح إلى حد بعيد، غير أن رمز كلمة «الله» أو «الإله» (الرب، المعبود) ليس صورة الطائر في أول أشكال ابن وحشية، بل صورة فأس حجرية. وهي الرمز الهيروغليفي لكلمة «نظر» (= الناظر، أي المطلع الرائي) أو «نطر» (ومنها في العربية: الناطور= الحارس، الراعي). ويأتي هذا الرمز مفرداً فيدل على «الله» (الإله) فإذا أضيفت إليه صور أخرى قرئ بحسب ما أضيف، كما في الأمثلة التالية: عن (معجم بدج، ص ٤٠١ - ٤٠٧).



الله المالك الحليم القهار
القوي الرحيم الرزاق المميت
الحي . العالم بكل خفي وظاهر
المدبر لكل شيء من المصنوعات
العلوية والسفلية بإرادته
ملك شيطان سماء نجم كوكب
سحاب نور الظلمة الدنيا
الهواء قمر زحل مشترى مريخ
شمس شمس زهرة عطارد
حمل ثور جوزاء سرطان



فهذا ما وجدناه من الأشكال الهرمسية الدالة على الآثار العلوية، وحان لنا أن نذكر الثلاثة مراتب التي وعدنا بذكرها؛ أي نذكر كل مرتبة منها، وما وجدناه من الأسماء والأشكال في الهرمسية.

المرتبة الأولى: في ذكر الأسماء الحيوانية[١٣٣] وأشكالها، مفرداً مفرداً، من سائر الأنواع وأفعالها وحركاتها:

---

(١٣٣) هكذا. ورغم أن ابن وحشية يقرر في آخر هذه المرتبة الأولى من الرموز الهرمسية (= الهيروغليفية) أن «هذا آخر ما وقفت عليه من صور الأشكال الحيوانية وبه ختمنا المرتبة الأولى»، وبالرغم من أن السياق يوجب استعمال الصفة (الحيوانية) لهذه الأشكال؛ إذ تلي في المرتبة الثانية الأشكال الدالة على المفردات النباتية، وفي المرتبة الثالثة صور الأشكال المعدنية، فإن ما بين أيدينا لا يمثل أشكالا حيوانية إلا في أربعة منها، كما أن ما وضع تحتها من تفسير دلالاتها لا يتعلق بالحيوان، بل بشُؤُون الحياة في عمومها. لذا يمكن وصفها بأنها «الأسماء الحياتية»، بعد أن عرضت الأشكال الدالة على «الآثار العلوية».

الحياة · الموت · الغنى الفقر · الرجل · المرأة

الطيّب · الرديء · الخير · الشر · الخطيئة

الفرح · الغم · البكاء · العقل · الروح

الجسد · الحركة · السكون · النوم · اليقظة

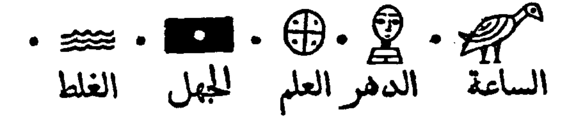
البلادة · الذكاء · الفعل · الضرب

النسيان · الفهم · الخنوع الخضوع · الإرادة · الإطاعة

المكر · القتل · السجن · السرّ

الخفي · المجنون · المريض · الطيّب · القوي

المؤذي · القطع · الصلب · الزمان



الساعة الدهر العلم الجهل الغلط

الحق الباطل العدد الهندسة الرئاسة

الهدم البناء الحجر الشجر الجوهر

العظم القرن الدم البلغم السوداء

الصفراء البياض الحمرة السواد الصفرة

الخضرة الوسع الضيق الظلم العداوة

السرقة العدل الحرق الحكم والناموس الدخول

الخروج القيام الدواء الذهاب الركوب

التدبير العبادة الصلاة الخشوع الامام الكاهن

السلطنة الصالح الفاسد العارف الصيدلاني

الفلسفة الفصاحة المخالفة الكذب

الأسرار الطبيعية الخواص الأسرار الروحية الصنعة الوزن

علم الفلك الطلسمات السحر المخرقة والسيمياء



وهذا الشكل بجملته عندهم هو السر المسمى (بهوميد)[١٣٤] و(خروف) يعني: سر لاهوت طبيعة كلية العوالم. ويسمَّى: سر السر، والمبدئ والمعيد. ولهم في هذا الشكل كلام طويل لا يحويه هذا الكتاب، فمن أراد الاطلاع على أسرار الهرامسة فليراجع الكتاب الذي ترجمته من لساننا النبطي، المسمى بكتاب (شمس الشموس وقمر الأقمار في كشف رموز الهرامسة وما لهم من الخفايا والأسرار)، فإنه جُمِع فيه ما لا بد منه لمن أراد الوقوف على أسرار هؤلاء القوم. وهذا آخر ما وقفت عليه من صور الأشكال الحيوانية وبه ختمنا المرتبة الأولى.

---

(١٣٤) تبدو هذه الكلمة مُحيِّرة، ولم أجد في ما بين يدي من مراجع ما يلقي الضوء عليها. ويمكن تقديم الاجتهادات التالية في فهمها:

(أ) أن تكون تعبيراً فارسيًا مركبًا من «بِهْ» (= حَسَن، جميل = بهي) + «أميد» (رجاء، أمل، انتظار = أمَد). «بِهْ أمِيدْ» (بهوميد) = الرجاء الصالح، الأمل الحسن (= بهيُّ الأمد).

(ب) يورد «دوزي» (Supplement... p. 123) كلمة «بهموت» وتجمع على «بهامت» ويترجمها إلى الفرنسية fosse Profonde (حفرة عميقة). وقد يكون للأمر صلة بفكرة «السرب المظلم».

(جـ) كانت عبادة الحيوان، وبخاصة الثيران والكباش، متأصلة في فارس القديمة، ووادي النيل، وحتى شمال أفريقيا. وقد تكون «بهوميد» هذه على صلة بمادة (بهم) العربية التي جاء فيها: البهيمة = كل ذات أربع قوائم من الدواب. والبهمة: الصغير من أولاد الغنم والمعز والبقر، وقيل: هو بهمة إذا شب. والبهام: أولاد البقر. والبهيم من النعاج: السوداء التي لا بياض فيها. (لسان العرب).

(د) من التحريفات التي تلفت النظر أن المصادر العربية تصر على ذكر اسم فيل أبرهة الحبشي في حملته على مكة لهدم الكعبة وأنه كان «محمود». ويقترح د. الوردي في كتابه (حول رموز القرآن الكريم، ص ٨٣ - ٨٤) أن التسمية محرَّفة عن «مامُوت» mammot وهي كلمة روسية تطلق على ضرب من الفيلة الضخمة المنقرضة (في الإنكليزية mammoth).

(هـ) في «سفر أيوب» من (العهد القديم) يذكر «بهيموث» (الإصحاح ٤٠ : ١٥): «هو ذا بهيموث الذي صنعته معك. يأكل العشب مثل البقرة. ها هي قوته في متنيه وشدَّته في عضل بطنه. يخفض ذَنَبه كأرزة. عروق فخذيه مضفورة. عظامه أنابيب نحاس. جرمها حديد ممطول. هو أول أعمال الله الذي صنعه. أعطاه سيفه. لأن الجبال تُخرج له مرعى وجميع وحوش البر تلعب هناك. تحت السِّدرات يضطجع في ستر القصب والغَمِقة. تظلله السدرات بظلها. يحيط به صفصاف السواقي. هو ذا النهر يفيض فلا يفرُّ هو. يطمئن ولو اندفق الأردن في فمه. هل يؤخذ من أمامه؟ هل يثقب أنفه بخزامة؟». =

= وحسب ما جاء في (قاموس الكتاب المقدس) فقد قال البعض إن كلمة «بهيموث» جمع «بهيمة» في العبرانية، وهي تُرجمت في مواطن أخرى وردت فيها (مثلما هو الحال في سفر أيوب، ٣٥ : ١١، والمزامير، ٧٣ : ٢٢) باعتبارها تعني «وحوش». وزعم آخرون أنها كلمة مصرية قديمة معناها «ثور الماء». وبناء عليه يصح الحكم بأن «بهيموث» هو فرس النهر الموجود قديمًا في أرض مصر، ويوجد الآن في أعالي النيل حيث يقضي معظم نهاره في المياه وبين الأشجار، فإذا جاء الليل خرج إلى الحقول المجاورة في طلب المرعى، فأتلف مزروعاتها وأشجارها لما هو عليه من شدة النهم.

ويضيف (القاموس) : ويصدق قول أيوب على هذا الحيوان أكثر مما يصدق على سواه، لأنه عظيم الحجم ضخم الجسم.

قال: وأما علماء اليهود فيزعمون أن «بهيموث» حيوان كبير الحجم ذو قدرة عظيمة ومنظره هائل، ومن شأنه أنه كان - ولا يزال - يسمَّن منذ ابتداء الخليقة إلى مجيء المسيح، فإذا جاء قُدِّم عندها وليمة للمؤمنين.

(و) في المصرية القديمة توجد كلمة «بخ» ويعرفها (معجم بدج، ص ٢٢١) بأنها تعني: ثور أسود الشعر. يُعبد، يمثّل روح «رع» الحيّة، وثور المشرق، وأسد المغرب، في المعتقدات والرموز الدينية المصرية. وثمة كلمة «موت» بمعنى: بحيرة، بركة، ضفة نهر - وهي مؤنث «مو» (=العربية: ماء). ويبدو من هذا أن القول بأن «بهيموث» كلمة مصرية قديمة معناها «ثور الماء» تكافئ «بخ + موت» (= بخموت. وبتعاقب الخاء والهاء = بهموت) تحرفت إلى «بهيموث» في العبرانية، وصارت «بهوميد» بعدئذ، كما هي عند ابن وحشية.

من جهة أخرى نجد أن فرس النهر كان أحد المعبودات المقدسة عند قدماء المصريين مجسداً للإله «ست» ويلقب بألقاب مؤنثة أغلبها من مثل: «عنخيت» (الحياتية)، «نفريت» (الجمالية)، «تاوريت» (المنية)، «خنميت» (الغنمية). كما يعرف بلقب «موت نترو» (أم الأرباب). انظر Budge; The Dwellers on Nile, pp. 150 و(معجم بدج) في مواقع هذه الألقاب.

(ز) في إنجيل يوحنا يوصف المسيح بأنه «حمل الله» (الإصحاح: ١، آية: ٢٩) بعد أن وصف بأنه «في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله» (نفسه: ١).

وفي (رؤيا يوحنا اللاهوتي) يتحدث عن الملوك الذين سيحاربون الخروف والخروف يطلبهم لأنه رب الأرباب وملك الملوك (الإصحاح: ١٧).

(حـ) في الفارسية «بهمان». وهو في ديانة الفرس القديمة ملاك موظف على الضأن والبقر كما هو على القمر والشمس. والاسم مركب من «ب» = عَلَى + «هَمَه» = الكُلّ. فهو يعني: عَلَى الكل، سيد الجميع. (أدي شير؛ الألفاظ... ص ٣٠).

المرتبة الثانية: في ذكر صور الأشكال الدالة على ذوات المفردات النباتية وأنواعها.

اعلم، أيها الحكيم العارف، أن الهرامسة الخاصة لم يُطْلِعوا على أسرارهم غير أبناء جنسهم، خوفًا على أسرارهم؛ لئلا تضيعَ مع غير أهلها من أولاد السُّفْلة، ولفساد العالم وخرابه، فجعلوا هذه الرموز سترًا على علومهم وكنوزهم وذخائرهم، وما وضعوه من الأشياء المكتومة التي لم يطلع عليها إلا أهلها من أبناء الحكمة، وكانوا مع هذا مذاهب أربعة:

فالأول: منهم يقال لهم: **(الهرامسة الهومية)**[١٣٥]، وهم أولاد (هرمس الأكبر) الذين لم يتزوجوا بنساء من غير أبناء جنسهم، ولم يختلطوا بغريب ولم يختلط معهم غريب، فما أحد ممن في العالم عرف رموزهم، ولم يطلع عليها سواهم، وهم أصحاب الصحف الإدريسية، والهياكل الروحانية، وبرابي الحكمة، وقد قلَّ نسلهم في زماننا هذا، وانتهوا في بعض الجزاير التي في حدود الصين، وهم على ما كانوا عليه.

---

(١٣٥) يذكر «بريان دِكْس» في كتابه عن (الفرس القدماء) أن طقوسًا دينية مهمة عرفت في الديانة الآرية القديمة كانت تدعى «هوما» Haoma كرستها الزرادشتية فيما بعد. وطبقًا لما جاء في «الأفستا» Avesta – كتاب الزرادشتية المقدس – فإن «الهوما» كان اسم نبات يحوي مادة قلوية، مسكرة، كانت غصونه تدق وتمزج باللبن لتغيير طعمها خليطًا يقدم في شعائر العبادة، وقد وردت في ألواح (برسوبوليس) – عاصمة إيران القديمة – أسماء كهنة مهمتهم إعداد «الهوما» كما اكتشف عدد من المهاريس والمدقات ربما كانت تستخدم لهذه الغاية. ويبدو أن هذا النبات كان مثيرًا للانفعالات، ولعله ضرب من الحشيش. وقد حاولت الزرادشتية في بداية أمرها إبطال هذه الشريعة، إلى جانب إبطال القرابين الدموية، لكنها أخفقت في هذا الأمر وما لبثت هذه الشريعة أن سيطرت على المجوس وكهنتهم.

وفي ديانة الفرس قبل ظهور زرادشت، وهي قريبة جدًا من الديانة الهندوسية، كانت تسمية «الهوما» تطلق على معبود يرمز إليه بصورة (الثور المقدس). وتروي الأساطير الفارسية القديمة أن هذا الثور المقدس مات ثم بُعِث حيًا ليقدم دمه للجنس البشري ويكسبه الخلود. كما كانت نفس التسمية تطلق على نبات، قد يكون الراوند الذي ينبت عند سفوح الجبال، يُعصر ويستخرج منه شراب مسكر يسمونه: شراب الخلود. وهناك شبه كبير بين مواصفات وأثر «الهوما» الإيرانية القديمة و«السوما» الهندوسية. وعصير «الهوما» =

= (= السوما) المخدر كان يُعَدُّ لأغراض التضحية ويُعبد باعتباره إلهًا، ويطلق عليه في الكتابات الفارسية القديمة «دور أوشا»، التي قد تعني «مُبعد الموت» إشارة إلى تأثير هذا الشراب في إبعاد المرض وإطالة الحياة. وجاء في إحدى القصص أن الملاك الذي كان يرعى زرادشت حلَّ في عصير «الهوما» وتسرب إلى جسم الكاهن الذي كان يقدم القرابين للآلهة. وتخبر قصة أخرى كيف أن راعيًا اقترن بحسناء، وفي أثناء رعيه ماشيته تراءى له ملاكان نورانيان وقدما له نبتة «الهوما» وأمراه بأن يعصرها ويشرب وزوجته عصيرها لأنه يحمل نطفة طفل روحاني، ونفذ الراعي ما أمر به، وحملت الزوجة وولد «زرادشت» نبي «أهورا مزدا». (العريبي؛ الديانات المنقرضة، ص ٢٠٦، ٢١٠).

ويعتبر «أدي شير» أن «هَوْم» المجوس من الألفاظ الفارسية المعرَّبة، فارسيته «هوم». ويورد قول صاحب (البرهان القاطع): الهوم: شجر يشبه الصنوبر، كثير الوجود في بلاد فارس، معقود الساق. ورقه شبيه بورق الياسمين. وكان المجوس في طقوسهم يمسكون بأيديهم قضبانًا منه، ولذا سمي: هوم المجوس (ص١٥٨).

ويمضي «بريان دكس» في حديثه قائلا إنه لا تزال توجد بقية أتباع للديانة الزرادشتية في إيران تبلغ نحو عشرة آلاف نسمة وهناك نحو مائة ألف في الهند ممن فرُّوا أمام الزحف الإسلامي، ولا يتزاوجون خارج طائفتهم. ومن طقوسهم: احتفالات السنة الجديدة (النيروز)، وحفظ النار الأبدية، واستعمال «الهوما» المقدسة. (ص ١٢٤ و١٢٦ و١٣٦).

وورد في (ملحق دوزي للمعاجم العربية) في مادة «هوم» نقلا عن الرحالة Thèvenot أواسط القرن السابع عشر، أنه رأى في الإسكندرية «هوميًا» Un Houame ممن يحيون حياة الأعراب الرُّحَّل ويقطنون الخيام مثلهم ولكن لهم شريعة خاصة بهم؛ إذ هم يؤدون طقوسهم وصلواتهم في خيمة مظلمة تمامًا، وبعدها يتسافدون وأول من يقابلهم، بصرف النظر عما إذا كان أبًا أو أمًّا أو أختًا أو أخًا - وهذا أسوأ من ديانة «الآدميين» Adamites وكذلك Adamiens - نسبة إلى «آدم» أبي البشر، طائفة كانت تنادي بالعُري، تشبهًا بآدم، والزواج المختلط. ازدهرت في «بوهيميا» في القرن الخامس عشر، ومن هنا جاءت الصفة «بوهيمي» بمعنى المتحلل من الأخلاق والروابط الاجتماعية.

ومع ذلك، يقول الرحالة «ثفنو»، فإن هؤلاء القوم يتخفون في المدينة؛ ذلك لأنهم لو عُرِفوا باعتبارهم من «الهوميين» لحُرِّقوا أحياء.

الثاني: (الهرامسة البيناولوزية)[١٣٦]، وهم أولاد أخي هرمس، أعني (إسقليبيانوس)[١٣٧]، تزوجوا وتناسلوا من أصلهم، ولم يشاركوا أهل زمانهم في شيء ما، بل الناس كانت تحتاج لهم في الأمور كلها، وكان الفرق بين (الهومية) وبين هؤلاء...

---

(١٣٦) لعل المقصود من يسميهم ابن النديم «البولونيساس» حين يقول عن «البقراطيين» (جمع «بقراط» = أبو قراط): «وكان بقراط الثاني أدرك في منتهى سِنّه حرب القوم المعروفين بالبولونيساس». (الفهرست، ص ٤٠٨).

في تاريخ اليونان كان البيلوبونيسيون يعيشون في شبه جزيرة Peloponnesus في جنوب الأرخبيل، التي تعرف منذ القرون الوسطى باسم (المورة) Morea. وقد عقد حلف بين إسبرطة ودويلات يونانية أخرى أواخر القرن الخامس ق.م. ونشبت حرب بين هذا الحلف والدولة/المدينة (أثينا) استمرت نحو ثلاثين عامًا عرفت بالحرب البيلوبونيسية. (وفي خلط من الروايات والأحداث تربط الأسطورة بين «هرمس» و«بيلوس». وكان الأخير ابن «تانتالوس» Tanatalus الذي قتله وقدمه للآلهة طعامًا ليرى هل تفرق بين لحمه ولحم الحيوان. وقد اكتشفت الآلهة حقيقة الأمر وأعادت الابن المقتول إلى الحياة).

ورد في (كتاب الشِّعْرى) المنسوب زيفًا إلى «مانيثو» أن الملك المصري «أرمايوس» Armaeus (الذي يدعى كذلك «دوناس» Donaus) فرَّ من أخيه «رمسيس» Ramesses (المعروف أيضًا باسم «أيكبتوس» Agyptus) ولجأ من مصر إلى بلاد اليونان، وامتلك منطقة «أركوس» Argos، وسُمّي أعقابه الدوناويين Donaïdae الذين خَلَفهم في الملك البيلوبونسيون (Pelopidae) – نسبة إلى Pelops (لاحظ الصلة اللفظية بين Armaeus و«هرمس» Hermes). وقد لذَّ لأفلاطون في (محاورة أقراطيلوس) أن يشتق اسم «هرمس» من اليونانية Eremneus بمعنى: الترجمان. (بدوي؛ الإنسانية والوجودية، ص ١٦٤). (Waddell; p. 243).

(١٣٧) عند الرومان Aesculapius وعند اليونان Asclapieus وAsclepius. إله الطب، ورمزه الأفعى، ذو أصل شرقي قديم من طبقة المعبود «شمن». وتقول الأسطورة اليونانية إنه ابن أبولُو من المعبودة Coronis التي خانت زوجها فانتشل أبولو وهرمس الوليدَ من رحمها وهي في لهب النار التي أحرقاها بها جزاء خيانتها الزوجية. بينما تحكي أساطير أخرى روايات مختلفة عنه. وهو يبدو في الأصل أحد الأبطال، إنسانًا ألّه فيما بعد. ويربط في العادة بين إله الطب هذا وبين أولاده من مثل Hygieia (التي تجسد الصحة) وPergamene (لينابيع الاستشفاء). وقد اختلطت في معبده بدلفي الكهانة بالتطبيب، وانتسب إليه أطباء عرفوا باسم Asclepiadae. (Ox. Clas. Dict.). =

بالقرابين والدخنات في رءوس الأهلة والبروج والفصول والمنازل، ولهم في كل فصل عيدٌ، سبعة أيام، وأما (الهومية) فليس لهم في كلها شيء سوى التوسلات بقراءة الصحف والعبادة والصوم. ولهم عيدٌ في كل ثمانية وعشرين يومًا من ابتداء حلول الشمس برج الحمل إلى تمام الثمانية وعشرين يومًا، فيقربون فيه القرابين والدخنات وغير ذلك، ويقرون بوحدانية الباري تعالى، وأنه الموجد لكل شيء في الكائنات تبارك اسمه. وأما هذه الطائفة أيضًا فإنها لم تطلع أحدًا من الأمم على شيء من الأسرار الخفية والذخائر الهرمسية، بل كانوا يتداولونه بينهم جيلا جيلا إلى يومنا هذا.

وكانوا إذا وُلِد لهم مولود تأخذه أمه وتذهب به إلى كاهن من خُدَّام الهيكل الذي أُعِدَّ لامتحان المواليد، فتضع المولود على عتبة الهيكل ولا تتكلم أمه بكلام، فيأتي الكاهن في يده طاسة من الذهب ملآنة ماءً، وهو يقرأ عليه، ومعه ستة آخرون، ويرشه بذلك الماء، فإن تحرك المولود وقلب وجهه لوجه العتبة أخذه الكاهن بيده وأدخله إلى بيت سر داخل الهيكل، ويضعه على تابوت مهيأ لذلك، ويبدأون يقرأون ويهزجون ساعة.

ثم يأخذ الكاهن الرئيس منديلا من إبريسم أخضر للأنثى، وأحمر للذكر، فيضعه على وجه المولود، ويدخله في التابوت ويغلقه عليه، ثم يأخذ بيده عصًا مثلثة الرأس من فضة مجوهرة بالأحجار النفيسة، ويأتي أمه وأبوه وأقاربه يقفون بالخضوع والذكر وتلاوة التسابيح صامتين. ثم يضرب الكاهن التابوت بتلك العصا ثلاث مرات،

= في ذكر أول من تكلم في الطب عند ابن النديم يأتي «إسقلبيوس الأول» وبينه وبين «جالينوس» خمسة آلاف وخمسمائة وستون سنة (كذا). ثم «إسقلبيوس الثاني» أستاذ بقراط (رأس الأطباء) «وبقراط هو السابع من الثمانية الذين من إسقلبيوس الأول مخترع الطب على الولاء، وجالينوس الثامن» (الفهرست، ص ٣٩٨ - ٤٠٠). في (تاريخ مانيثو) بروايتي «أفريكانوس» و«يوسيبيوس» يورِد الفرعون «زوسر» (من الأسرة الثالثة) باعتباره يمثل «أسكولابيوس» اليوناني عند المصريين، لمهارته في الطب. أما رواية «سنكلُوس» فتقول إن «أمحتب» عاش في عهد «زوسر»، وبسبب مهارته الطبية اكتسب سمعة «أسكولابيوس» بين المصريين، وكان مبتدع البناء بالحجارة المنحوتة، كما اعتنى بالكتابة.

ومن المعروف أن بطليموس (فيلادلفوس) الذي عاصره «مانيثو» بنى معبدًا لأمحتب هذا، وقد صار مؤلهًا، في جزيرة فيلة. (Waddell; Manetho, pp. 41 - 45).

وينادي: «باسم الرب إلهك الذي كوَّنك وأنشأك بحكمته، انطق بسر طباعك الروحانية عن جميع حوادث حياتك، آمين آمين.. إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين». ثم يسجد الجميع سبع سجدات، ويرفعون رؤوسهم، فينطق المولود بالسلام والبركة، فيرد الرئيس عليه بالجواب، ثم يسأله: «ما اسمك؟ وما قربانك؟ وأي شيء تريد لقيام أودك وتدبير معيشتك؟ وأي ساعة حللت بهذه البنية الشريفة، والصورة الكريمة؟ وهل أنت مقيم كأقرانك أم ضيف راحل؟ أسألك بحق الله الحي القيوم الأبدي الأزلي، الذي له ما يُرَى وما لا يُرَى، رب الأرضين والسماوات العُلى، أن تجيبنا وتعاهدنا على ميثاقنا وأَيْماننا، إن بقيت في عالم الكون والفساد، ألا تظهِر أسرارنا لغير جنسنا».

فيجيبه المولود باسمه الحقيقي الذي سُطِّر له في لوح الأزل من المبدأ الأول، وهل هو من أرباب الحكمة والعلوم، أو ممن اختار من الصنائع والحِرف والفنون، أو كأحد منهم؟ فينطق لهم بجميع ما أرادوا وطلبوا، وهم يسمعونه في الجواب، ويثبته عنده الكاهن منقوشًا في لوح من حجر الكدان، ويعلقه في الهيكل، ثم يدعو له، ويفتح باب التابوت ويهزجون له بدخنته، ويذبحون له قربانه إن كان طيراً أو حيوانًا، ويحرقون دمه ويطهرون الجسد، ثم يلفونه في إزار أبيض لطيف، مائة وعشرين راقًا[١٣٨] للذكر، وستين راقًا للأنثى، ويجعلونه في إناء فخار، ويضعونه في بئر القربان. ولهم في هذا أمور تدل على أسرار خفية لم يدركها أحد سواهم. وهذا التابوت كالصندوق الصغير على قدر المولود، من خشب الزيتون مرصع بالذهب والجواهر. وإذا لم يظهر من المولود هذا السر العظيم، لم يدخلوه ولم يقبلوه، ويقولون: هذا لا يؤتمن على أسرارنا وخفايا أمورنا. وربما يخرجونه من بين أظهرهم، ويقولون: إن هذا المولود مشترك فيه أو مولود سوء، فإذا كبر المولود وأراد الخروج من ملتهم فإنه يموت إلى ثلاثة أيام[١٣٩].

---

(١٣٨) الراق: الطبقة. جمعها: راقات = طبقات.

(١٣٩) في وصفه لمذاهب الحرنانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة أو الصابئين يقول ابن النديم:

«وقع إليَّ جزء قد نقله بعض النقلة من كتبهم، ويحتوي على أسرارهم الخمسة. فأما أول السر الأول فسقط منه ورقة، وآخر كلمات فيه هذه الكلمات بلفظ الناقل: كالخروف في القطيع والعجل في البقر. وكحداثة الرجال المعزمين الرعفانين الأقربائين المرسلين إلى بيت البغداريين. ربنا القاهر ونحن نسره. =

= وأول السر الثاني، وهو سر الأبالسة والأوثان، فمن كلامهم يقول الكاهن لأحد الغلمان: أليس الذي أعطيتني قد أعطيته؟ وما سلمت إلي منه قد سلمته؟ فيجيب فيقول: للكلاب والغربان والنمل. فيجيب قائلا له: وما الذي يجب علينا للكلاب والغربان والنمل؟ فيجيب قائلا: يا كمراه! إنهم إخواننا، والرب القاهر، ونحن نسره.

وآخر السر الثاني أيضًا، كالخراف في الغنم والعجاجيل في البقر، ومثل حداثة الرجال الرعن الأفراريين الداخلين في بيت البوغداريين، بيت القاهر، ونحن نسره».

وأول السر الثالث: ويقول أيضًا: أنتم بنو البوغداريين، أي القول والنظر، فيجيب من اتفق ويقول من خلفه: نحن ناصتون!

وآخر السر الثالث: وقد يتظهر مثل الخراف والغنم والعجاجيل في قطيع البقر، ومثل حداثة الرجال يترددون إلى بيت البوغداريين، ربنا القاهر، ونحن نسره.

وأول السر الرابع: يقول الكاهن من بعد ذلك: يا بني البوغداريين! كونوا سامعين! فيجيب من خلفه من اتفق قائلا: نحن ناصتون! فينادي: كونوا ناصتين! فيجيبون قائلين: نحن سامعون!

وآخر السر الرابع: المترددين إلى بيت البغداريين، ربنا القاهر، ونحن نسره».

وأول السر الخامس، يقول الكاهن: يا بني البوغداريين! كونوا سامعين! فيجيبون قائلين: نحن راضيون. فيقول: كونوا ناصتين! فيجيبون أيضًا قائلين: نحن سامعون! فيبتدئ قائلا: واي! فإني قائل ما أعلم، وما أقصر عنه.

وآخر الخامس: المتوجهين إلى بيت البوغداريين، ربنا القاهر، ونحن نسره.

ويعلق ابن النديم: «قال محمد بن إسحاق (يعني نفسه): الناقل لهذه الأسرار الخمسة كان عفطيًّا غير فصيح بالعربية، أو أراد [من] نقلها على هذا التقبيح والرداءة الصدق عنهم والتحري لألفاظهم، فتركها على حالها في بُعد الائتلاف وتقطع الكلام». (الفهرست، ص ٤٥٤ - ٤٥٦).

قارن ما يورده ابن النديم من «وصف مذاهب الحرنانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة ومذاهب الثنوية الكلدانيين» في (الفن الأول من المقالة السابعة) من كتاب (الفهرست، ص ٤٤٢ - ٤٥٦) حيث يفصل طقوسهم وعباداتهم ومعتقداتهم.. إلخ. وهو ينقل من خط أحمد بن الخطيب في أمرهم حكاية عن الكندي. فقد ذكر أن من أوائلهم المشهورين: أغاثاذيمون وهرمس، وبعضهم يذكر سولون جد أفلاطون الفيلسوف لأمه، وأنهم يذبحون للكواكب ويقول بعضهم إنه إذا قرب باسم الباري كانت دلالة القربان رديئة، والذي يذبح للقربان الذكور من البقر والضأن والمعز، وللقرابين أوقات معينة. وأورد ابن النديم نقلا عن أبي يوسف إيشع القطيعي النصراني في كتابه في (الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة): =

ولهم أيضًا سر آخر من أعظم أسرارهم؛ فإذا كان يوم عيدهم يأخذون سبعة ثيران، وسبعة حملان، ويطعمونها النبات المعروف بـ (حشيشة الزهرة) و(تاج الملوك) ويسمونه بلسانهم (شيكرك)[١٤٠]، فيعلفونها بها سبعة أيام، ويسقونها من الماء

= «قال الرجل المقدم ذكره بأن رأس إنسان صورته عطاردية، على ما يعتقدونه في صور الكواكب، يؤخذ ذلك الإنسان إذا وجد على الصورة التي يزعمون أنها عطاردية بحيلة وغيلة فيفعل به أشياء كثيرة منها: يقعد في الزيت والبورق مدة طويلة حتى تسترخي مفاصله، وتصير في حال إذا جذب رأسه انجذب من غير ذبح فيما أرى، ولذلك يقال: فلان في الزيت - مثل قديم. هذا إذا كان في شدة. يفعلون ذلك في كل سنة إذا كان عطارد في شرفه. ويزعمون أن نفس ذلك الإنسان تتردد من عطارد إلى هذا الرأس، وينطق على لسانه، ويخبر بما يحدث، ويجيب عما يسأل عنه؛ لأنهم زعموا أن طبيعة الإنسان أليق وأشبه بطبيعة عطارد من سائر الحيوان، وأقرب إليه بالنطق والتمييز، وغير ذلك مما يعتقدونه فيه. فتعظيمهم لهذا الرأس وحيلتهم فيه وما يعملونه قبل أخذه عن الجثة، وبعد ذلك، وما يتخذونه من جثته أيضًا بعد أخذ الرأس عنها، طويل مثبت في كتاب لهم يلقب بالكتاب (الحاتقي) لهم فيه عجائب من النيرنجات ورُقًى وعقد وصور وتعليقات من أعضاء حيوان مختلفة الأجناس، مثل خنزير وحمار وغراب وغير ذلك، وتدخينات وتماثيل حيوانات تنقش على فصوص الخواتيم، تصلح بزعمهم لفنون، وشاهدت أكثرها منقوشًا على فصوص خواتيمهم إلى هذه الغاية، وسألتهم عنها فزعموا أنهم يصيبونها في قبور موتاهم القديمة يتبركون بها» (٤٤٦ - ٤٤٧).

(١٤٠) قارن نبات «الشيكوريا». من اللاتينية Cic(h)orea (الفرنسية القديمة cichoree والحديثة chicoree. الإنكليزية chicory وsuccory) عن اليونانية kikhorion. نبات ذو زهر أزرق، تؤكل أوراقه وجذوره، وتستعمل مع القهوة أو بديلا عنها.

ولم أعثر على ذكر للشيكوريا في (معجم المصطلحات العلمية والفنية) ولا في (المصطلح الأعجمي) أو في (ملحق دوزي على المعاجم العربية).

وقد يكون هو ذاته «الشوكران»، وهو نبات مخدِّر يؤدي إلى الموت إذا أكثر من تناوله. وقد حُكم على الفيلسوف سقراط أن يتجرع نقيعه سمًّا ليموت به. وهو في اليونانية kikhoreia على صلة بالمصرية القديمة kiki وcici حسب معجم اللاتينية الاشتقاقي. وفي اللاتينية ci-cur- وcicuris = مدجَّن، مستأنس، مهدأ (= مخدَّر) - على صلة بالسنسكريتية cacurah بذات الدلالة (قارن «شيكرك»). ومن هنا جاء اسم العلم «شيشرون» (ينطق كذلك «كيكرون») Ciciron (الخطيب الروماني الشهير) وCicurinus (اليونانية kikhorinos). (Ernout et Meillet, p. 119).

الطهـور. هذا فـإذا كـان يوم الأسـبـوع يكللون تيـجـانهم بـالذهب وأنـواع الجـواهر، ويجعلونـهـا مـربوطـة بسلاسل الذهب، ويبـدأ الكهنة يصلـون ويسـبـحـون ويقـرأون في الهيكل الكبيـر الجامع، والناس في مـراتبـهـم سـاجـدون لله خـاشـعين. ثـم يتـقـدم رئيس المذبح للقـرابين، ويشير بالعصا المثلثة للثيران والحملان، فتتحلل قيودها من غيـر فعل فاعل، وتتقدم للذبح، وتمد أعناقها بإرادتها، فيذبحها الرئيس، ويأخذ الرؤوس يجعلها على تابوت السـر، ويقـربون الأجسـام محـرقة بأنواع الطيب، كالعود والعنبـر والمسك والكافـور واللبـان والاصطراك، ويقـومـون للصـلاة الكبـرى، وقد لبس كل ذي زي زيه، وهم يقرأون الصحف. ثم يخرون ساجدين ساعة، ويرفعون رؤوسهم، فحينئذ يبتدئ أول رأس من الحيوانات المذبوحة يتكلم بجميع الحوادث التي تقع في ذلك، ثم الثاني، ثم الثالث، هكذا حتى يتمّوا، فيثبت الكاهن جميع ما يسمعه، ويستعدون لوقوعها.

وهكذا لهم أمور لا يعـرف حـقـيـقـتـهـا غـيـرهم، وكل هـذه الأشـيـاء تدل على شـدة كتمانهم لخفايا أسرارهم، ويقولون: هكذا أمرنا أبونا آدم وشيث وهرمس، أي إدريس المثلث بالنعمة[١٤١]، عليهم السلام، ولهم أمور أخرى لا يسع كتابنا هذا ذكرها لئلا نخرج عن مقصودنا.

وأما الطائفة الثالثة وهم (الإشراقيون)[١٤٢]، أولاد أخت (هرمس المثلث) المسمى باللغة اليونانية (طريسيجيسطموس ثوورسليوس)[١٤٣]، فاختلطت أنسابهم ببعض الأغـراب؛ فعرف بعض الناس اصطلاحاتهم، وفَكَّ رموزهم. وصل إلينا جملة من علومهم وفضائلهم وغيرها.

---

(١٤١) كذا. ولعل «النعمة» تصحيف «العظمة».

(١٤٢) نسبة إلى الإشراق الذي هو ظهور الأنوار العقلية ولمعانها وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجردها. والمعرفة الإشراقية تقوم على الحدس الذي يربط الذات العارفة بالجواهر النورانية وتسمى بالعلم الحضوري، أي حصول العلم بالشيء بدون حصول صورته في الذهن (المعجم الفلسفي).

(١٤٣) هكذا. والأصوب: (تريسميجستوس ثيوسيوس) Trismegistus Theoseus. أي: المثلث العظمة الرباني، أو: الإلهي، المقدس.

وأما الطائفة الرابعة فهم (المشاءون)[144] الذين هم أولاد الأغراب المختلطين بنسل الهرامسة، وهم الذين ابتدأوا بعبادة أصنام الصور النجومية، وتركوا عبادة إله الإلهية، جلّ جلاله، ولا إله غيره. ومن هنا تفرقوا. فالذي وصل إلينا من هاتين الطائفتين، أي (الإشراقية) و(المشائية)، فافهم ما يرد إليك من الأسرار وكنوز الذخائر القديمة الهرمسية، التي لم يسمع بمثلها، وما أحد يسمح بكشفها، وما حصلت هذه الأشياء إلا بكَد، ومالٍ عظيم، وزمان طويل، وأسفار مديدة. فعليك - أيها الواصل إلى هذه الكنوز - بحفظها وكتمها وصونها بغاية الجهد والإخفاء، ولا توقف عليها إلا الحكماء العارفين، والعلماء الواصلين. وقد حان لنا أن نشرع في المقصود الذي وعدنا بذكره في هذه المرتبة إن شاء الله تعالى.

في ذكر الأشكال النباتية.. فافهم!

شجر . كرم . نخل . شجر مثمر . شجر بلا ثمر

نبات . نبات تمنشي . بقل . عشب

نبات قاتل . نبات ترياقي . شجرة الزيتون . شجرة السدر . شجرة الخطمي

---

(١٤٤) ينسب ابن سينا في (النجاة) ما يدعوه «الحكمة المشائية» إلى أرسطو الذي يلقبه في (الإشارات) بلقب «صاحب المشائين». وفي تاريخ الفلسفة اليونانية يعرف المشاؤون بأنهم أتباع أرسطو، لقبوا بذلك - كما يقال - لأنهم كانوا يتدارسون المشكلات الفلسفية وهم يتمشون في «اللوكيون» (المدرسة) التي أنشأها أستاذهم.



شعير قمح ورق زهر أصل
ورد بزر أثل يبروح سرو
جوذ فاكهة ثمر خوخ عنب
رمان سفرجل رياحين ريحان سنبل
اكليل الملك قرنفل عودهندي هند باحي عالم
عدس دهن النبات دارصيني عودالبرق بادزهر
بلسان ترياق دواء مركب حار
بارد رطب يابس لطيف كثيف



حلو مر حامض محلل مقطع
جلاء مقوّ منق جيد معتدل
حريف مجفف تقطير تصعيد تنكيس
حل تعفين تكليس سحق دق
نخل مزج دهن تصفية غلي
عقد سقي ملح ملح نباتي ماء النبات
دهن الزيتون خل عصارة طرفاء تفاح
كسبرة سمسم درونج عسل نحل صبر
مر زعفران سندروس ماميتا صمغ
توت تين سباذج اجاص اصطرك

لبان غالية مسك عنبر لادن

زفت سنط من حسك مومياء

مرزنجوش غار غاريقون سذاب نفرمر

بصل كتان قطن حرير ضومران

غافت سكر شيكران خولنجان بابونج

قنطريون سعد مازريون

تمت الأشكال النباتية التي اطلعنا عليها في كتب القوم، وقد آن لنا أن نذكر **الأشكال المعدنية** إن شاء الله تعالى، وهذه الأشكال كلها مضبوطة محررة كما رأيناه.

المرتبة الثالثة: في ذكر صور الأشكال المعدنية التي اصطلح عليها الهرامسة الإشراقية والمشائية، وقد ذكرها (دوشام) الكاهن في كتابه الذي وضعه في خواص النبات والأحجار المعدنية، وجعله خاصًا مكتوبًا بهذا القلم، فاعلم ذلك واكتمه فإنه من الأسرار المخزونة:



معدن ذهب فضة حجر جوهر
حجرالسم زيبق مها نحاس مغنيسيا
مرقشيتا مرقشيتا نحاسي طلق توتية
ذهبي
اسرنج ماء معدني أنتيمون أسرب مغناطيس
رهج حديد جوهرالحديد بورق
طين طين محرق كلس رماد
اسفيداج صلب برماهن حديدمكلس قلي
باروق شب نطرون زنجار بوريطش
طلق طرطير قصدير بلخش فيروزج


زاج بورق تنكار جزع ياقوت
لازورد زمرد كدان عقيق مرجان
نورة نوشادر فحم زرنيخ زرنيخ أحمر
طين أحمر طين أبيض رهج اصفر زجاج حجر جبسين حجر اخضر
كبريت صخر حجر أصفر خماهان زبرجد
يشم دهنج سنبادج صوان شاذنة
حجر الحية قير ألماس مجمرة سلسله حديد
حجر شفاف قطع الحجر حل الحجر حك الحجر نقش الحجر
حجر السبج شنج حلزون حجر هندي حجر الرحا



تمت الأشكال الهرمسية التي وجدناها واطلعنا عليها، والتي لم تُعرف حقيقتها ما ذكرناها، وربما يجعلون للشكل الواحد معنيين أو ثلاثة فأكثر بحسب الاصطلاح؛ لأن كل طائفة منهم لها علامة في كل شيء وبها تميزوا عن غير أبناء جنسهم، فلا يختلط معهم غيرهم، والله الموفق إلى الخير. تــمَّ.

الخاتمة الفريدة

في ذكر أقلام ادّعت طائفة، من قوم النبط والكلدانيين والصابئة، أنها كانت تستعمل قبل الطوفان

فأولها (قلم شيشيم)[١٤٥] الذي كتب به الصحف على طين الحكمة، وأحرقه بالنار فصار فخاراً وهو هذا القلم المبارك كما تراه، وصفته:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن ذ س ع ف

ص ق ر ش ت ث خ ذ ض

ظ غ

---

(١٤٥) لا يستبعد أن تكون «شيشيم» مشتقة من «شيم» بمعنى «الاسم الأعظم». أو مجرد «الاسم». في الأكادية «شُمُ» Shumu = اسم (Gelb, Glossary... p. 273). وفي الكنعانية: «ش م» = اسم. وقد تكون الشين الأولى في «شيشيم» (= ش ش م) هي شين التعدية في الأكادية في حالة المبني للمجهول (ش + ش م) أي: المُسَمّى - كما يعبر عن الله في دعوات بعض صوفية الإسلام بـ«هو» فيقولون: يا هو = يا الله! وقريب من هذا اسم «يَهْوَه» عند اليهود - ويرى بعض الباحثين أن أصله «يا هُوَ» - الذي حلَّ محل «إلوهيم»، تفادياً لذكر اسم المعبود. وفي مصر القديمة لم يكن يجوز تسمية الفرعون باسمه - باعتباره مؤلهاً - إذ يدعى «پ ر.ع أ» (=فرعون)، حرفياً: البيت العالي. تماماً كما كان يعبر عن السلطان العثماني بـ«الباب=

وهذا أيضًا قلم قديم تزعم فراعنة مصر أنه كان يستعمل قبل الطوفان، وكانوا يتبركون به، ويكتبون بهذا القلم كتب دعواتهم التي يقرأونها في هياكلهم قدام أصنامهم، وقد رأيت بأرض الصعيد نواويس وبرابي وأحجارًا مرقومة بهذا القلم، فيحتمل أن يكون ذلك صحيحًا كما ذكروه، وتبعت في ذلك رأي النبط والكلدانيين، وهذه صفة حروفه:

ا ب ت ث ج ح خ

د ذ ر ز س ش ص

ض ط ظ ع غ ف ق

ك ل م ن ه و ي لا

= العالي»، أو عن ملك بريطانيا (قصر بكنغهام) ورئيس فرنسا (قصر الإليزيه).. إلخ. و«شيشم» من الألقاب المقدسة عند الكنعانيين، ومنه اشتق اسم المعبود «أشمن» (أشمون) الذي كان في الأصل بعل، أي رب، مدينة صيدا وسيدها، وقد قرنه اليونان بمعبودهم «أسكلبيوس» الذي يشرف على الشفاء، ومن ثم فهو في نظرهم إله الطب - كما يرى «ليدبارسكي» Lidbarski في (Encyclopaedia of Religion & Ethics, IX, 892) - نقلا عن د. محمد بيومي مهران؛ المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٠، ص ٢١٣ - ٢١٤.

لكن ابن وحشية لا يلبث أن يورد (قلم شيشيم) بعد قليل وهو القلم «الذي تعلمه بالوحي من الله تعالى» مما يشير إلى أن المقصود بـ«شيشيم» اسم شخص، تمامًا كما هو الحال هنا، وهو «الذي كَتَبَ به الصحف على طين الحكمة، وأحرقه [يعني الطين] فصار فخّارًا».

في المصرية القديمة نجد «شسم» = الطين المستعمل في صنعة الفخار (بدج؛ المعجم، ص ٧٥٣) وتبدو الميم مزيدة على الجذر (شس) وتنقلب الشين المعجمة والسين المهملة مكانيًا =

وأما الأقلام التي اشتهرت بين الأمم الماضية، القديمة والحادثة، باتفاق آرائهم جميعًا، فإن الأقلام كانت ثلاثة أقلام، وهي: القلم السرياني القديم، المعبَّر عنه بالقلم الأول الإلهي الذي علمه الله تعالى لأبينا آدم، عليه السلام، ثم بعده: القلم السمائي، الذي نزلت به صحف شيت عليه السلام، ثم بعده: قلم إدريس[146]، الذي نزل به جبرائيل عليه السلام، وهذا رأي

= فنجد «سشاي» عالم. «سشوي» = حكيم. «سشو» = اسم رب المعرفة والكتابة والأدب. (ص ٦٩٨). وتزاد الميم فنجد: «سشم» = قائد، حاكم، موجه، مدبر (ص ٦٩٩).

في الأكادية تقابلنا بشينين معجمتين: «شَشُ» = يقرأ (معجم «وبر»). واسم الفاعل: «شَشُمْ» (=القارئ) بالتمييم الذي يكافئ التنوين في السبئية عند التعريف، وكان الأمر كذلك في العربية المُضَرية في رأي بعض الباحثين قبل تطور التعريف في الأخيرة إلى استعمال «ال» سابقة بدلا من التنوين لاحقًا.

(١٤٦) أربعة أسماء لشخصية واحدة: «تحت» المصري، و«هرمس» اليوناني، و«أخنوخ» التوراتي، و«إدريس» العربي الإسلامي. ويقول د. عبدالرحمن بدوي في الفصلة التي عقدها عن (صورة هرمس في الفكر العربي) في كتابه (الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، ص ١٦٥): «والنبي الذي وجد فيه المفكرون العرب ما يشبه هرمس هو إدريس. وهو، كما ورد في القرآن، لا يصوّر إلا بما صُوِّر به في التوراة من أنه كان ورعًا صالحًا وأن الله رفعه إليه وأنه كان صابرًا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٧). ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٥). لكننا نجد إلى جانب هذه الصورة القرآنية صورة أخرى في قصص الأنبياء لدى المؤرخين، فيذكر أن إدريس كان «أول من خط بالقلم، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وأول من نظر في علم النجوم والحساب» كما يقول الثعلبي في (عرائس المجالس). والقفطي في (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) يفيض في هذا المعنى وهو يتحدث عن إدريس على أنه هرمس فقال «وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل.. وهو أول من استخرج الحكمة وعلم النجوم، فإن الله عز وجل أفهمه سر الفلك وتركيبه ونقطة اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب».

ويروي وهب بن منبه في كتابه (التيجان) أن «أخنوخ» اسمه في التوراة عبراني وتفسيره بالعربي «إدريس»، وهو إدريس [النبي] عليه السلام. ثم يقول: وأخنوخ اسمه سرياني، وأنزل في التوراة أنه حي إلى موت جميع الخلق وموت الملائكة، فيذوق الموت حتمًا مقضيًا. وإنه =

= عاش ثلاثمائة وخمسةً وستين سنة ثم رفعه الله إلى السماء السابعة، فهو مع الملائكة. وقال الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. وقال بعض أهل العلم: ورفعناه مكانًا عليًّا أي أنه رفعه في النسب مكانًا عليًا، أن ليس بعد آدم وشيث نبي غيره (كذا) والله أعلم.

قال وهب: إدريس النبي أول من كتب بيده من أهل الدنيا، أنزل عليه الكتاب السرياني وعلّمه إياه جبريل. فأول ما أنزل الله تبارك وتعالى عليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ في صحيفة، وبعده في الصحفية مكتوب ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ إلى آخر الآية. ثم أنزل عليه (أبجد) إلى آخرها، فكتب وقرأ. (ص ٢٩ - ٣٠).

ويضيف د. بدوي متسائلا: لماذا لم يختر إلا إدريس، للمطابقة بينه وبين هرمس اليوناني. مع أنه كما صوره القرآن لا يطابقه؟ ويفترض أسبابًا اشتقاقية تعسفية مثل ما ورد في (عرائس المجالس) للثعلبي من أن إدريس «سمي إدريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث». أعني من هذا أن المؤرخين وجدوا أن اسم «إدريس» هو أقرب الأسماء - لغويًا واشتقاقيًا - إلى أن يتخذ للدلالة على من عني بالكتابة والدرس والصحف واللغة، وهو «هرمس». وعلى كل حال فإن الأمر في إدريس نفسه مختلف فيه أشد الاختلاف. فالمستشرق «نيلدكه» قال إنه من المحتمل أن يكون «أندريه». وقد ردَّ عليه المستشرق «هرتمن» قائلا إن «أندريه» هذا الذي رُفِع مكانًا عليًا ما هو إلا طباخ الإسكندر، وهو الطباخ الذي ظفر بالخلود! (انتهى كلام بدوي).

والسؤال الذي نطرحه نحن: ما دام المؤرخون العرب طابقوا ما بين «هرمس» اليوناني و«إدريس» القرآني في الصورة فلم لا ينبثق اسم «إدريس» من الصفة التي أطلقت على «هرمس» وهي «المثلث بالعظمة» Trismegistes. وهذه صفة مكونة من مقطعين: tris = ثلاثي، مثلث + megistes = عظمة. وكثيراً ما يكتفى في المصادر العربية بالمقطع الأول فيسمى هرمس «المثلث»، وهو يقابل اليونانية Tris (تْرِيس) التي صارت في العربية «إدريس» - بإبدال التاء دالا وإسباقها بالألف المهموزة المحركة كسراً، حتى لا يبدأ بساكن كما هي القاعدة في العربية (قارن مثلا كتابة اسم مدينة «طرابلس» في بعض المراجع العربية القديمة: أطرابلس - وهي في اللاتينية Tripolis. وكذلك اسم «أفلاطون» وأصله في اليونانية Platon.. إلخ).

هذا التفسير لاسم «إدريس» نقول به ولا ندري إن كنا نؤيد به من سبق وذهب هذا المذهب، أم نجد من يعاضدنا فيه ممن لحق.. والله أعلم!

الجمهور المتفق عليه من سائر الملوك والأديان، والدليل على صحة ذلك ما ذكره (خنوخا) في «الأسفار» التي ذكرها[147]، وحقق هذا الكلام أيضًا (أغاديمون) بقوله في (سِفر الحقايا): «مما يجب على أصحاب النواميس الإلهية أن يثبتوا أسرارهم بهذه الأقلام الثلاثة». فاستدللنا بقول هذا الفاضل على صحة هذا الكلام، ورسمنا شكل الأقلام على رأيه واعتماده، فافهم ترشد إلى الصواب.

صفة القلم السرياني على رأي القدماء من الحكماء على هذا الوضع والشكل، كما ترى.

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت

---

(١٤٧) يتحدث (قاموس الكتاب المقدس، ص ٣٢) عن «كتاب أخنوخ» باعتباره سفرًا من الأسفار غير القانونية في التراث العبراني، وأيضًا «نسخة أخنوخ الحبشية»، كما يسمى «أخنوخ الأول». والكتاب عبارة عن مجموعة من الأسفار اليهودية كتبت أصلا باللغة الآرامية على وجه الترجيح. وقد فقد الأصل الآرامي، ولكن وجدت أجزاء من هذا الكتاب في اللغة اليونانية، كما توجد نسخة حبشية ترجمت عن اليونانية التي كانت مترجمة بدورها عن الأصل الآرامي الذي يرجح أنه كتب ما بين سنوات ١٦٣ و٨٠ ق.م. والكتاب مليء بأخبار الرؤى عن المسيح المنتظر والدينونة الأخيرة وملكوت المجد. ويوجد لبعض الأقوال الخاصة بأواخر الأيام في (العهد الجديد) ما يقابلها في سفر أخنوخ، وقد اقتبس بعض الآباء في العصور النصرانية الأولى بعض أقوال هذا السفر، لكن قادة النصارى فيما بعد أنكروا هذا الكتاب ورفضوه، ولم يعتبر اليهود أو النصارى هذا الكتاب من ضمن الأسفار القانونية، المعترف بها. وتوجد نسخة سلافية لهذا الكتاب تختلف في محتوياتها عن النسخة الحبشية، وتسمى «أخنوخ الثاني» أو «كتاب أسرار أخنوخ» كتبت أصلا باليونانية في مدينة الإسكندرية في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وفقد الأصل اليوناني بينما بقيت الترجمة =

اعلم أن هذا الوضع على الرسم القديم، وأما في زماننا هذا فقد وضعوه على صورة أخرى يخالفها في بعض أشكال الحروف كما ترى، وهذه صفته[١٤٨].

ا ب ج د ه و ز ح

ط ي ك ل م ن س ف

ص ق ر ش ت

= السلافية، وهي تحتوي على رحلة أخنوخ في السماوات السبع، وما أوحي إليه فيها، كما تحتوي على تحذيرات أخنوخ لأبنائه. (المصدر نفسه، ص ٣٢ - ٣٣).

وينطبق هذا على «خنوخا» كما يورده ابن وحشية، ونحن نعرف أن اسم «أخنوخ» جاء في الترجمة العربية للتوراة في صورة «حنوك» مما يفسر الصيغة التي جاءت عند ابن وحشية (خنوخا).

وقد خُلط عند الكُتّاب الإسلاميين ما بين «إدريس» و«أخنوخ» الوارد ذكره في (سفر التكوين، الإصحاح: ٥) بسبب جملة تقول: «وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه» وقورنت بما قيل عن «إدريس» في القرآن الكريم: ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ - باعتبار أن الاثنين لم يموتا كبقية البشر بل رُفعا بأمر من الله.

لكن من الواضح أن ابن وحشية فرّق ما بين «إدريس» الذي جاء قلمه بعد قلم «شيث» وبين «أخنوخ» (خنوخا) الذي استشهد به، مما يشير إلى إمكانية اطلاعه على (كتاب أخنوخ) بطريقة أو أخرى أو معرفته بوجوده على الأقل من مصدر من المصادر التي ذكرته.

(١٤٨) يبين هذان النمطان للقلم السرياني عن معرفة ابن وحشية لهذا القلم معرفة تامة، سواءً في شكله القديم أو في شكله الذي عاصره، وبمقارنة سريعة يمكننا ملاحظة الشبه الكبير بين الشكلين مع اختلافات قليلة في الرسم مما هو متوقع في أثناء تطور هذا القلم. وللقارئ أن يقارن كذلك بين ما رسمه ابن وحشية وبين صورتين حديثتين للقلم السرياني، إحداهما مأخوذة عن «بدج» (W. Budge; Egyptian Hieroglyphic Dictionary) والأخرى عن رمضان عبدالتواب (في قواعد الساميات) ويلاحظ الفروق الدقيقة بينهما (لاحظ أن رسم حرف العين في النمط الثاني عند ابن وحشية ساقط). ولكي يُرى مزيد من الفروق في تطور القلم السرياني (الآرامي) قارن شكل حروفه في نقش يرجع إلى القرن الخامس ق.م. عثر عليه في وادي الحمامات في مصر مرتب ترتيبًا أبجديًا (نقلا عن رمزي بعلبكي؛ الكتابة العربية والسامية، ص ٢٨٤) وكذلك أشكال هذه الحروف في القرن السادس والقرن الثامن الميلاديين (نفس المصدر، ص ١٦٨).

فهذا هو القلم الذي كتب على عهد آدم عليه السلام، وأما من قال إنه خلاف هذا. فهو زور وبهتان وتزييف، والله أعلم بالصواب.

صفة قلم (شيشيم)(١٤٩) الذي تعلمه بالوحي من الله تعالى، وهو أيضًا مختلف فيه

ا ي ق غ ب ك ر

ج ش د م ت ه ن

ث و س خ ز ل ع

ظ ص ذ ط ح ف

ض چ قاف نون مد پ كاف مايلة
مايلة غومة

ء هاهمزية جيم مد چزمع الزا زاعجمية
غومة مدغوم

(١٤٩) انظر (الخاتمة الفريدة) في ما سبق. على أن الضمير في عبارة «الذي تعلمه بالوحي» قد يوحي بأن «شيشيم» اسم علم، اللهم إلا إذا افترضنا حذف اسم العلم الذي يعود إليه ضمير المفرد الغائب في «تعلمه» أو سقوطه في الأصل أو في النسخة.

على أربع روايات، فالأول منها على رأي الهرامسة، والثاني على رأي النبط، والثالث على رأي الصابئة، والرابع على رأي الكلدانية.

وهؤلاء هم الأمم القديمة التي أخذت عنهم سائر الأمم الحادثة بعدهم إلى يومنا هذا، وهذه صفته **على رأي الهرامسة**(١٥٠).

---

(١٥٠) هذه أربعة أقلام يدعى كلٌّ منها قلم «شيشيم» الذي كان «قبل الطوفان»، أولها على رأي الهرامسة، وثانيها على رأي النبط، وثالثها على رأي الصابئة، ورابعها على رأي الكلدانية.

والذي يهمنا هنا القلم الأول (قلم الهرامسة) وهو الذي يمثل بحق الرموز الهيروغليفية المصرية سواء كانت رموزاً هجائية، أعني «حروفًا»، أو تصويرية مقطعية، أو تصويرية كاملة (Ideograms, Logograms) مما سيتضح بعدُ. وقبل بدء مناقشة الأمر نورد الملاحظات التالية عما بين أيدينا:

أ - يذكر ابن وحشية أن عدد هذه «الحروف» ثمانية وثلاثون حرفًا. وقد سقط من كيفية قراءتها «حسب لسانهم» اسم حرف النون الموجود رمزه في أقصى يسار السطر الثاني، إما من الأصل أو من نشرة (همّر) التي نستند إليها. ومن جهة أخرى نلاحظ في قائمة تسميات هذه (الحروف) اسم «ظيمب» لحرف (الظاء الزايية) - أي «المشالة» - التي تذكر في بداية السطر الأخير، غير أن رمزها ساقط كذلك، عوضناه بعلامة [؟] وهو موجود في مخطوطة باريس (انظر الملحق).

ب - نلاحظ أن (الحروف) العشرة الأخيرة يعدها ابن وحشية «حروفًا لا توجد في اللسان العربي والعجمي إلا أن يكون علمًا بلسانهم واصطلاحهم». هي: ج، قاف مائلة، نون مدغومة، پ، كاف مائلة، ظاء زايية، هاء همزية، جيم مدغومة، جز مع الزاي مدغوم، زاي عجمية. وتسمياتها على التوالي: جل، قم، نيثم، بب، كأل، ظيمب، هاءم، جيلت، جزز، زايغ.

وإذا كان من الصواب القول بأن هذه الحروف لا توجد في (اللسان العربي) فإن هذا لا يعني انعدامها في (اللسان العجمي) ويمكننا مقابلة الحرف (ج) بما في الفارسية (چ). ولعل المقصود بـ(القاف المائلة) القاف المعقودة. أما (النون المدغومة) فتشبه ما في الإسبانية Ñ. وحرف (پ) موجود في الفارسية وهو في اللاتينية، وما انبثق عنها من لغات، حرف (P) ويسمى «الباء المهموسة» كما أنه موجود في الأكادية والمصرية القديمة. وقد يكون المعني بـ(الكاف المائلة) كاف الكشكشة. وتبدو (الظاء الزايية) وكأنها نطق الأعاجم لحرف الظاء العربي. وتشبه (الهاء الهمزية) كونها الهاء التي تنطق همزة ثقيلة في اليونانية (في مثل =

= Hermes = Ermes) ولا يفهم وصف (الجيم المدغومة) إلا أن نقارنها بنطق الجيم في لهجة عرب الخليج نطقًا يجعلها أقرب إلى الياء، أو الألمان لحرف (J). أما (جز) ولعل المقصود به الجيم مدغومًا مع الزاي، وهو نطق أهل طرابلس لحرف الجيم. وأخيرًا، هناك (الزاي العجمية) وتشبه الزاي الأمازيغية التي تنطق قريبة من الصاد ويرمز إليها بالحرف (زْ) وعند ابن خلدون تكتب صادًا داخلها زاي.

جـ - لا نعلم مدى صحة تسميات هذه (الحروف) من عدمها؛ إذ لا توجد في أي مصدر آخر، فيما نعلم. ولكن الجدير بالملاحظة أن هذه هي المرة الوحيدة التي جاء فيها ابن وحشية بأسماء حروف أي قلم من الأقلام. كما نلاحظ كذلك أن كل اسم حرف من هذه الأسماء يبدأ بالمقطع الذي هو نطقه (أ: أيهوم. ي: يورق. ق: قاا. غ: غيوا. ب: بيدم.. إلخ). وهذا هو الحال في تسمية الحروف في مختلف اللغات.

د - يقرر ابن وحشية نفسه أن ترتيب هذه (الحروف) «بخلاف قاعدة (أبجد) وغيرها [يعني: ألف باء تاء] بل مرتبتهم على حسب نطق لسانهم على هيئة ما وضعوه». وهذه ملاحظة مهمة تتفق مع ما نعرفه من أن ترتيب الحروف السنسكريتية (الهندية) يخالف الترتيب الأبجدي والألفبائي، وكذلك الحال في ما اتفق عليه في الرموز (الحروف) الهيروغليفية المصرية.

ولعل هذه الملاحظة التي أوردها ابن وحشية تشير إلى أنه كان ينقل عن مصدر آخر لم يذكره في حينه، وإن كان قد ذكر في ديباجة (الباب الثامن) عند حديثه عن (أقلام الهرامسة) أنهم «وضعوها على هيئة الرسم والمثال... فلذلك لا تعدُّ كثرة ولا تحصى، مثل أقلام بلاد الهند والصين، فإن لهم أقلامًا ليست كترتيبنا على حرف (ألف باء).. إلخ.. فمن أراد أن يطّلع على حقائق فن الأقلام فليراجع كتاب (حل الرموز ومفاتيح الكنوز) لجابر بن حيان الصوفي، فإنه استوفى ما يلزم هذه الصناعة من اللوازم تفصيلا وإجمالا».

ولا نعثر في المراجع التي تحدثت عن آثار جابر ومؤلفاته الكثيرة على مؤلف أو رسالة له بهذا الاسم. أتراه كتابًا مفقودًا منذ أيام ابن النديم الذي عدد مؤلفات جابر في «الفهرست»؟ أم تراه من المنسوب إليه وليس له؟ أم أن ابن وحشية ادَّعى وجوده؟ ويبدو الافتراض الأخير ضعيفًا لأن ابن وحشية لم يورد هذا الكتاب مقتبسًا منه أو مستشهدًا به وإنما ذكره في موطن الإشارة العابرة إرشادًا للقارئ الذي يرغب في الاستزادة عن حقائق فن الأقلام.

وأما كيفية قراءته بقاعدة اصطلاحهم [فهي]: أيهوم. يوروق. قا ا. غيوا. بيدم. كاغج. رون. جبهوم. شاء. دنز. مايب. تنرس. هين. ثاند. وادود. سبرم. خيورى. زيد. لوغف. عي. ظيوم. صيقام. ذلب. طقر. حيست. فيست. ضمنز. جل. قم. نيثم. بب. كأل. ظيمب. هاءم. جيلت. جزز. زايغ[١٥١].

فهذه جملة حروفه وعدتها ثمانية وثلاثون حرفًا؛ لأن فيها حروفًا لا توجد في اللسان العربي والعجمي إلا أن يكون علمًا بلسانهم واصطلاحهم، وهو أيضًا بخلاف قاعدة (أبجد) وغيرها، بل مرتبتهم على حسب نطق لسانهم على هيئة ما وضعوه، فافهم ترشد.

وأما **قاعدة النبط**؛ فإنهم قوم أكثر ما يعتمدون عليه في أشكال الحروف على صور الحيوان[١٥٢]، ويرتبونها بحسب الوضع الطبيعي، ويقولون: إن كل شكل صورة تدل على أسرار ما خفي من بواطنها. مثال ذلك: إذا أرادوا أن يصفوا ملكًا شجاعًا ذا هيبة ومكر وبخل، يجعلون صورة إنسان رأسه كرأس أسد، وبين يديه ذئب يشير إليه بإصبع واحد. وإن أرادوا وصفه بالعقل والذكاء والفطنة والحكمة، جعلوا صورة إنسان رأسه كرأس الفيل، وهو يشير بإصبعه إلى قرد جالس. وإن أرادوا وصفه بالعدل والكرم والجود، جعلوا صورة إنسان رأسه كرأس طائر باسط يديه، وبين يديه صورة برج الميزان، وصورة الشمس والقمر، وإن أرادوا وصفه بالظلم والجهل وعدم السياسة والديانة، جعلوا صورة إنسان رأسه كرأس كلب أو خنزير أو حمار، وبين يديه آنية فيها نار، وصورة سيف أو فأس. وإذا أرادوا وصف إنسان بالسقم والضعف والمرض، يجعلون صورة نصف إنسان، ومن خلفه هذه الأشكال:

---

(١٥١) انظر مقابلتنا رموز هذه الحروف مع قائمة (غاردنر) في الملحق (١).

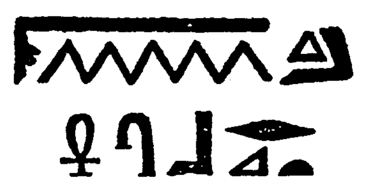
(١٥٢) الجسد الإنساني برأس حيوان من الحيوانات هو التعبير المصري القديم عن مجموعة الآلهة الكثيرة التي يضمها (المجمع اللاهوتي) بأشكال متنوعة. وكان لكل معبود رمزه الحيواني. فنجد أن «إمن» (أمون) يمثله الكبش، و«حر» (حورس) الصقر، و«سبك» له التمساح، و«خبر» يجسده الجُعل، و«موت» العقاب، و«تحوت» القرد وطائر أبي قردان، و«حتحور» البقرة، و«بست» الهِرة، و«سف» الأفعى، و«ست» ابن آوي، و«سرقت» العقرب، و«أبيب» الثعبان، و«سخت» اللبؤة.. إلخ.

ثم يرسمون من قدامه صورة صنم زحل أو شكله مع هذه الأشكال :

وإذا أرادوا وصف إنسان مات بالقتل، يصورون صورة إنسان رأسه كرأس خفاش، أو كرأس بوم، ويجعلون خلفه صورة عقرب مع هذا الحرف ، وقدامه صورة شيطان مع هذه الأشكال :

وإذا أرادوا وصف إنسان مات مسمومًا، فإنهم يجعلون صورة إنسان رأسه كالسرطان، أو كرأس السلحفاة، وبين يديه آنية أو قدح من زجاج، مع هذه الأشكال :

وإذا أرادوا وصف إنسان مات بالوباء، أو بالحمى المحرقة، أو بمرض من مفسدات الدم ومحرفات الأخلاط، يجعلون صورة إنسان جالس على كرسي، وبيده سهم، وفوق رأسه ثعبان ملتف على عنق كرسي، وقدامه هذه الأشكال :



وإذا أرادوا وصف إنسان بالجاه والعز وسعة الوقت وطيب الحال، فإنهم يجعلون صورة إنسان وفي يده كرة، أو صولجان، أو دائرة، وعلى رأسه تاج وقدامه عقاب ومن خلفه كلب. وهذه الأشكال مرسومة بدائرهم:

وإذا أرادوا وصف إنسان بالعقل والحكمة والديانة، وهو تام في كل أموره، ليس فيه ما يكره من جميع الوجوه، فإنهم يجعلون صورة إنسان حسن الوجه، وله جناحان على هيئة الملائكة، وبيده سفر يطالعه، وقد [امه] سيف وميزان، وخلفه إناءان أحدهما ملآن ماءً، والآخر ناراً متوقدة، وتحت رجله اليمنى كرة رسم عليها شكل السرطان، وتحت رجله اليسرى صورة إناء عميق، وفيه حيات وعقارب وأنواع الدبيب، وهو مغطى بغطاء رأسه كرأس العقاب. فانظر - يا ولدي - إلى هؤلاء القوم وما قد وضعوه من الرموز والأشكال التي لم يعرفها سواهم.

وقد رأيت في (بربا هرمس) صورة مجلس؛ وهو هيكل السيد (دواناي)[١٥٣] الذي خاطبه الشمس والقمر. وصورة ذلك أنهم وضعوا هيئة تابوت السر، قد نقش بأنواع الصور العجيبة والأشكال الغريبة، وصنعوا على التابوت كرماً قد نبتت وعرشت عليه، والسيد قائم فوق التابوت، وبيده عصاً قد نبتت في أسفلها شجرة خطمي، وهي ملتفة عليها، وخلفه صورة بئر تتقد بالنار، وأربعة من الملائكة يأخذون الحيات والعقارب وأنواع الحشرات فيلقونها في ذلك البئر والنار، وفوق رأسه تاج مكلل بالغار، وعلى يمينه الشمس، وعلى شماله القمر، وبيده خاتم فيه صور البروج

---

(١٥٣) هذه هي الصورة الكلدانية، أو الصابئية؛ فهرمس في رأي د. عبدالرحمن بدوي، وهو «هرمس الثاني»، ظهر في الألف الثالثة من بدء الخلق، بينما ظهر «هرمس الأول» في الألف الثانية، والألف الأولى كان فيها آدم (الإنسانية والوجودية، ص ١٧٥). وقد نشر د. بدوي نصاً عن «دواناي» في نفس المصدر (ص١٩٨) هذا هو: =

= «أسرار كلام هرمس المثلث بالحكمة، وهو هرمس الثاني المدعو نبي الكلدانيين ذواناي.
وتفسير ذواناي: مخلص البشر. فيقول:
إن الكلدانيين ذكروا أن هذا هرمس الثاني؛ كان اسمه ذواناي، وقد استعمل في تدبير نفسه وجسده ما صيره من الذكاء والعلم على الحال التي ليس وراءها لأحد من الناس غاية ولا نهاية.
وقالوا: لولا أن آدم الذي ظهر في أول الدور، دور الشمس، واستنبط للناس صنائع وعلومًا نافعة جدًا لما استحق تسميته: أبو البشر.
وقالوا إن كان هذا أحق بهذا الاسم، لكن كان ظهور آدم في بعض سنين الألف التي هي أول دور الشمس، وظهر ذواناي في الألف الثالثة من ألوف دور الشمس وهي التي يشارك الشمس فيها عطارد. وكان آدم - فيما ذكروا - نبيًا ملكًا عالمًا مستنبطًا مستخرجًا مبتدعًا لصنائع وعلوم كثيرة. وبين آدم وبين هرمس الأول ألف سنة، لأن هرمس الأول كان في الألف الثانية وذواناي كان في الألف الثالثة، وكان مستخرجًا لأسرار الفلك وكيفية أفعال الكواكب في العالم السفلي، ولم يكن نبيًا ولا ملكًا. واستحق آدم اسم: أبو البشر، واستحق ذواناي: المزيل عن البشر البلايا. وكان يخاطب: سيد البشر».
في (تاريخ مانيثو) بنقولاته المشوشة يتردد اسم «دناو» Danau(s) باعتباره اسمًا ثانيًا لـ «هرمس» (Armaeus, Hermais, Hermaeus) الذي فرَّ من أخيه «رمسيس» Ramessês (ويدعى أيضًا Aegyptus كما يدعى «ست» Sethôs كذلك) إلى بلاد اليونان. ومن الواضح أن هنا أثرًا من أسطورة الصراع المصرية بين «حورس» Horus و «ست» Seth، وقد خلط بين «حورس» (هورس) و«هرمس» في الروايات اليونانية. كما أن ثمة خلطًا بين «ست» المصري و«شيث» ولد آدم.
ومن جهة أخرى فإن الصورة التي يرسمها ابن وحشية لهيكل «السيد» دواناي كما يدعوه تذكرنا - رغم تهاويلها - بالمعبود «إتن»، إله الشمس الذي دعا إلى عبادته الفرعون «إخناتون». ويرى بعض الباحثين أن ثمة صلة لفظية بين «إتن» ويأتي «إدن» (معجم بدج، ص ١٠٣) و«أدن» (= السيِّد) عند الكنعانيين، و«أدوناي» عند العبرانيين، و«أدونيس» عند اليونان. انظر أنيس فريحة؛ دراسات في التاريخ - ص ٥٨. منشورات «جروس برس»، طرابلس، لبنان ١٩٩١م.

الاثني عشر، وقدام التابوت صورة شجرة الزيتون قد نبتت وعليها وتحتها أنواع الحيوان، وعلى بعد يسير صورة جبل عالٍ، وعليه سبعة منابر من ذهب، وفوقها صورة السماء، وقد مُدَّ منها يَدٌ وخرج منها النور، وهو يشير بإصبعه إلى شجرة الزيتون. وصورة إنسان رأسه في السماء ورجله في الأرض، قد غُلَّت يداه ورجلاه. وبين يدي السيد سبعة مجامر، وكندرتان، وإناء قد ملئ بشيء من النبات العطر، وقدرة طويلة العنق ملآنة بالاصطراك. والنهار بشكله تحت رجله اليمنى، والليل بشكله تحت رجله اليسرى، وقد وضع قدامه على كرسي عالٍ مصحف (الميدوم الأكبر)[154] وفيه صور

---

(١٥٤) من الصعب الجزم بماهية «الميدوم» هذا ومصحفه الذي وضع على كرسي عالٍ أمام «السيد» (دواناي) الذي نلمح صلته بالشمس والقمر اللذين «خاطباه». وقد نوثق هذه الصلة بما في المصرية القديمة (إدم) المبدلة الدال فيها من (إتم) التي هي ذاتها (تم) و(تمو)، وتطلق على الشمس عند غروبها، وتعني: الإله الكامل. عربيتها: «تامّ»، وعند التعريف: «التامُّ». وفي المصرية القديمة يكون التعريف بالمقطع «پا» (پا+إتم) = (پا إتم = التامّ). ومن السهل إبدال الباء المهموسة ميمًا، فنجد: «ما إدم». وهي التي قد تكون تحرفت بالتسهيل إلى «مدم» ثم صارت «ميدوم»، خاصة أن وصف «الأكبر» يتبعها، والشمس كانت أكبر الآلهة المصرية ومبدأ الوجود وسيد الكون كله.

وقد يذكرنا هذا بما ورد في (الفهرست، ص ٤٥٧) من حديث عن «التوم» وهو الملك «الذي جاء إلى «ماني» بالوحي، وهو بالنبطية ومعناه :«القرين». وتمكن مكافأته بالعربية «توأم».

غير أننا نعثر على «ميدوم» باعتبارها اسم موقع، شيد فيه الفرعون «سنفرو» هرمه المدرج (Budge; The Dwellers.., p. 6) وكان «سنفرو» أول فراعنة الأسرة الرابعة (٢٥٦١ - ٢٥٣٨ ق.م) وقد بني هرمه هذا، إلى جانب ثلاثة أهرام أخرى، كونت مجموعة شعائرية مهمة نشأت عليها مجموعات اجتماعية واقتصادية، فمدن الأهرام شيدت أساسًا لتكون بمثابة مؤسسات قانونية وتنظيمية (موسوعة الفراعنة، ص ١٦٧). ومن المعروف أنه كانت في مصر القديمة مواقع تسمى بأسماء الآلهة وتنسب إليها من مثل «بر إسر» (بيت أوزيريس) التي صارت تعرف باسم: «أبو صير» و«بر إمن» (بيت أمون) وهي الآن: برمون. و«بربست» (بيت بسّة/ الهرة) وهي: تل بسطة. وتحذف الراء من «بر» (بيت) فتصير في القبطية «بي» أو «بو». فنجد «بر إسر» صارت «بوبسيري» (أبو صير) وهكذا.. حتى نجد «بر إتم»، وهي اسم موقع في الدلتا الشرقية، صارت في القبطية «بيتوم» وفي اليونانية Patoumos'Arabias (بيتوم العربية؟)، وفي العبرية «بيتوم» Bètôm. (معجم بدج، ص ٩٨٥ - ٩٩٤) وهي التي أصبحت «ميدوم».

الأفلاك وأسماؤها، والكواكب والبروج والمنازل والدرج، وكل ما في الفَلَك الأعلى من الهيئات كلها، وحُقٌّ قد ملئ نصفه طيناً، ونصفه الآخر رملا، وسراج معلق يتقد دائماً، وشيء من التمر، ومن ثمر السدر والزيتون، في إناء من الزبرجد، خلف السفر، ولوح من كدّان أسود فيه سبعة أسطر، وصفة العناصر الأربعة، وإنسان حامل رجلا ميتاً، وكلب فوق أسد.

فانظر يا أخي إلى هذه الرموز التي هي مفاتيح خزائن الكنوز، وما قد احتوت عليه من أسرار وعلوم الأولين والآخرين، التي يَكِلُّ كل عارف عن معرفة جزئها فكيف كلها؟ وعلى هذا القياس لا يمكن الإحاطة بكلية أمورهم، وإنما وضعنا وذكرنا أموراً بحيث الحكيم العارف بهذي الأشياء وغاياتها، وعللها وحركاتها، وتنقلاتها وأدوارها، يدرك البعض بالبعض، فيتصل بمعرفته إلى خفايا أسرار العالم، وفي هذا القدر كفاية ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

وهذا صفة القلم الذي وعدنا كما تراه، وهو من جملة أقلامهم المكتومة:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ك ل م ن س ع ف ص ق

ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ

وهذا **صفة قلم الصابئة**، وهم أصحاب الرصودات والطلسمات والأسرار والنارنجات الخارقة. وذكر (أغاذيمون) أنه نقل العلوم الطلسمية عنه، ولم يسبقهم إلى ذلك أحد من المتقدمين والمتأخرين، فافهم ذلك. وهذا قلمهم:

ا ب ج د ه و ز

ح ط ي ك ل م ن س ع

ف ص ق ر ش ت ث خ

ذ ض ظ غ

وأما الكلدانيون فكانوا أعلم الناس في زمانهم بالعلوم والمعارف والحِكَم والصنايع، وكان الأكراد الأُوَل يريدون مناظرتهم ومماثلتهم، ولكن شتان ما بين الثرى والثريا، وإنما كانت براعة الأكراد الأُوَل في صناعة الفلاحة وخواص النبات، يدعون أنهم من أولاد (بينوشاد)[١٥٥]، وقد وصل إليهم (سفر الفلاحة) لآدم عليه السلام، و(سفر صفريث) و«سفر قوثامي). وعلى كل حال، إنهم يدعون معرفة الأسفار السبعة، ومصحف

---

(١٥٥) يبدو اسم (بينوشاد) أقرب ما يكون إلى الهندية «أوبانيشاد» Upanishad وتعني حرفيًا في السنسكريتية: الجلوس أسفل - كأنما المقصود هو القعود عند قدمي المعلم لتلقي إرشاداته. و«الأوبانيشاد» مجموعة من الفصول، تطول أو تقصر، تحوي مسائل وعظية تدور في شكل حوار شخصيات براهمية مع تلاميذها حول مسائل روحية ودينية متنوعة. وهي متعددة الصور والتآليف يحسب أن أقدمها تعود إلى الفترة ما بين القرنين الثامن والرابع ق.م. أضيفت إليها مجموعات أخرى حتى القرن الخامس عشر بعد الميلاد. =

(السيد دواناي)، ويدعون السحر والطلسم، وليس كذلك، بل ما وصلت لهم هذه العلوم والفنون إلا من الكلدانيين، وهم المقدمون عليهم فيها؛ ولذلك كانت عداوة باينة مستمرة بينهم، وهذا صفة قلم الكلدانيين القديم:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت

= ويذكر ابن وحشية هذه الأسماء الثلاثة في مقدمة كتاب (الفلاحة) الشهير له قائلا: «إن الكتاب الأصلي ألفه قبله بألوف السنين حكيم بابلي اسمه (قوثامي) نقلا عن كتب أقدم منه بكثير... وضعها (صفريت) [في الأصل: ضغريت] و«بينوشاد» [في الأصل: تيبوشاد]».

وهو ينقل عن صفريت في (كتاب النخل)... «قال صفريت [في الأصل: ضغريث]: يحسن بالغارس أن يتصف بهذه الخلال، وهي أن يكون بلغمي المزاج ومن عشاق البدر [كذا] تام الجسم لا عيب فيه ولا تشويه، ولا يجوز أن يغرس الفسيلة في اليوم الثاني من الهلال... إلخ». (انظر نشرة إبراهيم السامرائي لـ«كتاب النخل» ضمن: رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ. ص ٢٩٠، ٢٩٤).

وقد جاء اسم «ضغريت» في بعض نسخ كتاب (الفلاحة) المنسوب إلى ابن وحشية في مناقشات المستشرقين لهذا الكتاب، باعتباره المؤلف الأول له، ثم عقبه ينبوشاد (Janbuschad - حسب الدراسات الألمانية «الذي تعقَّب ضغريت وأضاف إلى كلامه أمورًا اكتشفها هو، وإن لم يصنف كتابًا بذاته في الفلاحة». ثم جاء «قثامي» (ويكتب الاسم كذلك: قوتامي، قوتعامي) «فصنَّف وصحح ما قالاه وقرأ ما رسماه وأضاف أمورًا مختلفة إلى ذلك اهتدى إليها». (انظر: فؤاد سزكين؛ تاريخ التراث العربي - ترجمة عبدالله ابن عبدالله حجازي، المجلد الرابع - السيمياء والكيمياء، النبات والفلاحة، ص ٤٧٨ - ٤٩٢).

صفة قلم آخر من أقلام الكلدانيين:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م س ع ف ص ق

ر ش ت

صفة قلم آخر من الأقلام القديمة، وفيه حروف زائدة عن القواعد الحرفية[١٥٦]، تَدَّعي الأكراد وتزعم أنه القلم الذي كتب به (بينوشاد) و(ماسي السوراتي)[١٥٧] جميع علومهما وفنونهما وكتبهما بهذا القلم. وهذه صورته كما ترى:

ا ب ج د ه و ز ح ط

ي ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ

ع پ چ

(١٥٦) ليس واضحًا ما هو المقصود بـ «الحروف الزائدة عن القواعد الحرفية» وهي الرموز السبعة =

= في السطر الأخير التي لم يوضح تحتها ما تمثله من حروف وإن كانت ليست من حروف (أبجد) وهو الترتيب المتبع هنا، علماً بأن ثمة حرفين زائدين عليه هما «ب» و«ج».

ويقول ابن وحشية: إن «باقي هذه الحروف ما وجدنا لها نطقًا ولا مثالا في لغة ولا قلم».
وهذا الاعتراف يشير إلى أنه كان ينقل عن مصدر آخر أغفل بدوره ذكر نطق هذه الحروف أو تبيان مثالها ولو بطريقة تقريبية.

أتراها تمثل درجات السلم الموسيقي السبع؟

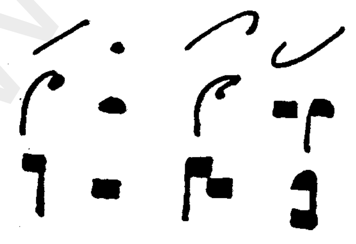
إن أمامنا سبع علامات نلمح في العلامة الأولى يسار السطر الأخير، والثانية من يمينه، كما في التي في وسطه والتي تليها يساراً، شبهاً بالعلامات الموسيقية في تطورها المستمر.

ومن المعروف أن اليونانيين القدماء استخدموا نظماً للترقيم الموسيقي (الذي عربناه بكلمة «نوطة» عن الإنكليزية notation ومنها: «التنويط») مؤسسة على الحروف الكنعانية.

أما نظام «التنويط» للموسيقا الأوروبية فقد انبثق بأكمله من علامات تلاوة القداس اليهودي وعلامات نبرات الصوت في النحو اليوناني، في بداية الأمر، وشيئًا فشيئًا استعملت علامات النبر هذه لألحان أناشيد القداس النصرانية باعتبارها إشارات مساعدة على حفظ تراث كان ينقل من جيل إلى جيل شفويًا على شكل موسيقا شعبية. ومنذ فترة مبكرة طلبت الكنيسة النصرانية أن تُعلَّم الألحان الصحيحة وأسلوب أدائها وتحفظ. ورغم أن التحسينات والزخرفات الموسيقية أدخلت على هذه الألحان فإنها لم تشجع، وظهرت الحاجة إلى مزيد من «التنويط» الدقيق.

كانت العلامات المذكورة سابقًا توضع فوق الكلمات ولم تكن تشير إلى مدى الصوت أو درجته من الارتفاع، فهي كانت مجرد أدوات تعبيرية مساعدة لذاكرات المغنين المدربين جيداً على غناء الأناشيد القداسية التراثية.

وقد تبدلت أشكال هذه العلامات تدريجيًا وزاد عددها، ورتبت طولا لكي تنقل صلات المدى (البعد) التقريبية بين الأنغام، ثم رتبت عرضاً، مع مفاتيح لها، لتبين المسافة الفعلية بين درجات الأصوات، متطورة على هذا الشكل: =



= وقد مرت بهذه العلامات، التي كانت في الأصل حروفًا، تطورات في الشكل والدلالة حتى صارت ما هي عليه اليوم. (انظر: دائرة المعارف البريطانية، مادة The Developement of Notation: Music).

ورغم هذا الخلط فإن ابن وحشية يؤكد أنه رأى في بغداد نحو ثلاثين كتابًا كانت في ناووس، كتبت به. وليس هذا فحسب بل هو يؤكد أيضًا أنه كان لديه بالشام منها كتابان كتبا بهذا القلم الذي هو «من الأقلام العجيبة والرسوم الغريبة» - أحدهما في (إفلاح الكرم والنخل) والآخر في (علل المياه). ويزيد على هذا أنه ترجم الكتابين «من لسان الأكراد إلى اللسان العربي».

وليس من الممكن البتُّ في صحة هذه الأقوال من عدمها. فلا ندري، مثلا، كيف تسنى له رؤية ثلاثين كتابًا في «ناووس» - وهو مقبرة النصاري - دفعة واحدة بهذا القلم، في بغداد، ثم يكون له كتابان سُطِرا به في الشام؟ فهل كان الكتابان من جملة الثلاثين كتابًا أخذهما معه؟ وماذا يعني وجود كتابين عن «فلاحة الكرم والنخل» وعن «علل المياه» في ذلك الناووس؟ وهل ثمة صلة بين الكتاب الأول والكتاب المشهور (الفلاحة النبطية) الذي تؤكد المصادر أن ابن وحشية ترجمه من النبطية وليس من الكردية؟

وقد نشر د. السامرائي فصلة صغيرة لابن وحشية بعنوان (كتاب النخل) عن نسخة خطية بخط العلامة محمود شكري الألوسي نقلها عن المخطوطة الوحيدة المحفوظة في خزانة المدينة المنورة المكتوبة سنة ثلاثمائة وأربع وعشرين هجرية (وهو تاريخ قريب جدًا من حياة ابن وحشية). وهو ذهب إلى أن (كتاب النخل) جزء من مادة (الفلاحة النبطية) كما نقل عن عادل أبو النصر قوله في نشرته لكتاب (الفلاحة) إن جماعة من الباحثين قالوا إن (كتاب النخل) ليس من وضع ابن وحشية بل هو من مخلفات أبي طالب الزيات (أحمد بن الحسين علي بن أحمد - تلميذ ابن وحشية) الذي نسبه إلى ابن وحشية أي إلى رجل قد مات وقت نشر التصنيف تخلصًا من ذم إخوانه المسلمين وتبرئة لنفسه من تهمة النفاق والافتراء (رسائل ونصوص... ص٢٩٠).

ولسنا نرى في (كتاب النخل) ما يوجب التخلص من الذم ولا التبرئة من تهمة النفاق والافتراء حتى ينسب ابن الزيات هذا إلى رجل قد مات. زد على هذا تقرير ابن وحشية ذاته هنا أن هذا الكتاب (إفلاح الكرم والنخل) ترجمه عن الكردية ولم يصنفه هو تصنيفًا. ومن الواضح أن د. السامرائي لم يطلع على ما ذكر هنا فحسب أن (كتاب النخل) جزء من (الفلاحة النبطية) وليس هذا صحيحًا. وإذا لم يصلنا كتاب (علل المياه) ولا الجزء الخاص بـ (إفلاح الكرم) فإن من الثابت أن (كتاب النخل) أو (إفلاح النخل) لابن وحشية الذي ترجم الكتابين عن الكردية كما قال هو ذاته بالنص «لينتفع به أبناء البشر». =

وكنت قبل هذا ما تممته، فلما يسر الله لي إتمامه في إحدى وعشرين عامًا(١٥٨) جاء بحمد الله وعونه في المراد والمقصود، بعون الرب المعبود، وجعلته ذخيرة لخزانة حضرة أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، متعه [الله] بسعادة دولته، وأقام عماد الدين بشوكة ملكه وسلطنته، يوم الخميس المبارك ثالث شهر رمضان، سنة إحدى وأربعين ومائتين. والحمد له وحده. تَمّ.

فرغ من كتابة النسخة المكتوبة من الأصل المذكور حسن بن فرج بن علي بن داود بن سنان ابن ثابت بن قرة الحراني البابلي النوقاني(١٥٩)، يوم الثلاثاء المبارك سابع ربيع الآخر سنة أربعمائة وثلاثة عشر، وقد تمت النسخة المنقولة هذه النسخة عنها (١٦٠)، يوم الأحد المبارك ثاني محرم الحرام من شهور سنة ستة وستين ومائة وألف ١١٦٦.

---

(١٥٧) يساوي (قاموس الكتاب المقدس) بين «ماش» و«ماشك»، وهو ابن يافث (سفر التكوين: ١٠ / ٢) ويظن أن نسله قطن الأرض التي تقع قرب منابع الفرات ودجلة، ويستنتج من نقوش الأشوريين ومن المؤرخ اليوناني هيرودوت أن بلاد «ماشك» (ماش) كانت في شرق تركيا (ص ٨٣١). وهذا هو موطن الأكراد في القديم وحتى عصرنا الحاضر.

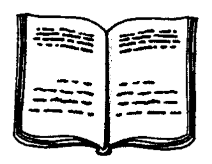
وتبقى مشكلة نسبة «ماسي» (ماش = ماشك) وأنه «السوراتي»، وقد نلتمس لهذه النسبة تخريجًا في ما جاء في (سفر حزقيال ٢٧ / ١٣) من أن نسل «ماشك» هذا كانوا يتاجرون مع مدينة «صور» (=سور)، وبدلا من أن ينسب إليها «صوري» (= سوري) كانت النسبة في صيغة «سوراتي» (= صوراتي). وقد تكون التاء مصحفة عن النون (سوراني = صوراني) وهي نسبة متداولة كما في «روحاني» (روحي) «نفساني» (نفسي) مثلا.

(١٥٨) كذا في مخطوطة باريس. وأما في نشرة همّر ومخطوطة طهران فهي «علفًا»، وقد سبقت مناقشة هذه المسألة في مقدمة التحقيق. وفي جميع الأحوال نلاحظ أن الصواب في «إحدى» هو «أحد» لأن الكلمة تتميز لعدد مذكر.

(١٥٩) الناسخ من نسل ثابت بن قرة الحراني، المترجم المعروف، كان معاصرًا لابن وحشية؛ فقد ولد سنة ٢٢١هـ. وتوفي سنة ٢٨٨هـ. عن سبع وسبعين سنة شمسية، كما يقول ابن النديم. كان صيرفيًا بحران، استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلاد الروم لأنه رآه فصيحًا. وقيل إنه قرأ على محمد بن موسى فتعلم في داره فوجب حقه عليه فوصله بالمعتضد وأدخله =

وكان النجاز من نساخته[161] يوم الجمعة المبارك عاشر شهر جمادى الآخر سنة ستة وستين ومائة وألف ١١٦٦، الموافق ثاني شهر نيسان من شهور مسيحية سنة ١٧٥٣ وهو كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) تأليف أحمد بن أبي بكرا بن وحشية النبطي الكلداني، والحمد لله وحده. تَمّ.





= في جملة المنجمين، وكانت له رئاسة فرقة الصابئة، وذكرت له عدة مؤلفات في الهندسة والطب والطبيعيات. وابنه سنان بن ثابت «وكان مسلماً». وابن سنان هو أبو الحسن، ويمر ذكرهما عند الحديث في الطب. (الفهرس، ص ٣٨٠). ومن هنا يتضح أن الناسخ كان مسلماً لإسلام جده الأعلى سنان بن ثابت، ويروي ابن النديم أن هذا الجدَّ كان طبيباً مقدَّماً، وأراده الخليفة القاهر على الإسلام فهرب، ثم أسلم وخاف من القاهر فمضى إلى خراسان، وعاد (إلى بغداد) وتوفي مسلماً سنة ٣٣١هـ. (الفهرست، ص ٤٢١).

(١٦٠) كذا. والأصوب: وقد تمت هذه النسخة المنقولة عنها...

(١٦١) كذا. والصواب: نسخه، أو انتساخه.

ملاحق

ملحق (١)

(R2)

ا

table with conventionalized slices of bread — Ideo. or det. in *ḫꜣy(t)*, varr. *ḫꜣt*, 'table of offerings'.

مائدة بشرائح مألوفة من الخبز.

علامة تصويرية أو محدِّد في مثل: خايت، أيضًا: خأت (منضدة تقدمات).

(W22)



ي

beer-jug — Ideo. or det. in var. *ḥnḳt* 'beer'. Det. pot, measure, exx. *ḳrḥt* 'vessel'; *ds* (O.K. *dś*) '*des*-measure'

دنّ جعة.

علامة تصويرية أو محدِّد في مثل: حنقت (جعة، بيرة).

محدِّد لـ: إناء، مكيال، في مثل: قرحت (وعاء)، دس (مكيال).

(F51)



ق

piece of flesh — Det. limb, flesh, exx. *ʿt* 'limb'; *ḥʿ* 'flesh'; parts of the body, exx. *nḥbt* 'neck', 'shoulder'; *mist* 'liver'; meat, ex. *iwf* 'meat'.

قطعة لحم.

محدِّد. عضو (من أعضاء الجسد)، لحم. في مثل: عت (عضو، طرف). أعضاء الجسد: نحبت (عنق، كتف)، مإست (كبد)، إوف (لحم).

(*) مقابلة الرموز الهرمسية (= الهيروغليفية) التي أوردها ابن وحشية بقائمة رموز غاردنر.

Alan Gardiner; Egyption Granmar, pp. 442 - 543.



غ

(F 35)

heart and windpipe[1] — For unknown reason, phon. *nfr* in *nfr*, rare var.[2] 'good' and related words.

قلب وقصبة هوائية.

لسبب مجهول تمثل صوتيًّا: نفر (طيب، جيد) والكلمات ذات الصلة.

ب

(W22)

beer-jug — Ideo. or det. in var. *ḥnḳt* 'beer'. Det. pot, measure, exx. [1] *ḳrḥt* 'vessel'

جرّة جعة (بيرة).

علامة تصويرية أو محدِّد، في مثل: حنقت (جعة). محدِّد في: وعاء، مقياس. قرحت (إناء).

ك

(R 8)

cloth wound on a pole, emblem of divinity[1] — Ideo. in *nṯr* 'god'. Hence phon. (semi-ideo.) *nṯr*, ex. *nṯry*. var. Pyr.[2] *nṯr(i)*, 'divine'.

قطعة نسيج مطوية على عمود، شعار الألوهية(١).

علامة تصويرية في مثل: نثر (إله). من هنا الصوت (شبه العلامة التصويرية) نثري (إلهي، رباني، مقدّس).

---

(١) يرى والس بدج (The Dwellers on the Nile, P. 149) أن هذا الرمز كان في الأصل صورة فأس حجرية برأسها ومقبضها موروثة عن عبادة الحجارة القديمة رمزاً للأرباب. وقد قرئ: نتر، نثر، نذر، نتشر، نطر، نظر، نقر، نكر - باختلاف في نقحرة الحرف الأوسط.



ر

(H2)

head of pintail duck — In formula of offering as abbrev. of *spdw* 'fowl'. Det. in *wšn* 'wring neck of (birds), 'offer'.

رأس بلبول (نوع من البط).

في صيغة قربان اختصار لـ: سپدو (طائر). محدِّد في:

وشن (رقبة طير ملوية، قربان).

ح

(V 28)

wick of twisted flax — Cf. with a similar sign, *ḥtt* 'wick';[2] hence[3] phon. *ḥ*. As late det. once in *tkꜣ* 'candle'.[4]

ذبالة كتان ملوي.

مع إشـارة مماثلة: حـعت (ذبالة). من هنا الصـوت «ح» وباعـتبـارها مـحـدِّدًا: تكأ (شمعة).

ش

(O 30)

emblem erected outside the temple of Min — Ideo. or det. in [2] var. [3] *iꜣt* 'office', 'rank'.

شعار منصوب خارج معبد «من».

علامة تصويرية أو محدِّد في: إأت (وظيفة، رتبة).

(M17) د

flowering reed — Ideo. in *i* 'reeds'. Hence phon. *i*.

يراعة مزهرة.
علامة تصويرية في: إ (يراع، غاب، قصب). من هنا الصوت «إ».

(S 37) م

short-handled fan[1] — Ideo. or det. in [2] var. [3] *ḫw* 'fan'

مروحة قصيرة المقبض.
علامة تصويرية أو محدِّد في: خو (مروحة).

(V1) ت

hieroglyphic adaptation of the hieratic abbreviated form of — The hieratic abbreviation of best transcribed by e,

مطابقة هيروغليفية لصورة فرخ الطير الهيراطيقية المختصرة، أفضل ما يقابله عند النقل الحرفي الرمز(١).

(١) عند الأستاذ بدج وغيره أن هذا الرمز عبارة عن صورة حبل ملفوف في الأصل يمثل الصوت «شن» ومشتقاته بمعنى: الدوران، الإحاطة، المائية.. إلخ.

(D 59) ・ع

combination of and — Phon. *ꜥb*, ex. *ꜥb* 'horn'.

تركيب مدمج من صورة القدم، واليد.

صوتيًا: عب (قَرْن).

(O 1) ・ن

house — Ideo. in *pr*[1] 'house', cf. the fem. collective *pryt* 'houses'. Hence phon. *pr* in *prỉ* 'go forth' and derivatives:

بيت.

علامة صوتية في: پر (بيت، منزل). پريت (بيوت - جمع مؤنث) من هنا الصوت «پر» في: پرى (خرج) وبقية المشتقات.

・ث

o grain of sand, pellet, or like. — Det. sand, in *šꜥy* 'sand'; metal or mineral. Sometimes ••• or ⁝ is substituted for the plural strokes ।।।, |, exx. *gnwt* 'annals'; *šsrw* 'bags'.

حبة رمل أو كُرِيَّة صغيرة أو ما أشبهها.

محدِّد. رمل في: شعي (رمل)، معدن أو شيء معدني. تأتي أحيانًا... أو: تستبدل بخطوط ।।।، في مثل: جنوت (حوليات)، شسرو (حقائب، صُرر).

وقارن ما يلي:

| | | stroke Z 1 thrice repeated (also written ¦¦. | Det. plurality following an ideo. or det. to show that it should be understood three times, exx. [1] *rnpwt* 'years' [2] *nḏsw* 'poor men'

ثلاثة خطـوط مكررة. محـدِّد الجمـع، تتبع العـلامة التصويرية أو المحدِّد لتبين وجوب الفهم على أساس ثلاث مرات (= الجمع) في مثل: رنپوت (سنوات)، نذسو (فقير).

(V 7)

و

loop of cord with the ends downward

Cf. var. Pyr. [1] *šnt* 'encircle'. Hence phon. *šn*, exx. *šn* 'tree'; *šnˁ* 'repel'.

عقدة حبل طرفاه إلى أسفل.

في مثل: شني (يحيط)، من هنا الصوت «شن» في: شن (شجرة)، شنع (ثار، تمرد).

(Q 1)

س

seat

Ideo. in *st*, var. Pyr. [1] *ṡt*, 'seat', 'place'. Hence phon. *st* (*ṡt*),[2] exx. *mst* 'lap'; *nmst* 'jar'; *ws* (*wṡ*),[3] in *Wsir* 'Osiris'

كرسي.

علامة صوتية. في: ست، صت (كرسي، مكان). من هنا الصوت «ست» في مثل: مأست (حِجْر، حضن)، نمست (جَرَّة)، وسر (أوزيريس).

(I 10)

غ

cobra in repose (*Naja haje*, Gk. ἀσπίς) — Cf. Pyr. var. *dt* 'cobra'. Hence phon. *ḏ*. Sometimes also, by a false archaism, for *d*

أفعى كوبرا ساكنة.

ذت (كوبرا). من هنا الصوت «ذ» - أحيانًا، عن طريق نطق مهجور غير صحيح، تمثل الصوت «د»[1].

(D 4)

ز

eye — Ideo. in *irt* 'eye', Gk. ἰρί.

عين.

علامة صوتية في: إرت (عين). اليونانية «إري» iri.

(S 29)

ل

folded cloth — *snb* in the formula *ꜥnḫ wḏꜣ snb* 'may he live, be prosperous, be healthy'

قطعة نسيج مطوية.

«سنبت» في الصيغة «عنخ وذأ سنب» (فليحيا ويدهر ويسلم).

---

(١) لم يتفق علماء المصريات على نقل هذا الرمز إلى الحروف اللاتينية فكتبوه: tch, ts, ti, d,c, di, tz. وهو يقابل في العربية: ذ، ز، س، ش، تش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ. وهو هنا يكافئ «ط» في كلمة «طُوط» العربية = ثعبان طويل - وهي صورة الرمز.

(F 14) •
ع

combination of and — In [1] var. [2] *wpt-rnpt* 'New Year's day'.

تركيب مدمج من صورتين.

في مثل: وبي – رنپت (أول أيام السنة الجديدة).

(U 1) •
ظ

sickle — Ideo. in [2] *mȝ* 'sickle-shaped end' of the *wȝ*-boat. Hence phon. *mȝ*,[3] exx. *mȝȝ* 'see'

منجل.

علامة صوتية في: مأ (طرف قارب «وإأ» علي شكل منجل). من هنا الصوت «مأأ» (يرى).

(H 6) •
ص

feather — Ideo. in var. Pyr. *mȝn*[1] *šwt* 'feather'. Hence phon. *šw*, ex. *Šw* '(the air-god) Shu'.

ريشة.

علامة صوتية في «إت». شوت (ريشة). من هنا الصوت «شو» في مثل: شو (إله الجو).

(N 1) •
ذ

sky — Ideo. or det. in var. *pt* 'sky'. Det. sky, exx. *Nwt* '(the sky-goddess) Nut'; var. Pyr.[1] *ḥrt* 'heaven',

سماء.

علامة صوتية أو محدِّد في: پت (سماء). محدِّد السماء في «نوت» (ربة السماء)، حرت (علياء).



(S 21)

O ring (possibly a plain finger-ring) Det. ring, ex. *iwʿw*, var. *ʿʿw*, 'ring'.[1]

حلقة (لعله خاتم يد بسيط).

محدِّد. حلقة، في مثل: إوعو (حلقة، دائرة، طوق).

(M 8)

• ح

pool with lotus flowers Ideo. in [1] var. Pyr. [2] *š*ꜣ 'lotus pool', 'meadow'. Hence phon. *š*ꜣ, exx. *š*ꜣ 'appoint', 'command';

بِركة بها زهور اللوتس.

علامة صوتية في مثل: شأ (بركة لوتس، مرج). من هنا الصوت «شأ» في مثل: شأ (يعيِّن في منصب، يأمر، يسيطر).

(U 33)



pestle Ideo. in [9] *tỉt* 'pestle (?)' of red granite (*mꜣt*); hence phon. *tỉ*,

مِدَقَّة، يد هاون.

علامة صوتية في: «تإت» (مِدَقَّة؛ لحجر الصوان الأحمر) من هنا الصوت «تإ».

(O 38)



ض

corner of wall — Det. in knbt 'corner', 'angle', whence var. knbt 'magistrates', lit. perhaps 'those who sit at the corner'.

زاوية جدار.

محدِّد في مثل جنبت (زاوية، ركن). من هنا: جنبت (قضاة. حرفيًّا، ربما: أولئك الجالسون في الركن).

(D 33)

ح

arms engaged in rowing — Ideo. in hni 'row' and derivatives. Hence phon. hn, ex. hnnw 'turmoil'.

ذراعان في حالة تجديف.

علامة صوتية في: حني (يجدف) ومشتقاتها.

من هنا الصوت «حن» في مثل: حننو (اضطراب، شغب).

(I 12)

قاف

مايلة

cobra (erect as on the forehead of the Pharaoh) — Det. in i'rt 'uraeus'. Det. goddesses, especially those to whom the appearance of a snake was attributed,

أفعى كوبرا (منتصبة كما علي جبهة الفرعون).

محدِّد في: إعرت (أفعى اليورايوس). محدِّد للربات، خاصة تلك التي يُعزى إليها مظهر الأفعى.

(D 28) . نون مد غومه

[hieroglyph] [1] foot   Cf. [hieroglyph] var. [hieroglyph] [2] *bw* 'place', 'position'. Hence phon. *b*.[3]

قدم، ساق.

تأتي في مثل: بو (مكان، موقع). من هنا الصوت «ب».

(O 1) . ب

[hieroglyph] house   Ideo. in [hieroglyph] *pr* [1] 'house', cf. the fem. collective [hieroglyph] [2] *pryt* 'houses'. Hence phon. *pr* in [hieroglyph] *prỉ* 'go forth' and derivatives

بيت.

علامة صوتية في: پر «بيت». جمع المؤنث «پريت» (بيوت) من هنا الصوت «پر» في «پري» (خرج) ومشتقاتها.

(L 7) . كاف مايلة

[hieroglyph] [1] scorpion (modified for superstitious reasons)[2]   Ideo. in [hieroglyph] *Srḳt* '(the scorpion-goddess) Serket',

عقرب.

علامة صوتية في: سرقت (الربة العقرب).

(M 20)



ظازاييه(*)

reeds growing side by side

Ideo. or det. in [hieroglyph] varr. [hieroglyph], [hieroglyph] *sḫt* (*sḫt*)[1] 'marshland', 'country' and its derivative [hieroglyph] *sḫty* 'peasant'.

ظازاييه(*)

يراعات ينمو بعضها إلى جانب لبعض.

علامة صوتية ومحدِّد في: سخت (أرض سباخ، ريف) ومشتقاتها: سختي (فلاح، ريفي).

(A a 2)

· θ

هاهمزية

pustule or gland?[1]

Det. bodily growths or conditions, especially of a morbid kind, exx. [hieroglyph][2] *wbnw* 'wound'

بثرة أو غُدَّة؟

محدِّد لما يطرأ على الجسد من نمو (نتوء) أو حالة مَرَضية، في مثل: وبنو (جرح).

(*) نقلا عن مخطوطة باريس. لا توجد في مخطوطة طهران، وأما في نشرة همّر فقد كتب في ذيل صفحة ١٢٠ «ظازاييه» إشارة إلى أن تتابع القراءة في الصفحة التالية، ولكن لا وجود لها في صفحة ١٢١ ولا للرمز الهيروغليفي.

 .

جيم مد
غومة

هذه صورة رجل واقف غير محدد الوضع. وقد أورد «غاردنر» ٥٥ رسمًا للرجل في الهيروغليفية بمختلف الأوضاع والهيئات والأشكال (ص ٤٤٢ - ٤٤٧). ويدعي «الرجل» في المصرية القديمة «س» و«سي»، بينما تدعي «المرأة»: «س. ت» (=ست). ونلاحظ أننا حتي عصرنا هذا نقول عن الرجل: سي فلان، وعن المرأة: الست فلانة. فكلمة «سي» إذن ليست اختصاراً لـ«سيد» وكلمة «ست» ليست اختصاراً لـ«سيِدة» («ست» في الواقع تأنيث «سي» أو «س» بإضافة تاء التأنيث).

في الأكادية: «ش» = رجل، ذكر. وفي السبئية: «إس» = رجل. والمعني الأصلي في الجميع: الوجود، الموجود/ الكون، الكائن - أي: المحدث، المخلوق. قارن العربية «أيس» = وجود، التي نعرفها في «ليس» النافية = «لا + أيس» = لا وجود/ لا كون.

(N 25) .

جزمع الزا
مدغوم

sandy hill-country over edge of green cultivation — Ideo. or det. in var. ḫꜣst (ḫꜣst) 'hill-country', 'foreign land'.

بلد جبلي رملي علي حافة أرض زراعية.

علامة صوتية أو محدِّد في: خاست (بلد جبلي، بلاد أجنبية).

(N 27)  .

زاعجمية

sun rising over mountain — Ideo. in var. Pyr. ꜣḫt 'horizon' (properly the place in the sky where the sun rises)[2] and its derivatives.

شمس بازغة علي جبل.

علامة صوتية في: أخت (أفق. ربما المكان في السماء حيث تشرق الشمس) ومشتقاتها.

ملحق (٢)

تفضل عليّ الأستاذ الدكتور جاسر أبو صفية (عمّان - الأردن)(*) بنسخة مصورة عن مخطوط بعنوان «رسالة في الأقلام القديمة» لمؤلف مجهول، بخط نسخ على ورق أوروبي صقيل ملونة ألفاظها المهمة باللون الأحمر في الأصل، مبتور البداية والنهاية، في حالة جيدة وإن كانت به بعض الإصلاحات، بتجليد شرقي حديث - كما تقول المعلومات المسجلة عليه بالإنكليزية، وتضيف أن المخطوط يبدو فريداً بوضوح، ربما يرجع إلى القرن السابع عشر بالتاريخ المسيحي، وقد حُصل عليه من شخص يدعى «البارودي» سنة ١٩٢٥م، في بيروت.

تشير بداية المخطوط المبتورة إلى أن المؤلف يعرض حروفًا يقول بعدها (مع ملاحظة طمس بعض الكلمات وصعوبة قراءتها):

«هذه الأحرف جميعها ينبغي لمن يعاني حل الأقلام [أن] يعرفها ويفهم تأويلها ليفهم منها علم لغة كل طائفة من أصحاب الملل والشرائع والكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين.... الذي فيه يذكر (الأشكال؟ الصور؟) المخترعة من الحروف المبتدعة وينبعث... وليس له نهاية (حسب؟) معرفة علم.... والصفات، فاعلم ذلك يا أخي واكتمه عن غير أهله فهو من الأسرار الذي (=التي) ينبغي لها أن تكتم؛ لأن تلك اللغة طبعها (طبائعها) منبعثة عن ذلك (تلك) الأحرف، فاعلم ذلك فافهمه. وهذا مثالها كما ترا (=ترى)، والله الموفق للصواب، وهذه صفة اللغة والأشكال إن شاء الله تعالى، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

***

ثم يقدم المؤلف أسماء حروف تنسب إلى كل نبي مع تعبير «عليه السلام» وهي لغته إضافةً إلى صورة حروف قلمه وخطه.. على النحو التالي:

(*) كلية الآداب، الجامعة الأردنية. وقد أفادني بأن أصل المخطوط موجود في جامعة برنستون الأمريكية تحت رقم: "Garret" ٧٤٩ - ٥٢٨ - عدد الورقات: ٢٥ ورقة.

السرياني (آدم)، الصولياني (شيث)، القيناوي (قينان)، البرباوي (أخنوخ)، الخزري (نوح)، السامي (سام)، الصيني (يافث)، الهندي (حام)، البرهمي (إبراهيم)، اليوناني (إسحاق)، الصابي (صاب)، اليعقوبي (يعقوب)، الخبري (هارون)، الحبري (داود)، الكاهني (سليمان)، الرومي (عيسى)، الإفرنجي (شمعون)، القبطي (جرجس)، الأرمني (دانيال)، الكوفي (ظهر في أيام علي رضي الله عنه).

ثم يعرض ما يسميه القلم الطيبي (الطبّي / الطني ؟) والقلم النبطي، ثم الأقلام المسندة المنسوبة إلى الكواكب السبعة، وقلماً ينسبه إلى أبي القاسم أحمد بن محمد العراقي السماوي. بعدها: أقلام علم الطلب، أقلام علم الصنعة، أقلام العطريات (القلفطريات ؟)، أقلام علم السيمياء وعلوم الروحانيات، وقلم رسائل إخوان الصفا، وقلم أسرار الحسابي (الحساب ؟)، ثم ينسب جملة أقلام أسرار إلى: الخوارزمي، حيل بني موسى الحربية، بدائع الأسرار للمسعودي، جواهر الأحجار لهرمس. ويقدم بعد هذا سبعة أقلام يدعو كلا منها «المسند» منسوبة لأسماء وهمية في ما يبدو: (قرونيوش، راوشيوش، أبلبوس، أفروديطانون، فرنيوش، لكانيوش)، ويفرق بين أقلام المسند هذه وبين «المسند القديم» على سبعة أشكال. يلي هذا صورة الصليب «وما أودع فيه من الأسرار»، ثم: القلم القمّي، الفهلوي، الطبيعي، وقلم أسرار الفلك وأسرار أندروماخش» وقيل: نيقوماخش، وأسرار بالينوس، وأسرار أفلاطون، وأخيراً قلم أسرار ناصر الدين محمد بن طيبغا الفقيه (كذا).

بعدئذ يعرض جدولا «تعرف منه تلك اللغة إلى من تنسب»، وقلمًا «تعرف به معانٍ لطيفة»، وأسرار تنقيط الباء والتاء والثاء.. إلخ. يلي هذا عشرون قلمًا من أقلام (أسرار السيمياء) وينقطع النص عند القلم الحادي والعشرين من هذه الأسرار.

ثم يلي ذكر أقلام نسبت إلى مشاهير في التراث الإسلامي كالخوارزمي والمسعودي وأبناء موسى، وآخرين أقل شهرة أو مجهولين كأبي القاسم العراقي وناصر الدين بن طيبغا الفقيه.

لكن بصرف النظر عما في هذا المخطوط المجهول المؤلف من خلط فإن نظرة إلى ما عرضه من «حروف» معروفة ومقارنتها بما لدى ابن وحشية تبين عن تشابه كبير، مع

ما هو متوقع من تحريف في الشكل والرسم عند النقل والنسخ بالطبع وملاحظة إضافة بعض حروف الروادف المنعدمة في اليونانية واللاتينية والرومية الإفرنجية، ابتداءً من مؤلفنا المجهول.

وما من شك في أن ما يسميه المؤلف «حروف البرباوي» ويضع أسماء لهذه الحروف، وهمية لا تتفق مع نطق ترتيبها الأبجدي، منقولة عن التصاوير الهيروغليفية المصرية (انظر الشكل) والمهم، رغم إخفاقه في القراءة الصحيحة لهذه «الحروف»، وعدد منها من المحددات في الهيروغليفية وبعضها حروف هجائية فعلا، أنه اعتبرها حروفًا وليست مجرد رسوم طلسمية ذات دلالات سحرية، كما ساد الظن مدة طويلة من الزمان لدى الكُتّاب اليونان واللاتين ثم من جاء بعدهم من الأوروبيين، وهذه خطوة بالغة الأهمية في سبيل فك الرموز الهيروغليفية.

(ابن وحشية)

ا . ب . ج . د . ه . و . ز . ح .

ط . ي . ك . ل . م . ن .

س . ع . ف . ص . ق .

ر . ش . ت . ث . خ . ذ .

ض . ظ . غ .

القلم الكوفي المسمى بالسوري

A · B · C · D · h · O · Z · H · t ·

ا . ب . ج . د . و . ز . ح . ط .

I · K · L · M · N · U · q ·

ي . ك . ل . م . ن . س . ع .

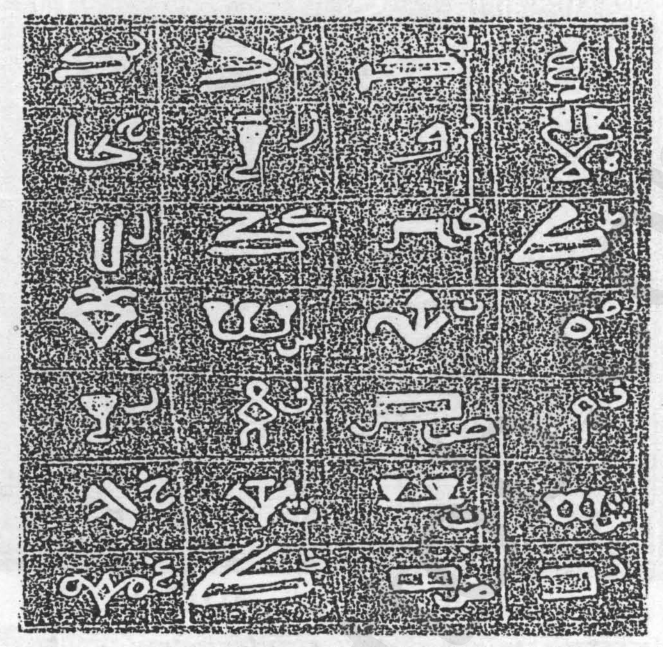
H · R · Σ · Π · ◊ · Ξ · Q ·

ف . ص . ق . ر . ش . ت . ث .

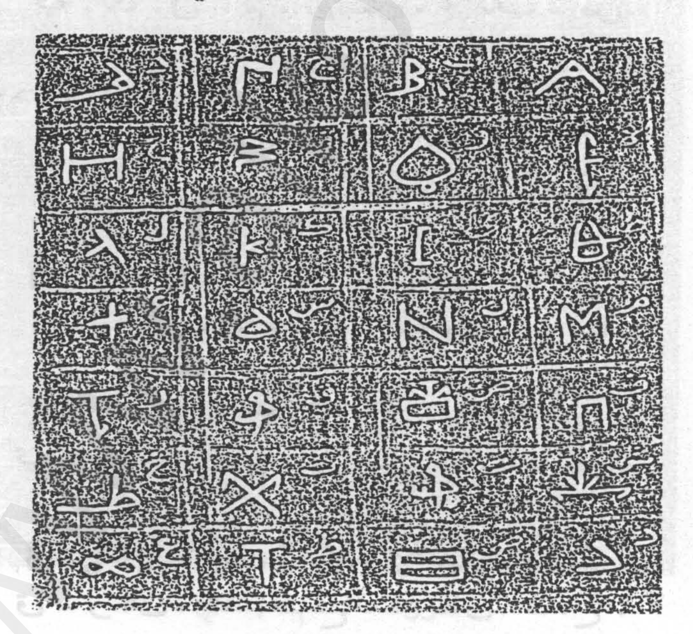
ω · d ·

خ . ذ .

القلم اليوناني



حروف القلم الكوفي



حروف القلم اليوناني

أنواع القلم الهندي الثلاثة

١)

جلش.	بحر.	.
٣ ٣٠ ٣٠٠	٢ ٢٠ ٢٠٠	١ ١٠ ١٠٠ ١٠٠٠
وسخ .	هنث.	دمت .
٦ ٦٠ ٦٠٠	٥ ٥٠ ٥٠٠	٤ ٤٠ ٤٠٠
طصغا .	حفض .	زعد .
٩ ٩٠ ٩٠٠	٨ ٨٠ ٨٠٠	٧ ٧٠ ٧٠٠

٢)

١ . ٢ . ٣ . ٤ . ٥ . ٦ . ٧ . ٨ . ٩ .
ا . ب . ج . د . ه . و . ز . ح . ط .

أ . ٢̇ . ٣̇ . ٤̇ . ٥̇ . ٦̇ . ٧̇ . ٨̇ . ٩̇ .
ي . ك . ل . م . ن . س . ع . ف . ص .

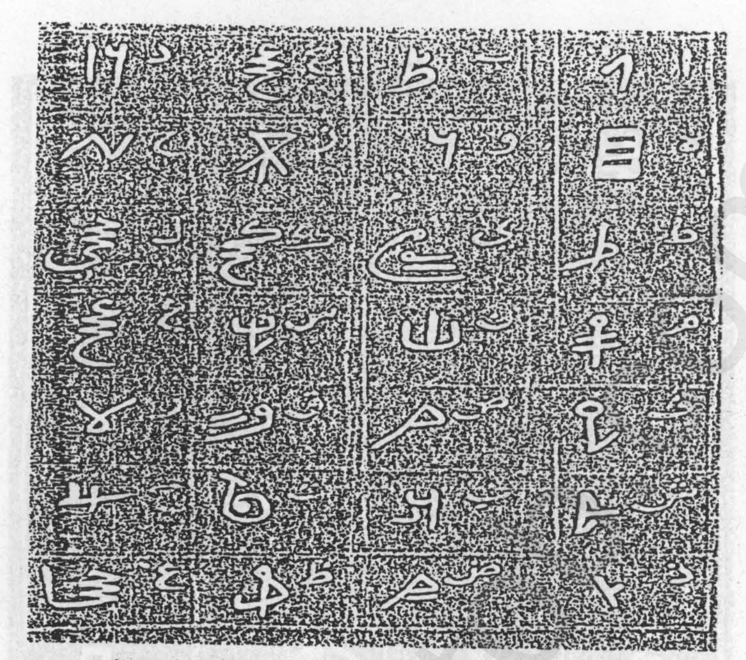
٣)

١̈ . ٢̈ . ٣̈ . ٤̈ . ٥̈ . ٦̈ . ٧̈ . ٨̈ . ٩̈ . ١̈ .
ق . ر . ش . ت . ث . خ . ذ . ض . ظ . غ .

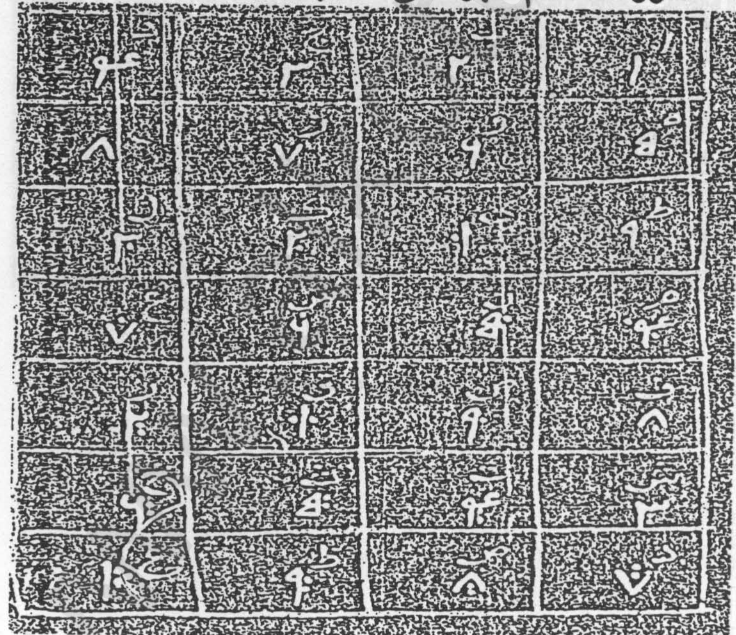
ا . ب . ج . د . ه . و . ز . ح . ط .

ي . ك . ل . م . ن . س . ع . ف . ص .

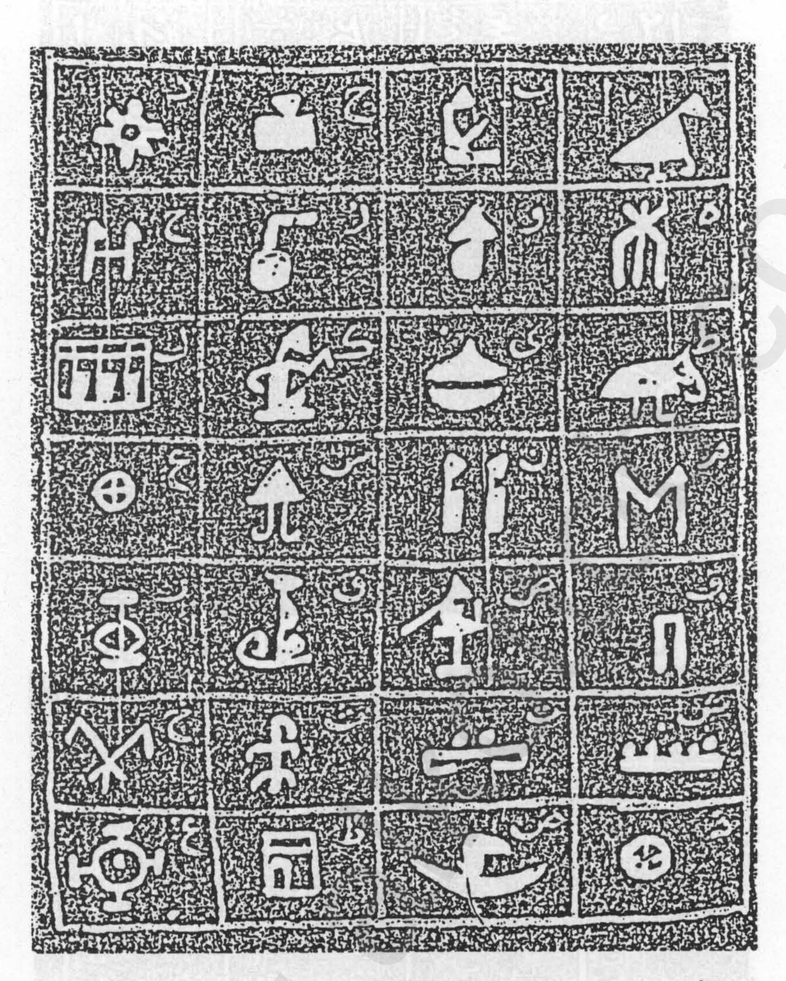
ق . ر . ش . ت . ث . خ . ذ . ض . ظ . غ .



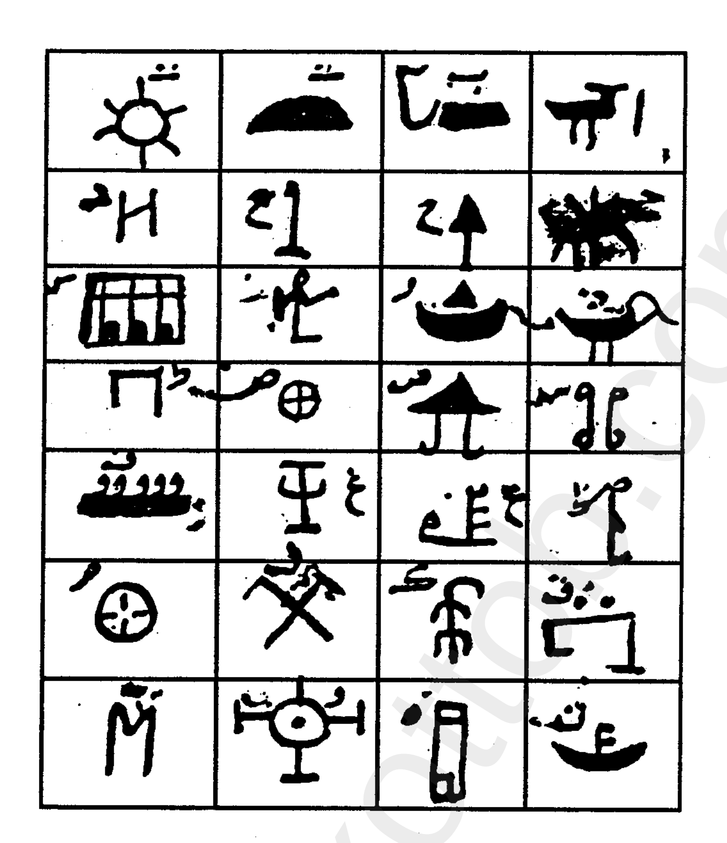
حروف القلم البرهمي حسب المؤلف المجهول



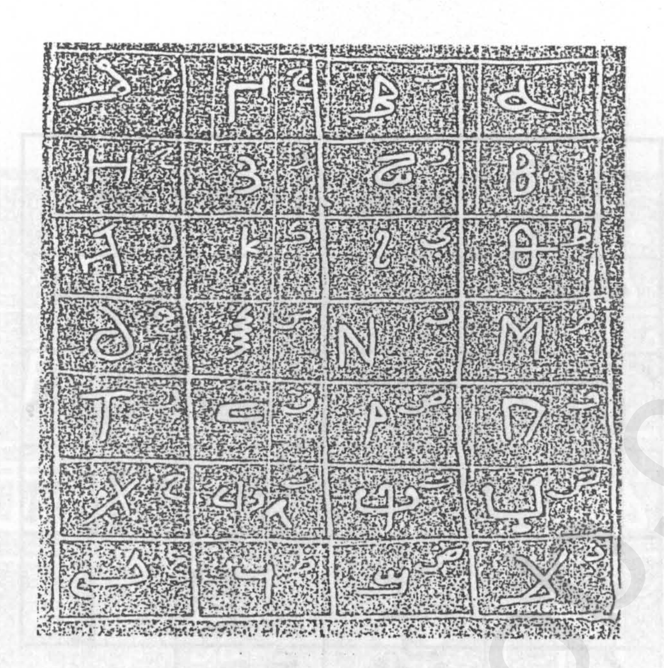
حروف القلم الهندي



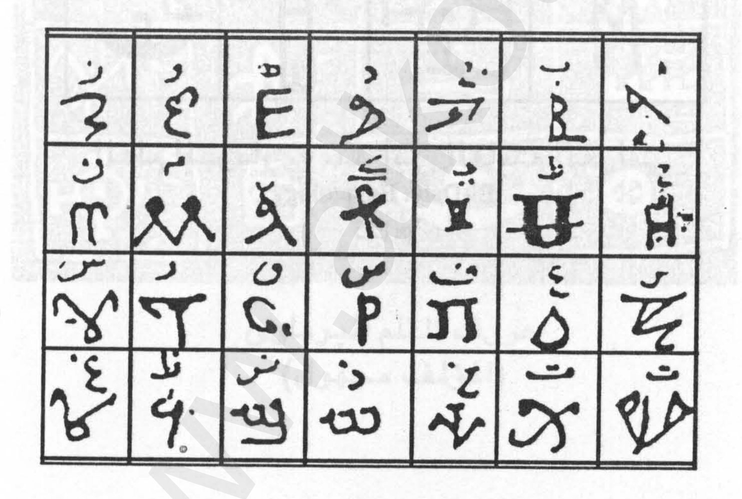
حروف القلم البرباوي
(المؤلف مجهول)



القلم البرباوي عند أبي القاسم العراقي
El-Daly: Egyptology
p.155



حروف القلم القبطي
(مؤلف مجهول)



الحروف القبطية حسب ذي النون المصري
El-Daly: Egyptology..
p.151

ANCIENT ALPHABETS

AND

HIEROGLYPHIC - CHARACTERS EXPLAINED;

WITH AN

ACCOUNT OF THE EGYPTIAN PRIESTS, THEIR CLASSES, INITIATION, AND SACRIFICES,

IN THE ARABIC LANGUAGE

BY AHMAD BIN ABUBEKR BIN WAHSHIH;

AND IN ENGLISH

BY JOSEPH HAMMER,

SECRETARY TO THE IMPERIAL LEGATION AT CONSTANTINOPLE.

LONDON:

PRINTED BY W.BULMER AND CO. CLEVELAND ROW; AND SOLD BY G. AND W. NICOL, BOOKSELLERS TO HIS MAJESTY, PALL-MALL.

1806

الصفحة الأولى من نشرة همّر

الحمد لله وكفي
وسلام علي عباده الذين اصطفي. امين.
و بعد فانه لما سئلي من لاترد دعوته اذا جمع له
اصول الاقلام. التي تداولتها الامم الماضية من
الفضلا والحكما السالفين. والفلاسفة العارفين
مما رمزوا بها كتبهم وعلومهم. لينتفع به الطالبين و
الراغبين للعلوم الحكمية. والاسرار الربانية ذاكراً
القلم بريمه القديم. واسمه المشهور وشرح حروفه
بالقلم العربي تحته بالمداد الاحمر. ليمتاز عن الاخر
❖ ورتبته علي ابواب وسميته شوق المستهام ❖
❖ في معرفة رموز الاقلام. ❖
❖ وبالله المستعان ❖
❖ تم ❖
❖

فرغ من كتابة النسخة المكتوبة من الاصل
المذكور حسن بن فرج بن علي بن داود بن سنان
بن ثابت بن قرة الحراني البابلي النوقاني يوم
الثلاث المبارك سابع ربيع الاخر سنة اربعماية
وثلاثة عشر وقد تمت النسخة المنقولة هذه النسخة
عنها يوم الاحد المبارك ثاني محرم الحرام من
شهور سنة ستة وستين وماية والف ١١٦٦

وكان التجاز من نساخته يوم الجمعة المبارك
عاشر شهر جمادي الاخر سنة ستة وستين وماية
والف ١١٦٦ الموافق ثاني شهر نيسان من شهور
مسيحية سنة ١٧٥٣ وهو كتاب شوق المستهام في
معرفة رموز الاقلام تاليف احمد بن ابوبكر بن
وحشية النبطي الكلداني والحمد لله وحده
تم

الصفحة الأخيرة من نشرة همّر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام

على عباده الذين اصطفى امين

وبعد فانه لما سألني من

تجب دعوته ان اجمع له

اصول الاقلام التي تداولها

الصفحة الأولى من مخطوط باريس

وستين ومائة والف

من كتاب شوق المستهام

في معرفة رموز الاقلام تاليف

احمد بن ابي بكر بن وحشية

النبطي الكلداني رحمه الله

تعالى امين

امين

الصفحة الأخيرة من مخطوط باريس

الباب الاول في معرفة الاقلام الثلثة اي الكوفي والمغربي والهندي الفصل الاول من الباب الاول في معرفة القلم الكوفي الكوفي الذي وضعه سيدنا اسمعيل وهو اول من تكلم بالعربية وكتب وقد تنوع وصار تسعة انواع والاصل فيها المسمى بالتوري وهذه صورة القلم الكوفي المسمى بالتوري كما تراه

ا ب ج د ه و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف ص

ق ر ش ت ث ض

الفصل الثاني خ ذ ض ظ غ

من الباب الاول في معرفة القلم المغربي وهو الاندلسي كما ترى صورته هكذا

ا ب ت ث ج

ح خ د ذ ر ز ط ظ

الصفحة الأولى من مخطوط طهران

عندي منها بالشام كتابين كتاب في افلاح الكرم والنخل

وكتاب في علل المياه وكيفية استخراجها واستنباطها من

الاراضي المجهولة الاصل فترجمتها من لسان الاكراد الى اللسان

العربي لينتفع به ابناء البشر وكنت قبل ذلك هذا لم تممته

فلما يسر الله لي اتمامه في احدى وعشرين علفا جار بحمد الله وعونه

في المراد والمقصود بعون الرب المعبود وجعلته ذخيرة لخزانة

حضرة امير المؤمنين عبد الملك بن مروان متعه بسعادة

دولته واقام عماد الدين بشوكة ملكه وسلطنته يوم الخميس

المبارك ثالث شهر رمضان سنة احدى واربعين ومائتين للهجرة

فرغ من كتابة النسخة المكتوبة من الاصل المذكور حسن بن فرج بن علي

بن داود بن سنان بن ثابت بن قرة الحراني البابلي النوقاني يوم

الثلاثاء المبارك سابع ربيع الاخر سنة اربعمائة وثلاثة عشر وقد

تمت النسخة المنقولة هذه النسخة عنها يوم الاحد المبارك ثاني

محرم الحرام من شهور سنة ستة وستين ومائة والف ١١٦٦

وكان الفراغ من نساخته يوم الجمعة المبارك عاشر شهر جمادى الاخر

سنة ستة وستين ومائة والف ١١٦٦ الموافق ثاني شهر نيسان

من شهور مسيحية سنة ١٧٥٣ وهو كتاب شوق المستهام في معرفة

رموز الاقلام تاليف صاحب ابو بكر بن وحشية النبطي الكلداني والحمد لله وحده

تم

الصفحة الأخيرة من مخطوط طهران

المراجع

العربية:

(١) ابن منبه، وهب؛ **كتاب التيجان في ملوك حِمْيَر**. مركز الدراسات والأبحاث اليمني، صنعاء ١٩٧٩.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم؛ **لسان العرب** (أعاد ترتيبه يوسف خياط ونديم مرعشلي)، دار لسان العرب، بيروت، دون تاريخ.

(٣) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق؛ **الفهرست**. المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٤٨هـ.

(٤) ابن وحشية، أحمد بن أبي بكر؛ **شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام**. نشرة يوسف همّر، لندن ١٨٠٦، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، مخطوط طهران.

(٥) أدي شير. المطران؛ **الألفاظ الفارسية المعرّبة**. طبعة ٢، دار العرب، القاهرة ١٩٨٨.

(٦) الإرياني، مطهّر علي؛ **نقوش مسندية**. مركز الدراسات والبحوث اليمني ١٩٩٠.

(٧) الأعور، سامي سليمان؛ **سر الأسرار**.. السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة - المنسوب إلى الفيلسوف؛ اليوناني أرسطو. دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠.

(٨) الخوارزمي، محمد بن أحمد؛ **مفاتيح العلوم**. دار الكتب العلمية، بيروت - بدون تاريخ.

(٩) الزركلي، خير الدين؛ **الأعلام**، بيروت ١٩٦٩.

(١٠) السامرائي، إبراهيم؛ **نصوص ورسائل في اللغة والأدب والتاريخ**. دار اقرأ (بدون تحديد المكان) ١٩٩١.

(١١) الشهرزوري، شمس الدين؛ **تاريخ الحكماء**.. نُزهة الأرواح وروضة الأفراح. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس ١٩٨٨.

(١٢) الطبّاع، إياد خالد؛ **منهج تحقيق المخطوطات**، ومعه كتاب؛ «**شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام**». دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢.

(١٣) العريبي؛ محمد؛ **الديانات الوضعية المنقرضة**.
(١٤) المسعودي، علي بن الحسين؛ **أخبار الزمان**. دار الأندلس، بيروت ١٩٨٠.
(١٥) الهمداني، أبو محمد الحسن؛ **الإكليل** - بتحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي. الجزء الأول، صنعاء ١٩٨٦. الجزء الثاني، بغداد ١٩٨٠.
(١٦) الورتاني، محمد المقداد؛ **البرنس في باريس**. المطبعة الرسمية، تونس ١٩١٤.
(١٧) بافقيه، محمد، وآخرون؛ **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥.
(١٨) بدوي، عبدالرحمن؛ **الإنسانية والوجودية في الفكر العربي**. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٧.
(١٩) بعلبكي، رمزي؛ **الكتابة العربية والسامية**. دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١.
(٢٠) سزكين، فؤاد: **تاريخ التراث العربي**. ترجمة عبدالله بن عبدالله حجازي، المجلد السابع - السيمياء والكيمياء.
(٢١) عبدالتواب، رمضان؛ **في قواعد الساميّات**، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨١.
(٢٢) عبدالملك، بطرس. طمسن، ج. أ. مطر، إبراهيم؛ **قاموس الكتاب المقدس**. دار الثقافة، القاهرة، دون تاريخ.
(٢٣) عفيفي، فوزي سالم؛ **نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية**. وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٨٠.
(٢٤) كحالة، عمر؛ **معجم المؤلفين**.
(٢٥) كراوس، بول؛ **مختار رسائل جابر بن حيان**.
(٢٦) محمود، زكي نجيب؛ **جابر بن حيان**.
(٢٧) مراياتي، محمد، ومحمد حسان الطيان ويحيي مير علم، **علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب**. مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول ١٩٨٧. الجزء الثاني ١٩٩٧.
(٢٨) مهران، محمد بيومي؛ **المغرب القديم**. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠.
(٢٩) وافي، علي عبدالواحد؛ **فقه اللغة**. دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٠.

الأجنبية:

(30) Biella, J. C.; Dictionary of Old South Arabic. Harvard 1982.

(31) Budge, W. A,; An Egyptian Hietoglyphic Dictionary. Dover Publications, New York 1978.

(32) Champollion, J. F.; Prencipes generaux de L'ecriture saurée egyptienne. Institut d'orient, Paris 1984.

(33) Caulson, Ch. R.; Sanskrit. Hadder and Staughtou, England 1990.

(34) Dicks, B.; The Ancient Persians. David and Charles, Vermont, USA. 1979.

(35) Dozy, R.; Supplément aux dictionnaires arabes. Libraire du Liban, Beyrouth 1981.

(36) Driver, G. R.; Semitic Writing. Oxford University Press 1976.

(37) EL-Daly, O.; Egyptology, The Missing Millennium. UCL Press, London 2005.

(38) Encyclopaedia Britannica. Art: Music, Notaion.

(39) Ernout et Meillet; Dictionnaire etymologiqe du la langue latine.

(40) Evans A.; Scripta Minoa, Oxford 1909.

(41) Freidrich, J.; Extinct Languages. Philosophicel Library, New York 1957.

(42) Gardiner, A.; Egyptian Grammar. Griffith Institute, Oxford 1982.

(43) Gelb, L.J.; Glossary of Old Alkkadian. Chicago, USA.

(44) Hammer, J.; Ancient Alphabets and Hieroglyphic Characters Explained, London 1806.

(45) Iverson, E.; The Myth of Egypt and its Heirglyphs. 1993.

(46) Lanmann, Ch. R.; Sanscrit Reader. Sri Satguri Publications, Delhi 1983.

(47) Manetho; Aegyptica (ed. W. G. Waddell). The LOEB Classical Library.

(48) The Oxford Classical Dictionary.

(49) Vercoutter, J.; L'eqypte et le monde egeén prehellenique.

المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1959م.

(50) Weir, C. J. M.; A Lexicon of Accadian Prayers, Oxford University Press 1934.



مؤلفات
د. علي فهمي خشيم

- رئيس مجمع اللغة العربية - طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية.
- عضو مجمع اللغة العربية. القاهرة.

مؤلفاته:

* **النزعة العقلية في تفكير المعتزلة** : دراسة في قضايا العقل والحرية عند أهل العدل والتوحيد. (ط1، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1966)، (ط2، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1975).
* **الجبائيان .. أبو علي وأبو هاشم** : بحث في مواطن القوة والضعف عند المعتزلة في قمة ازدهارهم وبداية انهيارهم. (دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1968).
* **أحمد زروق والزروقية** : دراسة عن أحد أعلام التصوف الإسلامي في شمال أفريقيا. حياته وعصره ومذهبه وطريقته. (ط1، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975)، (ط2، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1980). (ط3، المدار الإسلامي، بيروت 2003).
* **الكناش** : صور من ذكريات الحياة الأولى لأحمد زروق .. بقلمه. مع مقدمة وتحقيق. (المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1980).
* **كتاب الإعانة - لأحمد زروق** : تحقيق وتعليق. (الدار العربية للكتاب، طرابلس - تونس 1979).
* **نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى** : ترجمة كتاب (وليام سذرن) : (W. Southen, Western Views of Islam in the Middle Ages) مع التعليق عليه، ومقدمة، بالاشتراك مع د. صلاح الدين حسن. (ط1، دار مكتبة الفكر، طرابلس)(ط2، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2002).
* **حديث الأحاديث** : مناقشة صريحة لآراء وأفكار الشيخ محمد متولي الشعراوي. (الدار العربية للكتاب، طرابلس - تونس، 1978).

* **نصوص ليبية** : ترجمة لكتابات مشاهير المؤرخين والجغرافيين اليونان واللاتين عن ليبيا القديمة مع مقدمات وتعليقات وشروح . (ط1، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1968) ، (ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975).
* **قراءات ليبية** : مقالات مركزة عن الحياة والناس والأرض والتاريخ والأسطورة في ليبيا حتى الفتح الإسلامي . (دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1969).
* **الحاجية - من ثلاث رحلات في البلاد الليبية** . رحلات الناصري والمنالي والفاسي في ليبيا محققة ومشروحة. (دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1974)..
* **دفاع صبراتة** ***Apologia*** : النص الكامل لدفاع (أبوليوس المداوري) في محاكمته بمدينة صبراتة مع مقدمة تحليلية وتعليقات. (المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1975).
* **الأزاهير** ***Florides*** : نماذج من كتابات وخطب (أبوليوس المداوري) .(المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1979).
* **تحولات الجحش الذهبي** : (رواية أبوليوس المداوري الشهيرة) Metamorphoses (مترجمة إلى العربية مع مقدمة تحليلية) . (ط1، المنشأة العامة للنشر، 1980، طرابلس)، (ط2، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1984)، (ط3، مركز الحضارة العربية، 1988)، (ط4، مركز الحضارة العربية، 2002).
* **حسناء قورينا** : مسرحية (بلاوتوس) Plautus المعروفة باسم Rudens . (دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1967).
* **حسان** : مسرحية (چيمس فلكر) J. flecker. Hassan . (المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1977).
* **الحركة والسكون** : مجموعة مقالات وبحوث نقدية في مختلف الموضوعات التي اهتم بها الكاتب.. (ط١، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1973)، (ط٢، الدار الجماهيرية، طرابلس، 2000).
* **أيام الشوق للكلمة** : مقالات وبحوث ودراسات . (المنشأة العامة للنشر 1977 طرابلس)..
* **مر السحاب** : مقالات قصيرة في السياسة والأدب والاجتماع . (المنشأة العامة للنشر، طرابلس، 1984)..
* **بحثًا عن فرعون العربي** : دراسات وبحوث في اللغة والتاريخ العربي والليبي - بنظرة جديدة للتراث الحضاري . (ط1، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985) ، (ط2، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001).

* آلهة مصر العربية (في مجلدين) : دراسة موسعة للدين واللغة في مصر القديمة لإثبات عروبتهما، ثلاثة أجزاء في مجلدين ..(ط1، نشر مشترك الدار الجماهيرية (ليبيا) ودار الآفاق الجديدة «المغرب»، 1990). (ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة).
* سفر العرب الأمازيغ : بحث مفصل في عروبة اللغة الأمازيغية (البربرية) ملحق به :
* لسان العرب الأمازيغ : معجم عربي - بربري مقارن .
(ط1، دار نون 1996)، (ط2، دار الملتقى، بيروت، 204).
* هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم . بحث يصحح ما شاع من وجود مفردات أعجمية في القرآن الكريم ، يؤصل هذه المفردات ويبين عروبيتها مع مقارنات باللغات العروبية الأخرى . (ط2 ، دار الشرق الأوسط، بيروت، 1997)، (ط2، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2006.
* في المسألة الأمازيغية : سلسلة "الدفاتر القومية" . (المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، 1996).
* إينارو : رواية تاريخية مستوحاة من وحدة عرب مصر وعرب ليبيا في مقاومة الاحتلال الفارسي لوادي النيل في القرن الخامس ق.م. (ط1، المؤسسة العربية للنشر والإبداع. الدار البيضاء. المغرب. 1995)، (ط2، مركز الحضارة العربية ، القاهرة، 1998).
* التواصل .. دون انقطاع : دراسات في تاريخ وتراث الوطن العربي القديم . الدار الجماهيرية، طرابلس، 1998.
* الكلام على مائدة الطعام : مقالات فيما يتعلق بأسماء الأطعمة وما يتصل بها أو يدخل في تركيبها من مواد وأدوات ، (الدار الجماهيرية، طرابلس، 1998).
* الفلسفة والسلطة، دراسات وبحوث في الفكر والتاريخ والاجتماع. (الدار الجماهيرية، طرابلس، 1998).
* رحلة الكلمات : مقارنات بين العربية واللغات الأوروبية لبيان الصلة الوثيقة بين العربية وهذه اللغات في أسلوب عرض مبسط . (ط1، دار اقرأ ، مالطا / روما، 1986 ، (ط2، مركز الحضارة العربية ، القاهرة، 2001).
* رحلة الكلمات الثانية : (متابعة لرحلة الكلمات الأول)، (الدار الجماهيرية، طرابلس، 1998).
* اللاتينية العربية: دراسة لغوية مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين، مقدمة ومعجم، (مركز الحضارة العربية ، القاهرة، 2002).
* هؤلاء الأباطرة وألقابهم العربية، دراسة في أسماء أباطرة الرومان وإرجاعها إلى أصولها العروبية، (دار الكتاب الجديد، بيروت، 2002).

* **القبطية العربية** : دراسة لغوية مقارنة بين لغتين شقيقتين، مقدمة وثلاثة معاجم، (مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2003).
* **الأكّدية العربية** ، دراسة لغوية مقارنة (مركز الحضارة العربية ، القاهرة، 2005).
* **هذا ما حدث** : سيرة حياة خاصة ممتزجة بالحياة العامة في ليبيا على مدى نصف قرن من الزمان، (دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004).

بالإنكليزية :

* ***Zarruq the Sufi*** (زروق الصوفي) : (مؤسسة (موريس الدولية Morris International لندن) . (المنشأة العامة، طرابلس، 1974).

تحت الطبع:

* **البرهان على عروبة اللغة المصرية القديمة**: (مركز الحضارة العربية ، القاهرة، 2006).

المحتوى

مقدمة ٩

أوروبا والهيروغليفية. تفسيرات، ومحاولات. ثم جاء شامبليون – العرب والهيروغليفية. منذ البداية. الكتاب. وصاحب الكتاب. وقصة الكتاب. وفاته. إشكالات، مؤلفاته. مسألة حروف العنبث. هذه النشرة. مخطوطات الكتاب..

ملاحظات ٤٩

النص ٥١

مقدمة المترجم إلي الإنكليزية (يوسف همّر) ٥٣

شوق المسهام في معرفة رموز الأقلام ٦٣

الباب الأول: الأقلام الكوفي والمغربي، والهندي ٦٥

الفصل الأول: الكوفي ٦٦

الفصل الثاني: المغربي الأندلسي ٦٧

الفصل الثالث: الهندي (ثلاثة أنواع) ٦٨

الباب الثاني: الأقلام السبعة المشهورة ٧٣

الفصل الأول: السرياني ٧٤

الفصل الثاني: النبطي القديم ٧٥

الفصل الثالث: العبراني ٧٦

الفصل الرابع: البرياوي ٧٧

الفصل الخامس: القُمّي ٧٨

الفصل السادس: المسند ٧٩

الفصل السابع: اليوناني – قلم الحكماء ٨٣

الباب الثالث: أقلام الحكماء السبعة ٨٥

الفصل الأول: قلم هرمس ٨٦

الفصل الثاني: قلم الحكيم أقليمون ٩١

الفصل الثالث: قلم الحكيم أفلاطون ٩٢

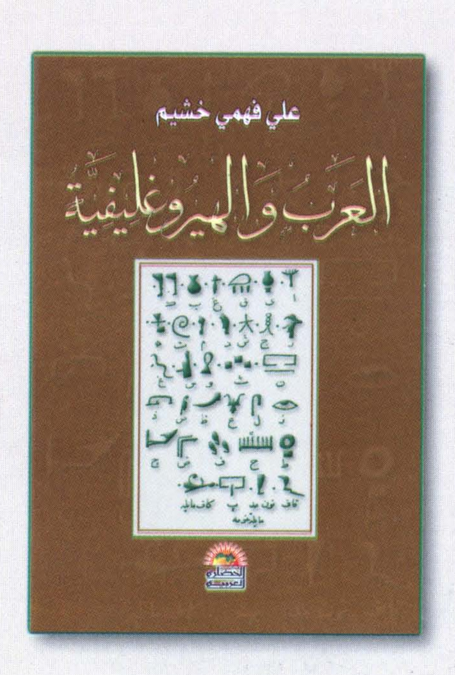
الفصل الرابع: قلم الحكيم فيثاغورس ٩٣

الفصل الخامس: قلم الحكيم اسقليبوس ٩٤

الفصل السادس: قلم الحكيم سقراط ٩٥
الفصل السابع: قلم الحكيم أرسوطوس ٩٦
الباب الرابع: الأقلام التي ظهرت بعد هذه السبعة ٩٧
الفصل الأول: قلم الحكيم بليناس ٩٨
الفصل الثاني: القلم البرياوي لسوريد الحكيم ١٠٠
الفصل الثالث: قلم الحكيم فرنجيوش ١٠٢
الفصل الرابع: قلم الحكيم بطليموس ١٠٣
الفصل الخامس: قلم الحكيم مرقونس ١٠٤
الفصل السادس: قلم الحكيم مريانوس ١٠٥
الفصل السابع: القلم النبطي القديم ١٠٦
الفصل الثامن: قلم الحكيم مغنيس ١٠٧
الفصل التاسع: قلم الحكيم غاميغاشير ١٠٨
الفصل العاشر: قلم الحكيم هلياوش ١٠٩
الفصل الحادي عشر: قلم الحكيم قسطوجيس ١١٠
الفصل الثاني عشر: قلم الحكيم هرمس أبي طاط ١١١٠
الفصل الثالث عشر: قلم الحكيم قلفطريوس ١١٢
الفصل الرابع عشر: قلم الحكيم سيوريانوس ١١٥
الفصل الخامس عشر: قلم الحكيم فيلاوس ١١٦
الفصل السادس عشر: قلم الحكيم ديسقوريدوس ١١٧
الفصل السابع عشر: القلم الداودي ١١٨
الفصل الثامن عشر: قلم الحكيم ديمقراطيس ١١٩
الفصل التاسع عشر: قلم حكماء الأقباط ١٢٠
الفصل العشرون: القلم الفرغاني ١٢١
الفصل الحادي والعشرون: قلم الحكيم زوسيم ١٢٢
الفصل الثاني والعشرون: قلم الحكيم مارشول ١٢٣
الفصل الثالث والعشرون: قلم الحكيم أركغانيس ١٢٤
الفصل الرابع والعشرون: القلم المشجر لأفلاطون الحكيم ١٢٥
الباب الخامس: أقلام الكواكب السبعة ١٢٧
الفصل الأول: قلم كوكب زحل ١٢٨

الفصل الثاني: قلم كوكب المشتري ١٢٩
الفصل الثالث: قلم كوكب المريخ ١٣٠
الفصل الرابع: قلم كوكب الشمس ١٣١
الفصل الخامس: قلم كوكب الزهرة ١٣٢
الفصل السادس: قلم كوكب عطارد ١٣٣
الفصل السابع: قلم كوكب القمر ١٣٤
الباب السادس: في أقلام البروج الإثني عشر ١٣٥
الفصل الأول: قلم برج الحمل ١٣٦
الفصل الثاني: قلم برج الثور ١٣٧
الفصل الثالث: قلم برج الجوزاء ١٣٨
الفصل الرابع: قلم برج السرطان ١٣٩
الفصل الخامس: قلم برج الأسد ١٤٠
الفصل السادس: قلم برج السنبلة ١٤١
الفصل السابع: قلم برج الميزان ١٤٢
الفصل الثامن: قلم برج العقرب ١٤٣
الفصل التاسع: قلم برج القوس ١٤٤
الفصل العاشر: قلم برج الجدي ١٤٥
الفصل الحادي عشر: قل برج الدلو ١٤٦
الفصل الثاني عشر: قلم برج الحوت ١٤٧
الباب السابع: أقلام الملوك التي تقدمت من ملرك السريان والهرامسة والفراعنة والكنعانيين والكلدانيين والنبط والأكراد والكسدانيين والفرس والقبط ١٤٩
الفصل الأول: قلم الملك بردويس السرياني ١٥٠
الفصل الثاني: قلم الملك رسيوت الفرعوني ١٥١
الفصل الثالث: قلم الملك كيماس الهرمسي ١٥٢
الفصل الرابع: قلم الملك مهراريش ١٥٥
الفصل الخامس: قلم الملك طبرينوس ١٦٥
الفصل السادسك قلم الملك ديوس موس ١٥٧
الفصل السابع: قلم الملك برهميوس ١٥٨
الفصل الثامن: قلم الملك صاا ١٥٩

الفصل التاسع: قلم الملك بلبيس ١٦١
الفصل العاشر: قلم الملك قفطريم ١٦٢
الباب الثامن: في ذكر أقلام الهرامسة ١٦٥
الفصل الأول: قلم الحكيم هرمس الأكبر ١٦٨
المرتبة الأولي: الأسماء الحيوانية وأشكالها ١٧٠
المرتبة الثانية: الأشكال الدالة علي المفردات النباتية ١٧٦
المرتبة الثالثة: صور الأشكال المعدنية ١٨٧
الخاتمة الفريدة: أقلام النبط والكلدانيين والصابئة ١٩١
الأول: قلم شيشيم ١٩١
الثاني: قلم فراعنة مصر قبل الطوفان ١٩٢
الأقلام الثلاثة القديمة المشتهرة بين الأمم الماضية ١٩٣
القلم السرياني القديم ١٩٥
القلم السرياني الجديد ١٩٦
قلم شيشيم - علي رأي الهرامسة وقاعدة النبط ١٩٨
صفة القلم الذي وعدنا به ٢٠٥
صفة قلم الصابئة ٢٠٦
صفة قلم الكلدانيين القديم ٢٠٨
صفة قلم آخر للأكراد ٢٠٨
ملاحق ٢١٣





«ربما وقعت هذه الخطوط في كتب العلوم التي ذكرتها... وربما كانت هذه الكتابات تراجم تؤدي إلى اللغة العربية، وينبغي أن تتأمل وتجعل هذه الأقلام مثالا لها، ويُرجع إليها، إن شاء الله تعالى».

محمد بن إسحاق بن النديم
القرن الهجري الرابع

«كما عجبت من الصور والخطوط المرسومة بها (المسلة التي جيء بها من الأقصر إلى باريس سنة ١٨٣١م) واختلاف أذواق البشر في طرق الكتابة، واشتقت إلى كتاب (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) لأحلّ به مُعَمَّى الكتابة. ومن الأسف أن هذا الكتاب لم ينشر إلى الآن بين أبناء العربية».

محمد المقداد الورتاني
١٩١٤م

«سبق العربُ علماءَ أوروبا في حل رموز الخطوط القديمة وترجمة كتبها إلى العربية، ولا إخال أن أوروبا توصلت إلى حل رموز الآثار والوقوف على علوم من سبق من الأمم إلا بواسطة كتب العرب وترجمتها إلى لغتهم. فمن ذلك ما رأيته بعيني وطالعت فيه بنفسي، وهو كتاب (شوق المستهام إلى معرفة رموز الأقلام) لأحمد بن وحشية النبطي.... وهنيئًا لعلماء أوروبا الذين ترجموا هذا الكتاب إلى لغتهم؛ فقد ترجمه الإنكليز منذ مائة وعشرين سنة، ووقفوا بواسطته على آثار الأمم الماضية... فأعمال المستشرقين ووقوفهم على حل رموز الآثار ما هي إلا نتيجة بحثهم في هذا الكتاب ووقوفهم عليه وإخفائه عنا حتى لا نسبقهم فيه».

محمد رشدي المصري
١٣٣٨ هجرية

